

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَاْنَا ﴾

هذا ديوان شعري من أيام الصغر إلى أيام الكبر ، تتجلى فيه رוחي
حدثاً وشاباً ، وكهلاً وشيخاً ، ويعرف منه القارئ أنها روح لم تزل يشبه
بعضها بعضها في جميع أدوار الحياة ، لم يكن غرضي من نشر هذا الديوان
إظهار فصاحة أفاخر بها ، ولا إثبات براعة أتعلق بأسبابها ، ولا حشد
كلمات أتوخى إرساها ، ولا تسير شواردي قال : من ذا قالها؟ لاسمها وقد
بلغت السن التي يضعف فيها التفكير في المفاخرة ، ويقوى التذكر للآخرة ،
ولكني قصدت جمع هذا الديوان لحصال ثلاث :

(إحداها) ان الشعر لقائله ، كالولد لناجله . فأخشى من بعد انصرافي من
هذه الدنيا أن ينسب إلي ما لم أقله ، ويلحق الناس بخاطري ما لم ينجله ،
ويعزى اليه من قداح الفكر ما لم يجله ، فالتقد وقع لي من هذه الأماثيل جمل
في أثناء حياتي ، فكيف تكون الحال بعد وفاتي ، والشاهد حينئذ يكون قد
صار بعيداً ، والثبت إذ ذاك يصبح مفقوداً ، وكما أنه يجوز أن ينسب إلي
ما لم أقله يجوز أيضا أن ينسب كلامي إلى سواي ، وأن يختلف الناس في
ملكي له بما قد أهملت من دعواي ، فرأيت الأصلح لأمري - والمرء
مسئول عن نفسه في الحياة وبعد الرحيل ، ومطالب بأن يثبت الحقائق عن
نفسه وأن يحتاط لذلك قبل أن يصير تحت الرمل المهيل - أن أجمع ما وجد

في يدي من أشعاري ، وأن أجتهد في أن لا ينسب أثري إلى غيري ولا ينسب إلي غير آثاري

(الخصلة الثانية) أن بعض هذه القصائد متعاقب بوقائع تاريخية مشهورة ، وبعضها متضمن لمبادئ سياسية ماثورة ، فنشرها حصة من التاريخ يتميز فيها من اعتدل عمن اعتدى ، ويعرف من ضل ممن اهتدى ، فلم يزل الشعر وهو الخيال المجسم أحسن قيد للحقائق ، ولم تزل الوقائع التاريخية تأخذ من الوزن والقافية أثبت الموثق ، وكمن واقعة تاريخية نشدها المؤرخون في أقوال المنشدين ، وكمن رجل لم تخلده التواريخ وجعله الشعر من الخالدين

(الثالثة) انه كان لي أصدقاء وأتراب ، واخوان ترافقني عليهم الحسرات الى التراب ، ومن الأعلام من لم أعرفه بوجهه ، ولا كنى عرفته بآثاره ، وقطفت من نُوَّاره ، مثل الشيخ أحمد فارس صاحب الجوائب ، وعبدالله باشا فكرى الشاعر الكاتب ، فأما الذين رثيتهم من أصحابي فهم عبدالله باشا فكرى ، ومحمود باشا سامي ، وأمين باشا فكرى ، ومحمد بك فريد وكامل بك الأسعد وأحمد باشا تيمور والشيخ عبد العزيز شاويش ، وأحمد بك شوقي ، والشيخ عبد القادر الشيبى ، والحاج عبد السلام بنونه ، وأخي نسيب ، وغيرهم ممن كانوا غرة في جبين الدهر ، وكان ذكرهم عبيراً يأخذ منه كل زمن ما يأخذ الروض من الزهر ، أفرغ الله عليهم سجال عفوه ورضوانه ، وحياتهم في آخرتهم برّوحه وريحانه ، فقد أحببت أن أثبت أرواحهم الزكية الوجد الذى أجده من فراقهم ، وأن أنشر بعد طي أجسادهم ما أعرف من محاسن أخلاقهم ، فأكون وفيتهم بعض حقوق الوفاء ، وأدبت اليهم من الأمانة ما فيه للنفس شفاء

هذا وقد كنت في السابعة عشرة من العمر طبعت في بيروت أوائل شعري في ديوان سميته (البا كورة) ولم يكن بقي منه إلا نسخ نوادر فراجعته في هذه المدة الأخيرة فلم أجده دون أن ينسب إلي ، ولا أصغر من أن يقيد علي ، بل قد رأيت الشباب أشعر من المشيب ، ووجدت أحسن القريض ، ما جاء في العهد الغريض ، ولذلك ألحقت بديواني هذا أكثر ما كنت نشرته في البا كورة ، بحيث قد نظم هذا الديوان حاشيتي العمر ، وجمع ما قدم وما حدث من نتائج الفكر ، والله أسأل أن يتداركني بلطفه ؛ ويسددني بفضله ، وأصلي وأسلم على محمد خاتم أنبيائه وسيد رسله ، الهادي لأقوم سبيله ؛ وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

شكيب أرسلان

جنيف ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٥٤



القسم الاول من الديوان المراسلات السامية

أريد بها ما دار بيني وبين أمير الشعراء في وقته محمود سامي باشا البارودي رئيس نظار مصر سابقاً ، وذلك لما كان في منفاه بسيلان على إثر الحادثة العراقية ، وقد كانت فقدت من عندي بعض هذه المراسلات فاضطرت الى طلب مجلة الزهور الأدبية من مصر ، لأنها كانت قد نشرتها وهكذا عثرت عليها كلها ما عدا قصيدة ميمية كنت بعثت بها الى محمود سامي سنة ١٩٠٢ من طبرية حيث كنت أبذل الهواء ، وأما جواب محمود سامي على هذه القصيدة فقد وجدته بين أوراقى ، ولنبداً الآن بالمراسلات التى وجدت فى مجلة الزهور ، ولا بأس بأن ننشر المقدمة التى صدرها بها شاعر القطرين خليل بك مطران ، وهو قوله عن صاحب هذا الديوان :
حضري المعنى ، بدوي اللفظ ، يحب الجزالة ، حتى يستسهل
الوعورة ، فاذا عرضت له رقة وألان لها لفظه ، فتلك زهرات ندية ملية
شديدة الريا ساطعة البهاء كزهرات الجبل

نبغ منذ طفولته فى الشعر ، وكان أبكر الفتيان فى نشر ديوان له^(١)
وجاء ديوانه فى وقته آية

غير أنه لم يلبث أن ترك الشعر وانصرف الى الترسل فحبس فيه
ما أوتيه من العبقرية فهو الآن فى مذهبي امام المترسلين
على أنه قد يدعو دواع من النفس أو من الطوارىء فينظم ، ينظم كما
ينثر ، فياض الفكر غير تعب ، لكن نظمه يحمل فى عهده الآخر أثراً
من نثره ؟
خليل مطران

(١) نظمت الشعر المطبوع المطبوع فى الجرائد وأنا ابن ١٤ سنة ونشرت الجزء الأول من ديواني المسمى «بالبا كورة» وأنا ابن ١٧ سنة ومنذ ذاك الوقت لم أهتم لجمع شعري ولا لنشره إلى أن عنت لي هذه الفكرة فى هذه الأيام للأسباب التى أوردتها فى المقدمة

قالت الزهور

استشهد الأمير شكيب في بعض كتاباته أولاً وثانياً بأبيات للبارودي على غير معرفة شخصية سابقة ، فكتب محمود سامي باشا الى الأمير بالمقطوعة الآتية . قال :

أشدت بذكرى بادئاً ومعقباً
وما ذاك ضناً بالوداد على امرئ
فأما وقد حق الجزاء فلم أكن
فكيف أذود الفضل عن مستقره
وأنت الذي نوهت باسمي ورشتي
لك السبق دوني في الفضيلة فاشتمل
ودونكها يا ابن الكرام حبرة
فأجابه الأمير

لك الله من عان بشكر منمنم
وشهم أبي النفس أضحي يرى يداً
رأى كرمأ منى تذكر قوله
ولو كان يدرى فاضل قدر نفسه
أيعجب من تنويه مثلي بمثله ؟
ومهما يكن من أعجم فبفضله
إذا مطر الغيث الرياض بوابل
إذا ما تصبت بالعميد صباحة
وهل ينكر الاحسان الا لئامة
وهل في شهود الشمس أدنى مزية
رويدك لا تكثر لدهرك تهمة
لتقدير حق من علاك محتم
تذكر فضل أو جميل لمنعم
فدل على أعلى خللاً وأكرم
رأى ذكره فرضاً على كل مسلم
لعمري الذي قد شق في شعره في
يرى ثقفاً في الوري كل أعجم
فأى يد للطائر المترنم ؟
بوجه فما فضل العميد المتيم ؟
وينكر حسناً غير من طرفه عمي ؟
وقد جاء ضوء الشمس لم يتكتم ؟
ولا تياسن من أهله بالتوهم

فما زال من بدرى الجميل ولم يكن
وأنت الذى لو أنصف الدهر لم يكن
جمعت العلى من تديدها وطريفها
غدت خطى إما يراع ومخدم
ولم أر كفاً مثل كفك أحسنت
جمعتهما جمع القدير بكفه
ولو كان يُرقى المرء ما يستحقه
وأنت الذى يا ابن الكرام أعدتها
وأنشرت ميت الشعر بعدمصيره
وأشهد ما فى الناس من متأخر
ولو شعراء الدهر تعرض جملة
لأبصرت شخص البحتري منك بُحْترا
لك الآبدات الآنسات التى نأت
لكم أسهرت جفن الرواة وخالفت
شغفت بها طفلاً فأروى بديعها
ولا عجب أنى أحسن صباية
أفى كل يوم فيك وجد كأنه
أحمل ريح الهند كل تحية
وقد طالما حدثت نفسى وعاقى
حلفت بما بين الحطيم وزمزم
لألفيت عندي دوس مشتجر القنا
أقل بقلبي فى المواقف هيبه

لتأخذه فى الحق لومة لوم
لغيرك فى العلياء صدر التقدم
فجأت كعقد فى ثناك منظم
وانك قطب فى يراع ومخدم
الى المجد إرعاف المداد مع الدم
الى محتد سام الى المجد ينتمي
إذا لبلغت النيرات بسلم
لأفصح من عهد النواسى ومسلم
لأعظم نشرأ من رفات وأعظم
يدانيك فيه لا ولا متقدم
بمنجدهم من كل حي ومُتهم
وخلق أبى تمام غير متمم
وأنست عكاظ الشعر بل كل موسم
حظوظك منها شرْدٌ خير نوم
ولم أرو من وجدى بها نار مضم
فيسرى الهوى بالقول للمتكم
طوى جانحاً منى على نار ميسم
فكم من صبا منها عليك مسلم
تردها ما بين : أقدم وأحجم
وبالروضة الزهرا أليّة مُقسم
وخوضى فى حوض من الطعن مغم
وأهون من ذاك المقام المعظم

وهب أنتى باز* قد انقض أشهب
ولم يكن لي من عفو مولاي ساتراً
أحمود سامى إن يك الدهر خائناً
فما زالت الأيام بؤسا وأنعاماً
ولولا الصدى ما طاب ورد ولا حلاً
عسى تُعْتَبُ^(١) الأقدار والهم يُنجلى
وأهديك في ذاك المقام تهاتناً
فهل يطمع البازي بلقيان ضيغم؟
فهاًئذا منه به بت أحتمي
وطال عليك الزجر طائر أشأم
وحظ الشقا بالملكث حظ التنعم
لك الشهد إلا من مرارة علقم
وينصاح صبح السعد في ذيل مظلم
حبيرة مسدٍ في ثناك وملحم

ثم كتب محمود سامي باشا إلى الأمير شكيب بهذه القصيدة :

أدي الرسالة يا عصفورة الوادى
ترقى سنة الحرّاس وانطلقى
لعل نعمة ود منك شائقة
هو الهمام الذى أحيا بمنطقة
تلقى به أحف الأخلق متدياً
أخي وداداً وحسبى انه نسب
أفادنى أدبا من منطق شهدت
عذب الشريعة لو أن السحاب همى
سرت بقلبي منه نشوة ملكت
يا ابن الكرام عدتني منك عادية
فأعذر أخاك فلولا مابه لجرى
وها كها تحفة منى وإن صغرت
وبا كرى الحي من قولى بإنشاد
بين الخمائل في لبنان وارتادى
تهز عطف شكيب كوكب النادى
لسان قوم أجادوا النطق بالضاد
وفي الكريهة عمراً وابن شداد
خالى الصحيفة من غل وأحقاد
بفضله الناس من قار ومن باد
بمثله لم يدع فى الأرض من صاد
بحسنها مسمعي عن نعمة الشاد
كادت تسد على عيني بأسداد
في حلبة الشكر جري السابق العادى
فالدر وهو صغير حلي أجياد

(*) فيه لغتان أشهرهما انه منقوص كالمقاصي والثانية انه كاللباب اه مصححه
(١) أعتبه أزال عتبه أي أرضاه

فأجابه الأمير شكيب

هل تعلم العيس إذ يحدو بها الحادى
وهل ظعائن ذاك الركب عالمة
تحمّلوا ففؤادى منذ بينهم
يرتاد منزلهم فى كل قاصية
بين الجوانح ما لو أنت جائبه
وفى الفؤاد كشط الكيف بادية
كم بت أنشد أحبابى وأنشدتهم
ولو أنا جى ضميرى كنت مسمّهم
من كان دون مراعى العيس منزعه
دون الخضارم إن ضل الحبيب سرى
هوّى بأروع لو ان الزمان درى
سامى الأرملة فى أعراقه نسب
أرق من شمال الوادى شمائله
من معشر لو يقيس الناس شأوهم
يا من لنا رده من فائت عوض
ان يحجوك فما ضرّ النجوم دجى
لا بأس ان طال نجم السعد موعده
عسى ليالىك قد سلّت ضغيتها
واستأنف الدهر سلها لا يكدرها
لو كان يسعد قوم قدر فضلهم

ان السرى فوق اضلاع واكباد
ان النوى بين أرواح وأجساد
فى إثرهم نضوت أويب^(١) وإيساد^(٢)
وحجبه لو درى أخرى بمرتاد
أغناك عن لف أغوار بأنجاد
فى جنبها تيه موسى ليس بالباد
فى الهند ياشد ما أبعدت إنشادى
قولى كأنهم فى الغيب أشهادى
فلى هوى دون أمواج وأزباد
فان وجدى نعم القائف الهادى
لما أحل سواه الصدر بالنادى
فى المجد لا يشتكى من ضعف إسناد
وعند شد الليالى صخرة الوادى
الى العلا افتقروا فيه لأرصاد
يمحى به وزر أحقاب وآماد
ولا زرى السيف يوم ما طي أغماد
فأعذب الماء شربا فى فم الصادى
وقد صفت كأسها من سور أحقاد
فالدهر قد يرتدى حالات أضداد
ما لاق مثلك أن ينحطى بأسعاد

وكتب محمود سامي إلى الأمير من جزيرة سيلان:

رَدَى التحية يا مهابة الأجرع
وترفقي بمتيم علقت به
طرب الفؤاد يكاد يحمله الهوى
لا يستنيم إلى العزاء ولا يرى
ضمنت^(١) جوانحه إليك رسالة
فتمت ييوح بما أجن ضميره
أصبحت بعدك في ديار غربه
لا يهتدى فيها لرحلى طارق
أرعى الكواكب في السماء كأنلى
زهر تالق في السماء كأنها
وكانها حول المجر حمام
وترى الثريا في السماء كأنها
بيضاء ناصعة كبيض نعامة
وكانها أكر توقد نورها
والليل مرهوب الحية قائم
متوشح بالنيرات كباسل
حسب النجوم تخلفت عن أمره
مازلت أرقب فجره حتى انجلي

وَصَلِي بِحَبْلِكَ حَبْلٌ مِنْ لَمْ يَقْطَع
نَارُ الصَّبَابَةِ فَهُوَ ذَاكِي الْأَضْلَع
شَوْقًا إِلَيْكَ مَعَ الْبُرُوقِ اللَّمَع
حَقًّا لَصَبُوتِهِ إِذَا لَمْ يَجْزَع
عَنَوَانُهَا فِي الْخَدِّ حَمْرُ الْأَدْمَع
إِنْ كُنْتَ عَنْهُ بِنَجْوَةٍ لَمْ تَسْمَعِي
مَا لِلصَّبَاحِ بِلَيْلِهَا مِنْ مَطْلَع
إِلَّا بِأَنَّهُ قَلْبِي الْمَتَوَجِّع
عِنْدَ النُّجُومِ رَهِينَةٌ لَمْ تُدْفَع
حَبِيبٌ تَرْتَدُّ فِي غَدِيرٍ مُتَرَع
يَبِضُّ عَكْفُنَ عَلَى جَوَانِبِ مَشْرِع
حَلَقَاتِ قُرْطٍ بِالْجَمَانِ مَرَصَّع
فِي جَوْفِ أُدْحَى^(٢) بِأَرْضِ بَلْقَع
بِالْكَهْرِبَاءَةِ فِي سَمَاوَةِ مَصْنَع
فِي مَسْجِدِهِ كَالزَّاهِبِ الْمُتَلَفَع
مِنْ نَسْلِ حَامٍ بِاللَّجِينِ مَدْرَع
فَوْحَى لَهْنٍ مِنَ الْهَلَالِ بِإِصْبَع
عَنْ مِثْلِ شَادَخَةِ الْكَمِيتِ^(٣) الْآتِلَع

(١) كذا في الأصل ولعلها ضمت من الضم ، وكتبه مصدحه

(٢) محل بيض النعام (٣) الكميت من الخيل ما خالط حمرة سواد ؛ والآتلع

الطويل ؛ والشادخة الغرة

وترنحت فوق الأراك حمامة
تدعو الهديل (١) وما رأتها وتلك من
ريا المسالك حيث أمت صادفت
فاذا علت سكنت مظلة أيكه
أملت على قصيدة فجعلتها
هي من أهازيج الحمام وإنما
هو ذلك الشهم الذي بلغت به
نبراس داجية وعقلة شارد
صدق البيان أعرض جروول باسمه (٢)
لم يتخذ بدر المقنع آية
أحيا رميم الشعر بعد هموده
كليم لها في السمع أطرب نغمة
كالزهر خامره الندى فتأرجت
يعنو لها الخصم الألد ويغتذى
هي نجمة الأدب التي من أمها
ملكته هوى نفس وأحيت خاطري
فاسلم شكيب ولا برحت بنعمة
فلأنت أجدر بالثناء لمة
أرهفت حدى فهو غير مفلل
وبثقت لى من فيض بحرك جدولا

تصف الهوى بلسان صب مولع
شيم الحمام بدعة لم تسمع
ما تشتهي من مجثم أو مرتع
واذا هوت وردت قرارة منبع
لشكيب تحفة صادق لم يدع
ضمنتها مدح الهام الأروع
مشكاته حد السماك الأرفع
وخطيب أندية وفارس مجمع
وثى جريرا بالجرير (٣) الأَطْوَع
بل جاء خاطره بآية يوشع
وأعاد الأيام عصر الأصمعي
وبحجرة الاسرار أحسن موقع
أنفاسه بالعنبر المنضوع
بلبابها ذهن الخطيب المصقع
ألقى مراسيه بواد ممرع
وروت صدى قاي ولدت مسمعي
تحنو اليك بأيكها المتفرع
أوليتها والبر أفضل ما رعى
ورعيت عهدي فهو غير مضيع
غمر البحار بسيله المتدفن

(١) صوت الحمام ، والهدبل هو ذكر الحمام أيضاً (٢) الجروول الأرض ذات
الحجارة وهو لقب الخطيئة (٣) حبل البعير

عذبت موارده فلو ألفت به
وزهت فرائده فصارت غرة
هو ذلك النظم الذي شهدت له
أبصرت منه أخا أياد خاطبا
وَحَلِيتُ أَنِي فِي خَمَائِلِ جَنَّةِ
فَضْلٍ رَفَعْتَ بِهِ مَنَارَ كَرَامَةٍ
فَمَتَى أَقُومُ بِشُكْرِ مَا أَوْلَيْتَنِي
فَاعْذِرْ إِذَا قَصَرَ الثَّنَاءُ فَاَنِي
لَا زِلْتُ تَرْفُلُ فِي هَذَا شَاءَ سَعَادَةٍ

فأجابه الأمير

أُتْرِي يَحِلُّ هَوَاكَ بَيْنَ الْأَضَاعِ
وَأَيُّتُ أَشْرَكَ فِيكَ فِي دِينِ الْهَوَى
وَتَظَلُّ تَشْرُدُ بِي لِغَيْرِكَ صَبُوءَ
وَأَسِيمٍ فِي رَوْضِ الْحَسَانِ مَوْزَعَا
قَلْبٍ عَلَيْكَ تَحْتَمَتُ أَبْوَابُهُ
إِنِّي طَوَيْتُ عَنِ النَّسِيمِ شِغَاؤُهُ
وَحَجَبْتُ عَنْ كُلِّ عَوَاطِفٍ حُجْبَهُ
وَأَبْحَتُ إِلَّا فِي الْغَرَامِ هَوَادَةً
أَضَحَّتْ تَغَايِرُ فِي هَوَاكَ جَوَارِحِي
وَأَغَارَ مِنْ طَرَفِي لِغَيْرِكَ نَاضِرَا
وَلَوْ اسْتَطَعْتَ الشَّمْسُ ذُدَّتْ لَعَابَهَا
وَيَحِلُّ لِي بِسَوَاكَ ذَرْفُ الْإِدْمَعِ
وَأَكُونُ لِلتَّوْحِيدِ أَوَّلَ مَدْعِ
هِيَ مِنْ سَجْوَفِكَ فِي الْمَحَلِّ الْأَمْنَعِ
قَلْبَا وَهِيَ بِالْحَمَلِ غَيْرُ مَوْزَعِ
مَا نَحْوَهُ لِسَوَاكَ طَرِيقَةُ مَطْمَعِ
أَنْ جَاءَنِي مِنْ غَيْرِ تِلْكَ الْأَرْبَعِ
إِلَّا الْحَنِينَ لِبَدْرِ ذَاكَ الْمَطْلَعِ
وَمَنْعَتُ إِلَّا أَنَّهُ الْمَتَوَجِّعِ
حَتَّى لِيغْضِبَ نَاضِرِي مِنْ مَسْمَعِي
لِمَا وَلَوْ شِمْ الْبُرُوقُ اللَّمْعِ
عَنْ وَجْنَتِكَ وَلَوْ سَعَتْ فِي بَرْقَعِ

ولقد اغار لها جس من خاطر
يمشى اليك ولو بأعمق قلبه
درّعت حسنك بالكمال وفتية
في كلة تذر الصراغم عندها
ما للمطامع في الوصال ودونه
نفسى الفدا لمقنع (٢) هجرت له
تتهافت الاوهام عن حجراته
ذاك الحمى إلا على من أمه
أكنهت بالاقدام سر ضديره
هى زورة تحت الظلام وردتها
فنظرت من ذاك الهلال لنير
وأسغت في نهل الشفاه وعلها
بتنا كأنا خطرة في خاطر
نبهت بالأغزال داجع حبها
وسقيتها كأس الهوى دهقا ولم
متملين من العناق كأننا
أروي غريب حديث أحوال الجوى
وصل أعاد الشمل أي موصل
عاطيتها صرف الهوى وعافنا
كانت مضاجعنا تنث كالنا

من سر مهجة راهب متورع
ويشير بالافكار لا بالاصبع
من حول خدرك حاسرين ودرع
من ذلة أمثال عُفر الأجرع (١)
حفر الشريعة والرماح الشرع
أجفانين شفار كل دقنع (٣)
ويرد خاطره المقيم إذ يعى
منى بممتنع الوجيب مشيع (٤)
وحملت بالأتدام قاب المصنع
فرداً بلا تضد، بلى قلبى معي !
وعلقت من ذاك الغزال بأتلع
ما ليس يعذب بعده من مكرع
أو وهلة حلت فؤاد مروّع
وحماها من غافلين وهجّع
يحلّ الهوى إلا بكأس مترع
قوس خلا لزيادة من تمنع
والراح ليس يطيب غير مشعشع
لكن أعاد القلب أى مقطع
طول التلازم لم يشب من موضع
لو كان يوجد منطق للمضجع

(١) الاجرع الرمل المستوي لا ينبت شيئاً والاعفر الذي يعلو حمرته بياض

(٢) أي ذات القناع (٣) الذي عليه بيضة الحديد (٤) القلب الشجاع

والليل يكتّم ما ينمُّ بصره
وترى المجرّة في السماء كأنها
حتى إذا شق الدجّة شوقها
ورأيت أسراب النجوم تتابع
ما كان أحوجنا بذلك لآية
زحزحت عنها ساعدي وتركتها
وطلعت أعثر بالسيوف ولو درى
أيقولُ مهجتي الحكمة وما لهم
وترى تخون الخيل فارسها وهل
أو من لهم مثلي إذا عبس الوغى
وتشاجرت سمر القنا وتجادبت
ولقد بذتُ السابقين فمن لهم
وباعتُ من سامي الفخار وجاءني الت
خنديذ (٤) هذا الدهر واحد أهله
القائل الفصح التي عن مثله
لو جاء في العصر القديم لما روى
قد قاد مملكة الكلام وحازها
إن يعصه قول فلم يك لفتة

أرجُ النسيم سرى بمسك أضوع
در تناسل من سماء مُضرع (*)
للقا ذكاء وشاب فود الأسفع
بفرارها تمصع (١) النعام الأضرع (٢)
تأتى لنا في عكس آية يوشع
دون الكرى من تحت عبء مُضلع
أهل السيوف مقامتي لم أفزع
فخرٌ سواي إذا اغتدوا في مجمع
يركض الحسينُ على يد المتشيع؟
وتضاحكت أنياب ثغر المصرع
بذوائب والسيوف شبه الأصلع
بووقوف سير بالمكارم موضع (٣)
قريظ من « محمود سامي » الأرفع
مقدام حلبته الأغر الأتبع
يثنى المقفع في بنات مقفع
إلا قصائده لسان الأصمعي
أخذ الأعزة للذليل الأضرع
حتى يذل مستقيم الأخدع (٥)

(*) أي ذات ضروع (١) مر خفيفا (٢) المسرع من مزع
(٣) أوضع أسرع (٤) الشاعر المفلق والخطيب المفوه والسيد الحليم والشجاع
البهمة والرجل الجواد (٥) عرق في صفحة العنق يقال رجل شديد الأخدع أي
ذو عتو وشدة

سهل البيان عصية للمحتذى
خلقت له عليا اللغات فلو هفا
تغدو المعاني حوَّما حتى إذا
ما زال يُبدع قائلا حتى يرى
إن أُجِدَّتْ أرض الخلائق بالشنا
أو حار قوم في الشعاب فانه
أضحى يطارحنى القريض وهل ترى
أملى إلي قصيدة فأذابنى
يا ابن الغطارفة الا ولى لم ينتموا
لا غرو أن يُرتج علي بحضرة
فلو أن سحبان الفصاحة قائم
فهناك ما بهر الخواطر هيبة
كل العقائل في حماك وصائف
فاسلم رعاك الله سابغ نعمة
واعذر إذا قصرت عن حق فلو

فلأنت منه بين عاص طيع
نحو الرككة جاء كالمصنع
سامين فكرته هبطان بموقع
بدعا على الايام إن لم يبدع
نخلاله للحمد أجد مرتع
رب المضى على المضى المميع
من أصبغ يوما يقاس بأذرع
خجلا وهيبة خاشع متصدع
إلا بأزهر في الندى سميذع (١)
إن قابلت شمس الضحى لم تسطع
في بابها ما قال غير متع
وزرى بعارضة الخطيب المصقع
والمنشآت (٢) من الجواري الخضع
وأعاد عيشك للزمان الأمرع
أملت أسود مقلتي لم أقنع

(انتهى النقل عن مختارات الزهور)

و كنت سنة ١٩٠٨ شاتياً في طبرية عند ابن عمي الامير أمين المصطفى
أرسلان حيث كان قائمقام في تلك البلدة فأرسلت إلى محمود سامي باشا
في مصر قصيدة ميمية من بحر الخفيف فقدت من بين أوراقى وكان

(١) السيد المكرم الموطأ الا كناف (٢) استخدام بديعي لان الجواري
المنشآت هي السفن وقد نقلت هنا لمعنى الانشاء في الادب

قد فقد إحدى كرائمه فكان موضوع القصيدة التعزية والتسلية وإنى
أتذكر منها بعض أبيات :

لا تخل كنت في الفجعة فردا كل تاب لجرح قلبك دام
ومنها في المديح

إن أزالوك عن رآسة حكم لم تزل صدر دولة الافهام
ومما أتذكره من هذه القصيدة وصف طبرية وثورها

في ضفاف الأرْدُنَّ يجري على الغو ر كساق يدير كأس المدام
وتباشير للربيع أضاءت في عرار من زهره وبشام

ومنها

وسلامي على الخليل وشوقي وعلى حافظ بديع النظام
الثريا التي قدِمتُ عليها بضئيل السهى وشبه القتام

فأجانبى محمود باشا سامي بهذه القصيدة :

حتى مغنى الهوى بوادى الشام	وإدعُ باسمي تجبك ورق الحمام
هن يعرفنى بطول حنينى	بين تلك السهول والآكام
فلقد طالما هتفن بشدوى	وتناقلن ما حلا من هيامي
ولكم سرت كالنسيم عليلا	أتقرئ ملاعب الآرام
في شعار من الضنى نسجته	بخيوط الدموع أيدي الغرام
كلها شمت بارقا خلت ثغرا	باسما من خلال تلك الخيام
والهوى يجعل الخلاج يقينا	ويغز الحام بالاوهام
خطرات لها بمراة قاي	صور لا تزول كالأحلام
ما تجلت على المخيلة إلا	أذكرتني ما كان من أيامي

ذاك عصر خلا وأبقى حديثاً
 كلما زحزحت بنانة فكري
 يا نسيم الصبا فديتك بلغ
 واقض عني حق الزيارة واذكر
 أنا راض منهم بذكورة ود
 هم أباحوا الهوى حريم فؤادي
 أتمنأهم ودون التلاقى
 صائل الموج كالفحول تراغى (١)
 وترى السفن كالجبال تهادى
 تعلى تارة وتهبط أخرى
 هى كالدُّهم جامحات ولكن
 كل أرجوحة ترى القوم فيها
 لا يفيقون من دُوار فهاو
 يستغيثون فالقلوب هوافٍ
 فى دعاء يحذنه بدعاء
 ذاك بحر يليه برُّ ترامى
 فسوادي بمصر ثاو وقلبي
 أخدع النفس بالمنى وهى تأبى
 فتى يسمح الزمان فألقى
 هو خل لبست منه خللاً

تتعاطاه بيتنا كالمدام
 عنه ستر الخيال لاح أمامى
 أهل ذاك الحمى عبير سلامى
 فرط وجدى بهم وطول نسقامى
 أو كتاب إن لم أفر بلهام
 وأذلوا للعاذلين خطامى
 قذفات من لُجّ أخضر طام
 من هياج وترتمى باللغام
 خافقات البنود والإعلام
 فى فضاء بين السها والرغام
 ليس يثنى جماعها بلجام
 خشعا بين ركع وقيام
 ليديه وراعف الانف دام
 حذر الموت والعيون سوام
 لجلال المهيمن العلام
 فيه خوص المطى مثل النعام
 فى أسار الهوى بأرض الشام
 وخداع المنى غذاء الانام
 بشكيب ما فاتنى من مرام
 عبقات كالنور فى الاكام

(١) أي تراغى أمواجه فى صياها كالفحول اذا رغى واحد من هنا وواحد

من هناك وحذفت احدى التائين للتخفيف

صادق الود لا يخيس بعهد
 جمعنا الآداب قبل التلاقي
 وبلغنا بالود ما لم ينله
 فلئن لم نكن بأرض فانا
 وائتلاف النفوس أصدق عهدا
 ألمعي له بداهة رأي
 وقريض كما وشت نسبات
 هزني شعره فأيقظ مني
 سميتها القول بعد لأي فبضت
 فارض مني بما تيسر منها
 ولو اني أرادت شرح ودادي
 أنا أهواك فطرة ليس فيها
 وإذا الحب لم يكن ذا دواع
 فتقبل شكري على حسن ود
 أتباهي به إذا كان غيري
 دمت في نعمة يرف حلاها

وقليل في الناس رعي الزمام
 بنسيم الأرواح لا الأجسام
 بحنان القربي ذوو الأرحام
 لا اتصال الهوى بدار مقام
 من لقاء لم يقترن بدوام
 تدرك الغيب من وراء لثام
 بضمير الأزهار إثر الغمام
 فكرة كان حظها في المنام
 بيسير لم يرو عود ثمام
 رب ثمد فيه غنى عن جمام
 واشتياقي لضاق وسع الكلام
 من مساع للنقض والابرام
 كان أرسى قواعداً من شمام
 رحمت منه مقلداً بوسام
 يتباهى بزيينة الأنعام
 فوق فرع من طيب أصلك نام

القسم الثاني

(في مساجلات شعرية ، ومفاكهات أدبية)

لما طبعت ديواني المسمى بالببا كورة وأنا اذ ذاك ابن سبع عشرة
سنة بعثت به من بيروت الى المرحوم عبدالله باشا فكري باشارة الاستاذ
الامام الشيخ محمد عبده وكان في بيروت ؛ وذلك مع كتاب مني مصدر
بأبيات ما عدت أتذكرها جيداً وانما أذكر منها الآن ما يلي :

إذا ما رمت من مهديك كفوّاً لقد أنفدت لؤلؤ كل بحر
فكيف يقوم عندك نزر شعر يذيب الرعب منه كل شطر ؟
ومنها :

جعلتُ القول في سيف ورمح وعفت النظم في قدّ وخصر
فاني عاشق غرر المعالي ولي نفس فداؤك نفس حر
إذا فكرتُ يوماً في كلام يكون بمدح (عبد الله فكري)
فأجاني على ذلك بما يلي وهي في (الآثار الفكرية)

أتت تختال في حَبْرٍ وحبر على العشاق لا كَبْرٍ وكَبْر
منعمة الشبية لم يرعها مشيب في العذار أقام عذري
سعت نحوى على سحر تريني بدائع نظمها نقشات سحر
إلى أن صيرتني في هواها أسير القلب مبهجاً بأسري
سرت لي من رُبى بيروت تهدي شذى لبنان معلنة بسري
تخبرني وقد ألفت خبيراً قريب العهد من خبر وخبر
بان ذوي هواي بها على ما عهدت مبرة وكال بر

ألا حيا رُبى بيروت غنى
 بدراً يملأ الأرجاء دُرا
 وحيها من بها رُبى وحيها
 وحيها حي وافدة أتنى
 وسرّت بالتحية من سري
 سليل كرامة وريب عز
 وفرع نجابة من عود مجد
 كمي من سلالة أرسالان^(١)
 فتي خطب العلا وصبا اليها
 ومن خطب الحسان فلا شفيع
 تعلق قلبه من عهد مهـ
 وأولع بالمعالي والمعاني
 ولا لصباة في ورد خـ
 ولا مستبطناً وعداً لدعدٍ
 ولكن لاقتناص شروء معنى
 وإن يلعب فما لعب بعيب
 ولكن تأنف الهمم العوالي
 تحرم قرب أمر فيه إمر

ولبنان الحيا منهـل قطار
 ويمزج تُرب أرضيها بتبر
 زماناً مر فيها غير مُمر
 بريها تضيع بنفح عطر
 حرى بالوداد على قدر
 ونسل صيانة ورضيع طهر
 أثيل الأصل من أثلاث فخر
 ذؤابة قومه الأسد الهزبر
 فكان لها صباه خير مهر
 لهن سوى الصبا مقبول أمر
 بكسب المجد محتنباً لخسر
 ونظم الشعر لا لطلاب وفر^(٢)
 ولا لصباة^(٣) من خمر ثغر
 ولا مستبطناً أمراً لعمر
 يعن وحكمة تبدو وسر
 لعهد صباً وشرخ شباب عمر
 على رغم الصبا سفساف أمر
 وتوجب هجر كل مقال هجر*

(١) يشير إلى معنى أرسالان وهو الأسد وهي لفظة صارية يسمي بها العرب مثل العجم
 (٢) أي عانى الشعر تأدبا لا تكسبا (٣) الصباة بالفتح الشوق وبالضم البقية من الماء
 (*) الامر بالفتح الشأن والكسر المنكر . والهجر بالفتح مصدر هجر وبالضم
 القبيح من الكلام

وکتبت للشاعر المشهور المرحوم اسماعیل باشا صبري يوم كان
محافظا لثغر الاسكندرية . وهذا منذ ۴۰ سنة

دع عنك ما قال العذول ولا کا
قالوا لك اختار السلو وإنما
أما هواك فذاك غير مفارقی
فی کل يوم لوءة قد غادرت
وحنین نفس لا هناء لها سوى
تهنؤ لتعتنق النسيم لعله
وتود من فرط الغرام جوانحي
قد حل حبك فی الفؤاد فما جلا
ويلوہنی العذال فیک ولو رأوا
بل لو رأى النساك فی قراتهم
يکفهم منك المحيا طلعة
قسما بمن برا الحسان ومن برا
إني لأحيا أن تجود بطلعة
وأبيت أرعى البدر فی غسق الدجی
لا تحسن البعد مال بصبوتی
والله لا یدری البعاد ولا النوى
کم ليلة حیرات أرقب نجمها
أحیيتها حتى إذا رق الدجی
ذعرت نفور الآبدات كأنما
هیهات أصبو عن حنی ولا کا
أسلو إذا کان الحبيب سواکا
ونعیم روحی أن تكون فداکا
جسمي آقا دنفا لأجل لقاکا
تذکار شخصک أو شذی ذکر اکا
قد مر من جهة بها مشواکا
لو کن أجنحة إلى مرآکا
عنه فلا ملک سواک هناکا
ما قد رأیت تميموا بهواکا
تلك الشائل ما اغتدوا نساکا
البدر فيها لو سمرت وراکا
عقد القلوب على الحسان رکاکا
متبذلا وأموت عند حیاکا
إن لم أصبک فقد أصبت أخاکا
بل زاد فی التمزيب بعد مداکا
الا الذی قد ذاق مر نواکا
ترد المجرة فی السماء عراکا (۱)
باتت تهاوی فی الصفيح دراکا
نصب الصباح لصيدهن شباکا

ليلي : أما للشهب عندك مربوط
كن لي وحقك في المواقف شاهدا
جهلوا السريرة جملة وتحدثوا
من لم يذق بُعد الألفة لم يزل
فسقى الألفة والذي حلوا به
وسقى عهودهم العهد وهز في
ورعى بوادي النيل غني عصبة
لا أنس أيامي بأنس لقاءهم
يا حبذا واديك من متربع
ورعى بأرضك سيداً اضحت به
شهم لعمرى ما أفضت بلاغة
كالبحر من كل الجهات أتتته
وال توشح بالسكبال فقل له
أسرت محبته القلوب فقيدت
قل للمطاول مثل غاية فضله
من يرعه في لطفه ووقاره
مهلاً يا اسماعيل في طرق العلا
لله ما أهدى فعالك للثنا
حسب المزاحم من علاك مناصبا
تاقت بك الاسكندرية بهجة
لم تدر مثلك في الولاية ولا درت
وإليك يا ملك القريض قصيدة
قدمت على اسماعيل وهي عريضة

كي لا تفر إذا الصباح أتاكا ؟
فلطالما أحيت من أحياء
ولأنت أعلم يا ظلام بذاكا
أولى العجائب أن يخاف هلاك
غيث همى لا يعرف الامساكا
وادي الألفة أيكه وأراكا
أضحى لهم حفظ الوداد ملاكا
كلا ولا يا نيل طيب هواكا
زاه ونعم الحوم حول حماكا
الاسكندرية تغرك الضحاكا
عنه قصرت عن المدى إدراكا
لترى الحقيقة جاء ملء حجاكا
سبحان من ولاك بل أولاك
فيها ولكن لا تريد فكاكا
هيات تظفر بالنجوم يداكا
ياق الملائك فيه والأملكا
واستبق فيها فضلة لسواكا
وأضل في ليل المريب سراكا
ان يستظل بظل فضل رداكا
بلغت نهاية حظها بنهاكا
تلك المنار الغر مثل هداكا
وقفت على خجل يباب علاكا
في لحم طامعة بنيل رضاكا

بينما أنا ذاهب من سورية الى الاستانة مبعوثا عن حوران في أيام الحرب العامة
نزلت ضيفا في طرسوس على سعادة الشهم الأمثل محمد بك راسم من كبار أعيان
مصر المقيم هناك ، وكانت حصصات حادثة على فتاة حسناء تشتغل في معمل القطني ،
وضويقت الفتاة لاجل جمالها ، والبك المشار اليه لا يعلم بالواقع فلما بلغه الخبر امتعض
ومنع من التعرض لها وجعلها في مأمن من سطوة العاشق ، وصادف وجودي
هناك فقلت على سبيل المداعبة :

أقسمتُ إذ طلعت عليَّ شمسها	وزهت بها الأرجاء وهي عروسها
أعلى محل في الجمال محلها	وبها فأجمل بلدة طرسوسها
لم أحسد العشاق إلا واحداً	أحظاه رب العرش فهو جليسهـا
في مجلس يدع الحليم مرئحاً	سيان فيه لحاظها وكؤوسها
ما إن رأتها مهجة إلا فدت	ذاك المحيا نفسها ونفيسها
ومن العجائب وهي ريمة رامة	تغنوها غلب الرجال وشوسها
هي جؤذر ولكم سبت من ضيغم	لا يستبيه من الجيوش خميسها
جارت عليها وهي بعد ظبيسة	نكباء تصطمم الأسود ضروسها
فعدا عليها مذ نعومة ظفرها	خبياً نعيم الحادثات وبوسها
بعد القصور العاليات رأيتها	في كسر بيت تصرها ناموسها
بعد الثراء الجم حيلة صانع	ولكل حال في الزمان لبوسها
تمضى لها في الغزل بيض أنامل	ظلم الذي هو بالحرير يقيسها
القطن يهزأ بالدمقس بكفها	والخز ودّ لو انه ملموسها
في الغزل أصبح شغلها ولنا به	متحركا قطع تضيق طروسها
يرجو الملوك نظيرها لبنيزهم	فيعود رب الملك وهو يئسها
أحبت عيسى والصليب لأجلها	حتى يكاد يؤم بي قسيسها
وأخالف الشيخ التيمي الذي	ما كان يطرب سمعه ناقوسها

لو كان شاهد وجهها وعفافها
بطشت بنا وهي الضعيف بذاتها
هو ذلك البطل الذي في ذكره
عادت به الآمال خضرا نُضْرًا
أبقى الاءله سعووده موصولة
وأراه كل الكاشحين أذلة
مع حسنها ما آده تقديسها
بطشات أنور بالعداة يدوسها
أبدًا يضىء من الوجوه عبوسها
من بعد ما عم البسيط ييسها
فها تغيب عن الديار نحوسها
مخفوضة بذرى علاه رءوسها

و كانت صورة هذه القصيدة وصلت إلى الشام فبعث إلي الأديب الكبير خليل
بك مردم بك من سراة دمشق بالآيات التالية على سبيل المداعبة :

ما للصبابة منك هاج رسيسها
عندي بقلبك والأوانس والدثمي
شمست عن التهمام نفسك يافعا
لله فاتنة تملك قلب من
فعلت به ألحاظها ما قصرت
يا من سُحرت بقوله هل ذاك من
إن كنت أحببت الصليب لأجلها
والروح والانجيل حلقة صادق
إني لهجت بذكر يوحنا ومر
وشريت تكريس البتول ويوسف
هذا ولولا حب دين محمد
هامت بها نفسي لو صفك حسنًا
و لنار قلبك عاد فيه حسيسها
لا تستيه سعادها ولميسها
هل ريض بعد الأربعين شمسها
تحنى لديه من الرجال رءوسها
عن فعله أقداحها وكؤوسها
تأثير عيניה وأنت جليسها
وشجا فؤادك قارعا ناقوسها
ويمين حق لا يرد غموسها
قس وازدهى في ناظري جرجيسها
وحفظت ما قد قاله قديسها
« من دون كاد » لأتم بي قسيسها
حتى كأن مو هو مها محسوسها

فأجبت بما يلي وهو أيضاً من باب المفاكة :

والله مذ طلعت علي شمسها
ريضت لها نفسي وزال شمسها

والشمس ما طلعت علت أنوارها
ألقت على قلبي المتيم لحظة
رق الفؤاد لها فصار رقيقها
تدعى الأسيرة غير أن غزاتها
قد غيبتها في السجون فلم يطل
خلصت تجر منه ذيل صيانة
وكذا الجمال اذا سرت أجناده
مذ صوّبت نحوي سهام لحاظها
نفدت لها بين الجوانح نظرة
باتت تقلب في ضعيف بنائها
هيهات أطمع بالثبات أمامها
من ذا يعارضها بملك عييدها
شاهدت منها منظرا تحيا به
وسرقت نظما من مباسم ثغرها
قل للخليل يتيه في فيحائه
ويروود مرجتها عشية سبتها^(١)
ويصيد غفر طبائها في كنسها
أظننت شطر الحب خصك مفردا
وحسبت ما في الركب غير «خليلها»

وعرا الكواكب والبدور خنوسها
خضعت لها روي ولان شريسها
وحنى لها رأس العلو رئيسها
عادت لها أسرى تذوب نفوسها
أن صار رب الحبس وهو حبسها
هي منه في لمعانه طاووسها
سالت بأودية القلوب تجوسها
وهنت دروع مفاصلي وتروسها
فيها يضل الطب جالينوسها
أسدا تضيق به الاسود وخيسها
بل يجذب الصوان مغناطيسها
مذ فوق عرش الحسن كان جلوسها؟
روح ولو بلغ الفصل نيسها
دررا يعز بمثلها قاموسها
ويروض كل كريمة ويسوسها
وله بكل محطة جاسوسها
واليه تجبي جوبر وكنيسها^(٢)
وسواك في اقسامه مبخوسها؟
و«أديب»^(٣) ذلك وحده نقريسها

(١) في دمشق عادة هي خروج الناس الى المرجة للترهة عصر السبت

(٢) جوبر قرية من قرى القوطة لخليل بك فيها بساتين كان يدعونا للترهة

فيها . وفي جوبر كنيس لليهود قديم جداً (٣) الحاج اديب خير من اخواننا

أَوِإِنْ قَطَعْتُ الْأَرْبَعِينَ أَيْذْبَغِي أَنْ تَسْتَوِي غَزْلَانِهَا وَتَيُوسِهَا ؟
أَوْ مَا عَلِمْتَ الْأَرْبَعِينَ رَجَالَهَا نَعَمْ الْفُؤَارِسُ إِذْ يَفُورُ وَطَيْسِهَا
وَهُمُ الْجَهَابُذَةُ الْأَسَاتِذَةُ الْأَلَى لَيْسُوا أُصَيِّبَةُ تَعَادِ دُرُوسِهَا
وَهُمُ إِذَا ضَمَّتْهُمْ أَعْرَاسِهَا مِثْلُ الضَّرَاغِمِ ضَمَّهَا عَرَّيسِهَا*
أَيَكُونُ مِثْلِي شَاعِرًا وَأَكُونُ مِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ مِنَ الْوُجُوهِ أَنْيْسِهَا ؟
مَا زَالَ سُلْطَانُ الْجَمَالِ مُحْكَمَا تَأْتِيهِ مِنْ كُلِّ الْقُلُوبِ مَكُوسِهَا

وَبَعَثَ لِي سَنَةَ ١٣٣٤ سَعَادَةُ خَلِيلُ مَرْدَمِ بَيْتِ الشَّاعِرِ الْكَبِيرِ مِنْ
عَيُونِ أَعْيَانِ الشَّامِ قَصِيدَةً رَائِيَةً مِنْ بَحْرِ الطَّوِيلِ يَلْتَمِسُ مِنِّي فِيهَا أَنْ
أَجِيزَهُ فَأَجَبْتُهُ بِالْقَصِيدَةِ الْآتِيَةِ :

أَرَى جَمْلَةً فِي صَفْحَةِ الْكُونِ لَا تُقْرَأُ وَعَاطِفَةٌ فِي النَّفْسِ تَدْرِي وَلَا تُدْرَى
وَنَارًا بِأَحْنَاءِ الْأَضَالَعِ كُلِّهَا تَخْلُلُهَا بَرْدُ الْيَقِينِ ذَكَتِ جَمْرُهَا
هِيَ النَّارُ فِي الْأَحْشَاءِ لَكِنَّهَا هَدَى لِمَنْ كَانَ لَا يَرْضَى بِإِيمَانِهِ الْكُفْرُهَا
عَلَى ضَوْئِهَا سَارَ الْأَئِمَّةُ قَبْلُنَا وَهَزَوْا عَلَى الْأَمْلَاقِ أَلْوِيَةَ حُمْرِهَا
وَكَمْ شَاهَدَوْهَا بِالْحِجَازِ وَنُورِهَا يَضِيءُ بِأَعْنَاقِ الْإِيَانِقِ مِنْ بُصْرَى
وَأَوْلَا سَنَاهَا مَا دَرَى ذُو بَصِيرَةٍ أَقْلَبَا حَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ أُمَّ صَخْرِهَا
وَلَوْلَاهُ لَمْ تَعْرِفْ عَنِ الرُّوحِ سِيرَةٍ وَلَا أَثَرَا عَنْهَا قِصَصُنَا وَلَا إِثْرَا
لَقَدْ غَابَ عَنْهَا كُنْهَهَا وَمَكَانُهَا وَلَكِنْ عَلَى الْأَكْوَانِ أَثَارُهَا تَتَرَى
لَهَا كُلَّ آنٍ فِي الْبَرِيَّةِ مَظْهَرُهَا يُخْبِرُ أَنَّ اللَّهَ أَوْدَعَهَا سِرَا
يَقُولُونَ خَلَقَ كُلُّ مَا فِيهِ آيَةٌ أَجَلَ أَنْمَا سِرُّ الْهُوَى الْآيَةُ الْكُبْرَى
دُخَانُ بَلَا عُودٍ وَعَرَفَ بَلَا كِبَا وَبَرَقَ بَلَا سَلَكٍ وَسَرَى بَلَا إِسْرَا

فمن يتأمل في البعيد يجد لدى
ومن يتروى في دموع يسيلها
رأيت على طرس الوجود صحائفها
منظمة حبا مشتتة قلى
جنود من الارواح قد أصبح الهوى
لها في صبايات القلوب مذاهب
كما هام قلبي بالخليل بن مردم
أجل سراة الشام بيتا وانه
وأرحبهم ذرعا وأطولهم يدا
وأقسم إني ما رأيت نظيره
ولألا نور المصطفى في نجاره (١)
أتانى قصيد منه يبغى إجازتي
وكيف يحيز المرء من بان شأوه
وجاد بشعر كدت عند نشيده
يساجانى حر القريض وهل ترى
إجازة مثلي مثله خالص الدعا
وانى أرى فيه مذ اليوم مفردا
شهدت به في الحسن بدرا وفي التقى

أما قصيدة خليل بك مردم بك* فهي هذه وهي من أوائل شعره :
أحس بشيء في الحشا يشبه الجمر
أيت وجنبى لا يلائم مضجعا
أهذا غرام هيجته لي الذكري ؟
ودمعي لا يرقى وطرفى لا يكرى
(١) النجار بالكسر الحسب اشير الى ان والده خليل بك من آل حمزة السادة المشهورين

فأنثره طورا وأنظمه أخرى
وأخت الظبا طرفا كقلبي أونحرا
تقربني فالحب جرّ لي الهجرا
وآخره والله أنت اذا أكرى
فألثه إذ قلبها يشبه الصخرا
ولكنها يصبو الحليم لها قسرا
والكن سقتني في نواظرها خمرا
اذا هام وجداء أو شعور الشجى المغرى
هم أولياء الشعر عرفتها الشعرا
أراني لم أسلك به مسلكا وعرا
قرونا فاضحى غصنه بك مخضرا
فبوركت يا عصر القريض به عصرا
وأحمد والطائي الالى نظموا الدرا
ومهيأ من كانوا لأعصرهم فخرا
فقروا عيوننا فالقريض لقد قرا

أصيح لما يوحى الغرام لمسمعي
أأخت الدمى قلبا خلا ونعومة
أتدريين فوق الحب منزلة لكم
فعند هبوني أنت أول خاطر
أمر على الصخر الاصم تعلمة
وما كنت ممن يعجم الحب عوده
« وما أنا ممن تأسر الخمر لبه »
فتور كشعر الصب بالهجر رقة
فلو كان لي شيء من الشعر بين من
أجزني أمير الشعر بالشعر إني
رددت عليه حسنه بعد ما زوى
أعدت لنا عصر النواصي ومسلم
فمن مبلغ شيخ المعرة شيخنا
وشاخ القريض البحتري مع الرضى
بأنا رأيناهم جميعا بشخصه

رئاسة كل فاعملنّ لذا شكرا
لقد كنت والرحمن في صونها أخرى
كرام خصال قد تجاوزت الحصر
ومجد تسامى رد عين العلا حسرى
اجازة شعر منكم أبتغى مهرا

إليك أمير السيف والقلم انتهت
بأكنافك العليا تلوذ صيانة
لك الله من شههم قد اجتمعت به
« عفاف وأقدام وحزم » ومنعة
إلى ظلك العالى زففت خريدة

حادثة سياسية

استحالت فكاهة أدبية

وفي أيام السلطان عبد الحميد وشي واش بالاستاذ العلامة محمد أفندي كرد علي في دمشق فارسل الوالي ناظم باشا فكبس منزله وعثر على بعض أوراق يعد حفظها يومئذ من الجرائم فجاء من أخبرني بالقصة وأن الكرد علي قر وتواري في الغوطة فذهبت في الحال الى ناظم باشا وأبدت وأعدت حتى غص النظر عن هذه المسئلة وأبلغت الاستاذ أن يعود آمناً : فعاد الى داره وبعدها جاء هو والاستاذ الكبير الشيخ طاهر الجزائري ليشكراني على ما قمت به من تفريج هذه الازمة عن الكرد علي فصرت أداعبه ببعض أبيات ارتجالية في الموضوع فطرب لها الشيخ طاهر واقترح اكملها قصيدة فأكماتها ثاني يوم وانتشرت في كل ناد وهي في كتاب خطط الشام تأليف الاستاذ الكرد علي

ألا قل لمن في الدجى لم ينم	طلاب المعالي سمير الالم
ومن أرقته دواعي الهوى	فدون الذي أرقته الحكم
فكم في الزوايا تخبا قتي	طريد الكتاب شريد القلم
يري الارض ضيقاً كشق البراع	وبهوي على ذا الوجود العدم
وكم ذا بجسرين (١) من ليلة	على مثل جمر الغضا في الضرم
تمنى الاديب بها ندحة	ولوبات يرعى هناك الغنم
وكم سروة تحت جناح الظلام	كسر بصدر الاديب انكتم

(١) قرية في الغوطة للكرد علي بها ملك

يخاف بها حركات الغصون ويخشى النسيم اذا مانسم
 وان تشد ورقاء في ايكه تورقه في صوتها والنغم
 وكم بات للنجم يرعى اذا اديم السما بالنجوم اتسم
 وطال به الليل حتى غدا يظن عمود الصباح انحطم
 ومن دُعره خال ان النجوم لتهدي الى مسكه عن أمم
 اذا ما السهاك بدا راحا توهمه نحوه قد هجم
 ولولا الدجى لم يتم النجا وقد امكن الظلم لولا الظلم
 ولله در القرى اذ خفته (١) فما بالسهوة يخفى العلم
 فحسرين زبدین والاشعری (٢) ديار بها قد أوى واعتصم
 ونحو المايحة (٣) رام الخفا وكم بالمايحة من متهم
 ديار أبى أهأها غدره وآواه منها الوفا والكرم
 ولا شك رقوا لأحواله طريداً يعاني الجوى والسقم
 ليالى كانون في الاربعين وبرد العشيات أغلى الفحم
 بأرض ثراها سماء وماء ففوق السواقي وتحت الدّيم
 يحول وقد صار مثل الخيال ودق فلولا ح لم يقتحم
 وفوق الحدود كلون البهار وتحت المآقي كلون الغنم
 وفي كل يوم سؤال وبحث وانى تولى وأين انهزم ؟
 وقد كان فى كبسهم بيته بخلق قالّ وقيلّ عمم
 فكانت على كتبه غارة كغارات عرب الصفا (٤) بالنعم
 وقالوا سينفى الى رودس وقالوا سيجزى بما قد جرم

(١) خفاء مثل اخفاء (٢) أسماء قرى (٣) قرية أيضا كان منها عبد الوهاب
 الانكليزي رحمه الله وكان متبها بمنأوة الحكومة (٤) عرب الصفا مشهورون بالنهب

وقالوا سيحمله ادهم
 وبعض بسجن عليه قضى
 وكرد علي غدا عبرة
 فيا كرد لا تحزنك الخطوب
 ومن رام ان يتعاطى اليبا
 قذى حرفة القول حريفة
 وكم كتبه أعقبت نكبة
 ومن بالكتابة ابدى هوى
 فيا كرد صبراً على محنة
 وصبرا على ورقات لها
 وواهاً لباقات زهر غدوت
 ازاهر تسهر في جمعها
 وما نم الا بنشر ذكى
 فقولوا لواش بكرد علي
 فما كان كرد سوى صادق
 وما وجدوا عنده رية
 فهل يطفئون بأفواههم
 وما دام ناظم في شامنا
 ولولا العناية من ناظم
 وقانا دسائس أهل النفا
 وقد اضحت الشام في عهده
 وباتت من الزور في مأمن
 بمرقاه لا تستريح القدم
 وبعض بضرب عليه حكم
 فغات ومنه الرجاء انصرم
 فان الهموم بقدر الهمم
 ن توقع ان يبتلى بالنقم
 وكم أدركت من لبيب وكم
 وكم من كلام لقلب كلم
 فان الكتابة منه القسم
 فكم محنة شيت من لم
 عيون المعاني يبكين دم
 لها جامعا يا أخي من قدم
 فلا غرو أن فاح عرف قم
 وطيب يفوق عرار الا كم
 نشرت الثنا حين حاولت ذم
 لدولته طالما قد خدم
 تعد ولو في صغار اللمم
 من النور ما قد رآه الامم
 فما نستضام ولا نهضم
 لما كان شمل لنا منتظم
 ق ورد الوشاة وجلى الغمم
 يصوب عليها . . عهاد النعم
 وحق الامان يباب الحرم

وأطلعني في مرسين صديقي المجاهد الأكبر السيد أحمد الشريف
السنوسي على قصيدة همزية قيلت في عمه السيد محمد المهدي رضي الله
عنهما فعارضتها قائلا من البحر والقافية :

هل ترى ينتهي عليه الثناء	سيد ينتهي إليه السناء
وتؤدى له البلاغة حقا	ويوفي أخباره الانشاء
ويجلي القريض صورة معنا	ه ولو بالشعري أتى الشعراء
قد كفانا من وصفه أنه	الـمـهـدي مذ قد تجلت الاسماء
نجل قطب قد كان في	الشـرق والغرب سراجا بنوره يستضاء
هو بحر الشريعة ابن السنوسي	الذي عنه سارت الانباء
لم يدع في العلوم علما ولم يه	تله والعلم قتله إحياء
جمع العلم والولاية فاءتم	به العالمون والاولياء
استفاض لديه نورا على نو	ر وكل على الوري لألاء
فيه لاقى العلم اللدني علما	سهر الليل أصله والعناء
لا يرى العلم في سوى العمل الصا	لح فالعلم آلة ووعاء
فلهذا ترى الطريق السنوه	تي على الفعل قام منه البناء
بات فعلا هدى مرید السنوه	ي وأن ليس بالكلام اكتفاء
كلهم عامل لذلك فيهم	تتبارى العقول والاعضاء
كم تولى بالكف سكة حرث	حبر علم حفت به القراء
حققوا سنة المعلم للخير	الرسول الذي به الاقتداء
بث ما بين مطلع الشمس والمغرب	رشدا ضاءت به الارضاء
وزوايا في كل غور ونجد	ليس يستطيع حصرها الاحضاء

وبدا بالبناء في الجبل الاخضر
 في ذرى السيد الجليل الصحابي
 حيث قد لاح ذلك السيد المم
 أي فرع لآي أصل لعمرى
 لا بل الابن جاء أوفى علواً
 الهام المهدي والسيد الصا
 أزهر الوجه ناصع اللون لم ته
 أكل الطرف مستدير المحيا
 أبيض الخد والثناء وفي أي
 أروعي صلت الجبين إذا قابلا
 ربعة قد قوى عريض
 واسع الثغر باسم عنه دراً
 شن كف لكن أيديه الشدة
 هاشمي أشم أنف كذا مع
 يتجلى كاله في عيون
 يملأ العين هبةً وجلالا
 من رآه يقول هذا هو المم
 أشبه الناس بالذي ومن يش
 نشر الدين في بلاد السوا
 وباسيافه طرابلس الغرب
 حيث البنية البيضاء (١)
 سيدي رافع عليه الرضاء
 دئي بدرًا ضاءت به الظلماء
 قد تحاكي الآباء والأبناء
 ولئن فاق من أبيه العلاء
 دع بالحق والسحاب الرواء
 جب بأبهي من شخصه الزهراء
 لاح فيه الهدى وجمال الحياء
 من خديه شامة سمراء
 ته قلت كوكب وضاء
 منكباه وأذرع فتلاء
 والثناء في ثغره فلباء
 نة بالجود سبطة سمحاء
 شمم الانف همة شماء
 زينتها حواجب وطفاء
 وهو مع ذاك لحظه اغضاء
 دتي حقاً والهدى سيماء
 به أباه فليس منه اعتداء
 دين جميعاً فعمها الاهتداء
 أجيرت وبرقة الحمراء

(١) زاوية البراءة المسماة بالبيضاء وفيها ولد السيد المهدي وبقرها مقام

سوف يدري الطليان أن في السويـداء رجال حروبهم سوداء
 في مجال الطعان أسد محارب ولكن عند المحارب شاء
 ينصرون الاسلام بالسيف والمصـحـف فـالـقـرآن فيهم سواء
 يعمرّون الأرض التي أورش الله عبـداً له هم الصالحاء
 لم يحملوا قفراً من الأرض إلا اهـتز منه حديقة غناء
 فاسأل القرو والجغاييب والكفـرة* ينطق عمرانها والبناء
 واسأل الواح كلها كيف عاشت بالسنوسى تلکم الصحراء
 ليس يخشى الا فرنج مثل السنوسى وما هم في خوفهم أغبياء
 عرفوا قدره وبعد مراميه فأشهاد فضله الأعداء
 كم غدت من سطاه ترجف رعباً دولة ملء أنفها الكبرياء
 رد ازر الاسلام صلباً سويـا بعد أن كان شفه الانحناء
 وأعاد الاسلام غصناً كما كان عليه الأسلاف والقدماء
 لم يقم مثله لإرشاد خلق ذلك الحق ليس فيه مرأ

﴿مدحتي لسمو الخديو توفيق باشا﴾

أول مرة خرجت فيها من سورية كانت رحاى الى مصر : وكنت
 في الواحدة والعشرين من العمر، وأقمت بالقاهرة أكثر من شهرين وأنا
 ملازم أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده وتلك الحلقة التي كانت تجتمع
 بالقرب من قصر عابدين في بيت المرحوم سعد افندى زغلول الذى
 صار فيما بعد زعيم مصر، ثم برحت مصر قاصداً الاستانة ومررت على
 الاسكندرية وذهبت إلى سراي رأس التين حيث أكرمنى الجناب الخديوي

(*) القرو واحدة في الصحراء وهتلها الكفرة ومثلها الجغوب وقد عمرها كلها
 السادة السنوسية

يومئذ محمد توفيق باشا بمقابلته، وكنت هيات قصيدة لسموه لكنني لم أقرأها بحضرته بل سلمتها عند خروجه منها لرجال المعية السنية، ففي اليوم التالي نشرتها المعية في جريدة الوقائع المصرية وكان محرر الوقائع المرحوم الشيخ عبد الكريم سلمان فكتب فوقها تنقيحاً جميلاً. وليست جريدة الوقائع الآن تحت يدي لأنقل القصيدة برمتها وإنما أتذكر منها الأبيات التالية :

أقول لنطقي اليوم إن كنت مسعدي	إذا أرق أسباب السماء بمصعد
وانظم من القول النفيس فرائدا	تنزل شعري الأفق في شعر منشد
إذا أنا لم أوف المكارم حقها	من الشكر في سلك القريض المنضد
فلا شغفت لي بالمكارم مهجة	ولا عز آباء ولا طاب محدي
ولا بلغت بي رتبة من مكانة	أنال بها لقيا العزيز محمد
وأذكر عليه وذكر محمد	أذ كلام قيل بعد التشهد
عزيز حمدت الدهر عند لقائه	ومن لقي التوفيق للسير يحمد
ولا غرو أن حنت لتقبيل كفه	على البعد نفس تلمس النجم باليد
وشاقت له رب الرقائق طلعة	لعمرك تذكي الشوق في قلب جلد

ومنها :

فدونكها يا غرة الملك غادة	تميس كغصن البانة المتأود
وإني إذا أهدى العزيز مدائيحي	أبوء بصدق القول غير مفند
ومن رام من إدراك كنهك غاية	يحد غاية ما تدن للوصل تبعد
وإلا فما حاولت إدراك غاية	بشعري ولا نظم القصائد مقصدي

ولي من عبث الشباب تقليدا للشعراء :

أرى في غزال الدو منه شمائله
وتخطر قضبان العذيب فتثني
أكاد لمراى كل غصن أراكة
وأعشق نور البدر ليلة تمه
يقول عذولي شف مسكتك الهوى
فقلت جميع الرشد في سبل حبه
وقالوا أضعت العمر في حب أغيد
فقلت لهم يا حبذا ما أضعته
فدا كل ظبي بين سلع وحاجر
ومهما يعذبني فعذب مذاقه
وما أسعد الليل الذي أنا ساهر
وقالوا قطعت الأربعين فما الهوى
ولم يعلموا ان المهار وإن زكت
بلى أنا سلطان الغرام وهذه
إذا في كتاب الحب طالع مغرم
أنا الصب متبولا بذكر حبيبه
خلي إذا رام الصلاة تداخلت
فأهفو اليه كلما مر سائحه
معاطفه في خاطري وجوائحه
أعانقه من أجله وأصاحه
لأن قد بدت منه عليه ملاحه
فأنت لعمرى ذاهب الفكر سائحه
إذا لاح لي من ذلك الوجه لائحه
ومن علق الغزالان ضاعت مصالحه
بمن حبه كنز تنوء مفاتحه
لمهجة ظبي في الفؤاد مسارحه
ومهما يورقي فاني مسامحه
وما أقدس الدمع الذي أنا سائحه
وقد صاح في فوديك للشيب صائحه
لتعجز عما طال في الجري قارحه
صحائفه في راحتي وصفائحه
فقلبي ممليه ودمعي شارحه
وشرط المعنى أن تغيب جوارحه
تحياته مع ذكره وفواتحه

وامتدحني بعض الشعراء المفلقين في جريدة الفتح فأجبتهم بالآيات الآتية:

يقرّضني قومي بآني مدحتهم	كما يمدح الروض الذكي على النفح
ولو أنهم قد أنصفوني لما رأوا	بمعرفتي الحق عارفة المنح
إذا لرأوا آثارهم شاهدا لهم	يكاد لديها الطير يهتف بالصدح
شهرت بما شاهدت مامن علاقة	ولا صلة توهم الشهادة بالجرح
ولكن من شأن الفصاحة أنها	إذا بهرت تعطو إلى خلق ستمح
سيوف نضاهها الله إذ حمس الوغى	ونادى منادي الدين للرمي والنضج
تواصل في جيش الضلال قراءها	فما برحت تشفي الصدور من البرح
تألا في قطع من الليل مظلم	سناها فكان الليل أضوا من الصبح
فلا تأخذكم في الغواة دواءدة	وفدوا جموع الشر بالضرب والطرح
لقد خروا في الدين والعرض جهرة	ولجوا فعاد القرع ينكأ بالقرح
فليس بغير الكسر حسم لدأهم	وغير العصا والجوز يؤكل بالشقح
وكل ذنوب العالمين مصيرها	إلى العفو إلا الشرك ممتنع الصفح
سينصركم من تنصرون كتابه	ويؤتيكم الفتح القريب من الفتح

ولي هذه الايات السينية المنشورة في جريدة الفتح عدد ٢٥٨ وقد قدمت عليها هذه الجملة :

إلى الشاعر المفلق النجمي زاده الله ابدعا

قرأت أيها الاخ أياتك السينية فهاجت بي خاطر الشعر برغم كل هذه الشواهد وهذه العوادي ، فأخذت القلم وسالت القريحة بالآيات الآتية والله يشهد أنها وليدة بضع دقائق ، إلا أنني لا أخالي إذا أطرقت ونمقت آتي بأحسن منها فخذها على علاتها :

ما أدهشتنا من النجمي قافية كأنها الغادة الحسناء في العرس

لها سوابق قد جاءت سلسلة
 قل في حبيب وبشار ورهطهما
 هيهات أفرق إعجابي بأيهما
 شعوا به تسكر الالباب سائحة
 لا يعرف السامع الوهان نشوته
 رويته العذب في تحكيم موقعه
 لا يحرم الله حزب الحق طائفة
 قد آن للظلم أن ينجاب عن فرج
 على اطراد كعوب الذئبل الدغس
 والبحتري ولا تضنن به وقس
 من تلكم النفس أم من ذلك النفس
 كما تسافر بنت الحان بالجلس
 من سبكة الجزل أم من نسجه السليس
 من أول الشطر يدري غير ملتبس
 إن تنصليت في مجال الكر تفترس
 لم يبرح الفجر مشتقا من الغلس

﴿ تاريخ مولود عزيز ﴾

و كنت في أوائل سنة ١٩٢٠ مسيحية في جبل سان مورتز
 بسويسرة وكان هناك الشهم المفضل عزيز عزت باشا من عيون أعيان
 المصريين وصهره الامير محمد علي حسن من العائلة الملكية المصرية
 فولد للأمير مولود سماه (عزت حسن) فنظمت له التاريخ الآتي :

قل للعزيز أدام الله بهجته
 اهنا بسبط به من الاله ولا
 وليهنا أن الامير الشهم والده
 لما تطايرت البشرية بمولده
 أهدى محبك تاريخاً وقال به
 وبات يخدم سامي بابه الزمن
 زالت تلازمك الآلاء والمنن
 أنعم بغصن نضير جاءه غصن
 وقرت العين مما تسمع الاذن
 بعزة قد تجلى وجهه الحسن

تاريخ لزفاف محمد بك ناجي نجل صديقنا المرحوم حنفي بك ناجي
 من أعيان مصر :

يا أيها الحنفي الذي لو أننى كاتبته بسواد عيني ما كفى

هيات أقدر أن أوفي واجبا	لشاك ياسلطان أرباب الوفا
مازلت أضرب في البلاد ولم يزل	بحشاك قلب أخ علي مرفرفا
أهديت لي البشرى بعقد محمد	تلك البشارة ما ألد وألطف
أسعد بها من ليلة فيها جرى	ذاك الزفاف على سمي المصطفى
يا أيها الخل الذي شوقي له	بعد البعاد أجل من أن يوصفا
يدعرك لك اليوم المؤرخ شاعرا	لزفاف نجلك بالبنين وبالرفا
٥٧٢	١٩٨ ١٠٣ ١٤٥ ٣٢٠

❖ جواب عالم في بوسنة ❖

رأيت إلى حضرة الفاضل شاكر افندي مسيحو قتش الهرسكي من أعضاء
مجلس العلماء بسراي بوسنة وذلك في جواب كتاب منه

لما حملت بأرض بوسنا	وانجلت تلك المناير
أيقنت اني وسط ربع	بات بالاسلام عامر
ولقيت من الطافكم	ما تستبين به السرائر
مانال ماقد نلته	منكم لعمري أتى زائر
فأنا الحقيق بأن أتية	ه اذا أردت وأن أفاخر
قد كنت طول إقامتي	ضييفا تحف به الجماهر
ألقي الحذر على الوجوه	علي مثل الشمس ظاهر
ان الوجوه من الرجال	لنعم عنوان الضمائر
ورأيت وجهك كيفما	أقبلت ينظر وهو سافر
والعطف إن حل الفؤاد	غدت تؤكد النواظر
فأنا محبك ما حييت	وشاكر أبدا لشاكر

﴿ ذكرى شاعر الألمان الحكيم ﴾

ولما زرت في فرانكفورت بيت غوته شاعر ألمانية الاكبر وقدموا
لي الدفتر المعتاد أن تكتب فيه أسماء الزائرين كتبت الآيات الآتية
ارتجالاً مع تضمين البيت الاخير :

مذ قيل هذا بيت (غوته) زرتة	إذ كان للشعراء كعبة قاصد
هذا أمير الشعر عند قبيله	منه لجيد الدهر عقد فرائد
طأطأت رأس قريحتي في بابه	ولكم رأيت عتباته من ساجد
إن لم يكن من أمتي وعشيرتي	فالناس في الآداب أمة واحد
(أو فاتنا نسب ، يؤلف بيننا	أدب أقمناه مقام الوالد)

وبعد أن ذهبت من فرانكفورت استدعت البلدية الاستاذ المستشرق
هوروفيتس الذى كان يدرس العربية نفسها في كلية عليكر في الهند وله
ترجمة إلى الألمانية لديوان الكميت فيما أتذكر وغيره فترجم هذه
الآيات ونشر الترجمة في جرائد ألمانيا ومهد لها بمقدمة جاء فيها بالاطراء
الزائد وقال : هذا إكرام شاعر الشرق لشاعر الغرب

﴿ زيارة قبر سيف الله ورسوله وقائد جيوش العرب والاسلام الاكبر ﴾

ولما زرت مقام سيدنا خالد بن الوليد رضى الله عنه في مدينة حمص
وذلك منذ ثلاثين سنة فأكثر كتبت على حائط المقام هذين البيتين :
مغيبك سيف الله في غمدك الثرى دليل بأن الله لا شك واحد
فلو أن فذاً خلدته فتوحه لما كان فى الاقوام إلاك خالد

﴿ ما أنشد في حفلات تكريم كبار الشعراء ﴾

منذ نحو من ثلاثين سنة قام بعض أدباء مصر بحفلة تكريمة لحافظ
ابراهيم الشاعر المشهور، وكتب لي بعض الاخوان من مصر الى سورية
يقترحون علي إرسال بعض أبيات لتقرأ في الحفل، ومن جملة ما ذكروا لي
من محاسن حافظ انه يحب السوريين، وكان ذلك قبيل عيد الأضحى، فأرسلت
أبياتا ليست عندي نسختها الآن وإنما انا أُملي منها ما أتذكره وهو:

ورَهْطٍ دَعَوَنِي أَنْ أَجِيبَ نَدَاءَهُمْ فَلَمَّا دَعَوَنِي لَمْ يَرُونِي بِقُعْدُدٍ (١)
أَخَوَانَنَا الدَّاعِينَ بِي لِأَجِيْبِهِمْ إِلَيْكُمْ تَرَوَانِي أَهْتَازُ الْمَهْنَدُ
حَلَفْتُ بِمَا بَيْنَ الْحَطِيمِ وَزَمْزَمٍ وَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمَشِيدِ
وَبِالطَّائِفِينَ (٢) الْعَاكِفِينَ بِهَذِهِ اللَّيْلِ --- إِلَى تَرَاهُمْ مِنْ رُكُوعٍ وَسُجُودِ
يُؤْمُونَ مَثْوًى لِلخَلِيلِ وَمَرْقَدًا تَلَالًا نُورًا بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ
مَشَاةً وَرُكْبَانًا عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ وَمِنْ فَوْقِ قُضْبَانِ الْحَدِيدِ الْمَمْدَدِ
فَمَا فِي حَدِيثِ الْحَجِّ لَيْنٍ وَقَدْ غَدَا يَجِيءُ عَلَى شَرَطِ الْبَخَارِيِّ بِمَسْنَدِ
لِعَمْرِي لَقَدْ أَحْيَتْ قَرِيحَةً «حَافِظُ» عَهْدُ أَغَانٍ لِلْسَّرِيحِ وَمَعْبَدِ (٣)
يَقُولُونَ لِي شَيْدٌ عَنِ الشَّامِ ذَكَرَهُ أَلَمْ يَكْ وَلَّى الشَّامَ شَطْرَ التُّودِدِ ؟
فَقُلْتُ لَهُمْ أَتُنِي عَلَيْهِ بِصَالِحٍ عَنِ الْعَرَبِ طَرًّا أَذَاكَ أَصْلِي وَمُحْتَدِي
وَمَا عَرَبِيٌّ بَيِّنُ الضَّادِ نَطْقَهُ بِشَامِي وَلَا مِصْرِي وَلَا مِتْبَعْدِي

(١) القعد الجبان (٢) اختلف في جواز القسم بغير الله تعالى ، ونقل بعضهم عن
ابن عباس جوازه ، وانه استشهد على ذلك بقوله تعالى (لعمر ك انهم لفي سكرتهم
يعمّهون) في سورة الحجر (٣) ابن سريج ومعبد مغنيان مشهوران ترجمهما صاحب الأغاني

ومنها خطابا لحافظ :

وقبل قد أولاك «سامي» (١) شهادة
فأنت إمام النثر غير مدافع
ومثلي بمحمود السجدة يقتدي
وأنت أمير الشعر من بعد أحمد (٢)

وأقيمت حفلة لشاعر القطرين خليل بك المطران فأرسلت إلى الحفلة
بالآيات الآتية . وذلك سنة ١٩١٢

لك يا خليل من القلوب مكان
لم يختلف أحد عليك كائنا
كل الخواطر في ولائك خاطر
ويرى التكلف في سواك وإنما
يكفيك ما بين العناصر أنك إل
عجبا له جمع القلوب على الولا
وإذا تجرد للنضال فانه
هيات يبلغ شأو فتكك بالهدى
قد زين الادب الذي أوتيته
ووفاء طبع ما تخلف عن أخ
تالله في الاجياد منك قلائد
لوجئت في عصر القريض لما علت
ولئن عداك موازنوك فكم فنى
أو كانت الدنيا قسوس فصاحة

هو فوق ما بسماؤه كيوان
لك كل أرباب النهى خلان
وجميع ألسن عارفيك لسان
شرع عليك السر والاعلان
وطنى لا بغض ولا شنان
قلم بكيفك ساحر فتان
لأعز ما نصرت به الاوطان
من في يديه صارم وسان
جما أن الاخلاق فيك حسان
وزماتنا إخوانه خوان
غر وفي الآذان منك جمان
يوما بنابغة لها ذيان
مذ خف عنك علا به الميزان
بحذا عكاظ فانك المطران

(١) أي محمود باشا سامي البارودي الذي قرظ حافظا في تلك الحفلة
(٢) من شاء يفهم أن حافظا هو أمير الشعراء بعد المتنبى، ومن شاء يفهم أنه ثان لشوقي

القصيدة التي بعثت بها من امريكا إلى المهرجان الذي أقيم لأحمد شوقي أمير الشعراء سنة ١٩٢٧ مسيحية وتلاها في المحفل شاعر القطرين خليل المطران ، وكان نظمي هذه القصيدة في البحر قبل وصولي إلى نيويورك : —

نادِ القريحة ما استطعت نداءها	إنَّ الحقوق لتقتضيك أداءها
مهما ينل منها الجمودُ فإن من	عجاز أحمد ما يفجر ماءها
مهم تراكمت الغيوم بأفقها	فاليوم عندك ما يعيد جلاءها
لا تعتذر عنها بـكـر نوائب	سَدَّتْ عليها نهجها وسواءها
فأهْمُ ما هَمَّت السحاب إذا مرّت	هوجُ العواصف دَرَّها وسخاءها
والحكُّ يستوري الزناد وانا	تُرْبِي الصوارم بالصقال مضاءها
والرمح يكسب بالثقافِ متانةً	والخيل يُظهر عدوُّها خيلاءها
حاشا القرائح أن تَضُنَّ برَدِّقها	ما دام شوقي ك افلاً أنواءها
الشاعر الفذ الذي كلماته	ضَمَنَ النبوغُ على الزمان بقاءها
أنست فصاحته أوئل وائل	وغدت هوازن مع ثقيف فداءها
في كل كائنة يزفُ قصيدةً	توتي جميع الكائنات بهاءها
غدت المعاني كلها ملكاً له	فأصاب منها كل بكر شاءها
وكسا اللسان اليعربي مطارفاً	هيهات ينتظر الزمان فناءها
ستخلد الاوطان من تكميمه	ذكرى تطبق أرضها وسماها
لو أنصفت لغة الاغارب تدره	صلت عليه صباحها ومساءها
من كل موضوع أصاب شواكلاً	باغت بمقتلها الصدورُ شفاءها
يبكى « شكسبير » على أمثالها	ويدب « غوته » حاسداً عليها

ولو أن آلهة الفصاحة عندهم
صنّاجة الشرق الذى تَبَرّاته
في كل حرف من حروف يراعة
ما حل بالاسلام بأس مله
يبدى فظاءتها ويوسع هولها
كانت قصائده لبعث بلادها
وأرى الليالي لا تعزز أمة
كم أثبت التاريخ في صفحاته
ضلت لعمري في الحياة قبيلة
والعرب لا تبدأ بجمع جموعها
أكرم بأحمد شاعراً وافي لنا
أتلو قصائده فتملاً مهجتي
وأظل مفتخرًا بها فكأن لي
نخلت له نفسى مودة وامق
نعزو إلى لحم متانة أصابها
لا ترتجي منها النائم ثلثة
ناشدت شعري أن يفني بمودتي
قد صار عهدي بالقريض كأنه

أدركن شوقى خففت غلواءها
تجلو المشارق عندها غمّاءها
وترّ يشير سرورها وبكاءها
إلا ورجع شعره أصداءها
وصفاً ويذكر داءها ودواءها
صوراً أراد من البلى إحياءها^(١)
إن لم يكن سواسيها شعراءها
أمّا غدا انشادها انشاءها
لم تصطبج أفعالها أساءها
إلا سمعت نشيدها وحداءها
في روح أحمد^(٢) حاملاً سياءها
فرحاً يزيل همومها وعناءها
دون الانام ثناءها وسناءها
وفى عهد^(٣) عهودها إناءها
وتمزّ من ماء السماء صفاءها^(٤)
كلا ولا توهى الهنات بناءها
وأراه يعجز أن يجيء كفاءها
دِهْنٌ تقاضتها الرياح عفاءها

(١) كررت هذا المعنى فى رثائه رحمه الله :

بعثت به روح الحياة كأنها هي صور اسرافيل فى زعقانه

(٢) أحمد بن الحسين المتنبى

(٣) العهد أول مطر الوسمي

(٤) إشارة إلى القبيلة التي ننتمي إليها وهي لحم وآل ماء السماء ومن الماء رشفه

أدعو فلا يأتي الذي أَرْضَى به
والشعر ما رسم الضمائر نائلاً
والشعر ما ترك المعاني مُثَلَّلاً
والشعر حيث يقال من ذا قالها
وهناك نفس مرّة ما تأتي
إن لم تجدني في العجاجة أوّلاً
وفرت يا شوقي السباق على الورى
تقطع الأعناق عن غاياتها
تالله أعطيت الرياسة حتمها
وبذت أهل العبقريّة كلهم
لما رأيته قد نزحت قليتها
فاسعد بعرش امارّة الشعر التي
وتنّ وابق لأمة عربيّة

والشعر أن تجد النفوس رضاءها
منها الكنائن نافجاً أحناءها
فتكاد تلمس بالاء كف هباءها
ما الشعر حيث يقال من ذا قاءها
تملي عليّ من العلا أدواءها
نكرت علي ثلاثها وثناءها
برياسة بات السباق وراءها
حتى الأمانى لا تحوم حذاءها
وعقدت حبوتها^(١) ونلت حباءها
وبزرت^(٢) جنة عبقر أشياءها
أقيت غنى دلوها ورشاءها
ألقت إليك لواءها وولاءها
لا زلت قرّة عينها وضياءها

وأقيمت حملة عيد الخمسين سنة لأستاذنا اللغوي العلامة الشيخ
عبد الله البستاني^(٣) طاب ذكره وذلك في بيروت فنظمت هذه القصيدة
وبعثت بها من برلين

(١) ما يحتج به المرء من عمامة أو ثوب (٢) بذه بالذال غلبه وبزه بالزاي سلبه
(٣) كانت وفاة الأستاذ عبد الله البستاني شيخنا منذ بضع سنوات وقبل وفاته بيومين
سأله الأديب الشيخ خليل تقي الدين بعض أسئلة منها قوله له : أي تلاميذك
أحب إليك ؟ فأجابه : أحب تلاميذي إلي الأمير شكيب أرسلان. ثم ذكر أشياء
لا حاجة إلى نقلها هنا وإنما ننقل قوله : وهو لم ينسني مع طول الغربة وأرسل تلك
القصيدة التي أرسلها بمناسبة عيد الخمسين سنة لخدمتي اللغة العربية .

أَحْتِ الْيَادِي أَنْ تُجَلَّ وَتُعْظَا
وَتَلْبَسَهَا الْأَيَّامُ حُلِيًّا وَكِسْوَةً
أَيَادِي الْأُولَى كَانُوا مَصَابِيحَ عَصَرِهِمْ
وَمَنْ أَوْضَحُوا لِلْحَائِرِينَ مُحِجَةً
لِعَمْرِي إِذَا الْأَعْلَامُ قَيْسَتْ جَهْدُهَا
وَجَاءَ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ فَقِيدُوا
فَمَنْ مِثْلَ عَبْدِ اللَّهِ فِي الشَّرْقِ عَالِمُ
تَلَامِيذِهِ عُدَّ الْحَصَى وَتَرَاهُمْ
أَفَاضَ عَلَى الْأَرْجَاءِ عَيْلِمُ عَلَيْهِ
وَبَثَّ لِسَانَ الْعَرَبِ خَمْسِينَ حُجَّةً
وَسَلَّ سَيْوْفًا مِنْ قِرَابِ دِمَاغِهِ
وَمَنْ يَبْتَذِلُ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ نَفْسَهُ
رَقِيَ مِنْ ذُرَى التَّحْقِيقِ فِي النُّحُودِ ذُرَّةً
فَلَوْ كَانَ لَأَقَى سَيَبُويَه وَرَهْطَهُ
وَلَمْ يَكْ ذِيَاكَ الْكِتَابَ مَرَّجِبًا
وَلَوْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْقَدِيمِ مَجِيئُهُ
وَأَصْبَحَ مَعَهُ الْفَارْسِيُّ وَابْنُ فَارَسٍ
الْبَاتُ بِأَحْشَاءِ الْمَبْرَدِ غَلَّةً
وَصَارَ ابْنُ عَصْفُورٍ مَهِيضًا جَنَاحَهُ
وَلَوْ نَظَرُوهُ فِي الْفَرَائِدِ مَرَّةً
وَأَصْبَحَ مَعَهُ الْمَجْدُ قَدْ قَلَّ مَجْدُهُ

وَتُسَلِّكُ فِي الْأَعْنَاقِ سِمَطًا وَتَنْظُمَا
وَتُسَنِّي لَهَا الْأَحْقَابَ عِيدًا وَمَوْسِمَا
لَمَدَّرَعٍ لَيْلًا مِنْ الْجَهْلِ مَظْلَمَا
فَسَارُوا بِهِمْ فِي الْعَيْشِ نَهْجًا مَقُومَا
وَكُلُّ أَتَى عَمَّا فَرَاهُ مُتَرَجِمَا
لِكُلِّ عَصَامَى حَسَابًا مَرْقَمَا
لَهُ مِثْلُ مَنْ رَتَّى وَرَقِي وَعَلِمَا
بِدُورًا بِآفَاقِ الْبِلَادِ وَأَنْجِمَا
فَعَجَّ وَمَنْ لِلْبَحْرِ كَفُوَ إِذَا طَمَى
يَقُومُ مَنَادًا وَيُوضَحُ مَبْهَمَا
فَقَلَّ بِهَا لِلَّحْنِ جَيْشًا عَرْمَرَمَا
فَأَجْدَرُ بَأْنِ يَغْدُو عَزِيزًا مَكْرَمًا
يَقْصُرُ عَنْهَا مِنْ مَضَى وَتَقْدَمَا
لِعَادَ لِعَمْرِي سَيَبُويَه ابْنَ أَعْجَمَا
وَرَائِحَةُ التَّفَاحِ لَمْ تَكْ مَغْنَمَا
لَفَتَ بَعَيْنَ الْجَاحِظِ الْعَيْنَ حَصْرَمَا
وَقَدْ بَرِئْتَ تِلْكَ الْفِرَاسَةَ مِنْهُمَا
وَكَادَ ابْنُ جَنَى يُجْنِ تَأْلَمَا
وَلَوْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ طَارَ إِلَى السَّمَاءِ
رَأَوْا مِنْ عِلَالِهِ مَا يَفُوقُ التَّوَهُمَا
وَأَبْ صَحَّاحُ الْجَوْهَرَتِي مِثْلَمَا

ولو كان جار الله جاراهُ بذَّه
لقد سعدت منه العروبة بالذى
وثارت له في نصر أمة يعرب
قضى عمره سيفاً يقدر عداها
يبدج من أنوارها كل ساطع
ويكشف عن أسرارها كل غامض
فما عَنَّ في يوم شعوبى^(١) فرقة
وما لاح قرن القرن إلا انبرى له
فلو شاءت الفصحى وفاء جهاده
فمن للآلى مثلي ارتووا من معينه
عرفنا له فضلاً علينا ومنة
وما أنا إلا من تلقى بضاعة
وما الفضل إلا للقسامى^(٢) عندما
وما هو إلا بعض مرجوع صوته
حنانيك أستاذ الاساتيد إننا
ولو أنصفتك العرب لم يبق معرب
ولو كان لبنان يوفيك شكره
تقبل ثناء لو غدا رمل عاج
وقابل بغض الطرف ميسور وامق

وما افتخرت منه زمخشر بانتها^(١)
توله فيها مستهما متيا
عزائم شوق خالط اللحم والدم
فيرمى بهم شلوفاً فشلوفاً مقسماً
وقد ينكر الأنوار من رزق العمى
عليه حجاب الجهل كان مخيماً
لمنقصه إلا وخلاه ملجماً
برمي الذي يصمي لعمرى إذا رمى
لنصت له فوق السماكين مجتما
بأن ينقعوا من ذكر معروفه الظما
ولم يك ما نرعاه عهداً مذمماً
فتمق منها جهد معي ونمما
يراني الورى دبحت برداً مسهما
وتقليد ما قد كان جاد وأنما
جميعاً نحى فيك من شرف الحمى
على سطحها إلا أذاك مسلماً
لأوشك فيه الصخر أن يتكلما
بكثرتة لم نوف حقاً محتما
قصارى مناه أن تعيش وتسلبا

(١) أي وما افتخرت بلدة زمخشر بانتهاه إليها، مصححه

(٢) الذي يطوي الثياب الطيبة الأولى فتتكسر على طيه

﴿ قصيدة حفلة عبد الحميد بك الرافعي ﴾

واحتفل أدباء الشام بعيد الخمسين سنة للشاعر الكبير المرحوم السيد عبد الحميد الرافعي
 في طرابلس الشام فاقترحوا علي إرسال شيء. وكنت في برلين وذلك سنة ١٩٢٩ م. مسيحية
 فبعثت إلى طرابلس بهذه الأبيات وتليت في الحفل ونشرت في جريدة الشورى

إياك في الشرق أن تعدو طرابلسا
 وحج منها لقصاد الهدى حرما
 مدينة جادها الباري برحمته
 لم يكفها بحرها العجاج بل جمعت
 أكارم بهم باتت طرابلس
 ناهيك بالرافعيين الذين لهم
 الرافعين من الاعلام أرفعها
 لقد رعوا تلعات المجد أجمعها
 وآثروا من أيادي الفضل ما قربت
 ساروا على أثر الفاروق جدم
 مثل السيوف المواضي في ضرائبها
 وكل ذي أدب يبغي الكمال فمن
 الشاعر الفذ لو جاءت قريحته
 تغدو عذارى المعاني قيد خاطره
 من معدن كله صاف ولا عجب
 إني أقول وخير القول بجملة
 هذه طرابلس الفيحاء حافلة
 عيد الخمسين حولا قد تنجزها
 وقد أبت غربتي أني أرى وطني

إن كنت تبغي كرام الانس والانس
 أمنا وجاور لأرباب النهى قدسا
 من الخصائص ما عن غيرها حبسا
 من أهائها أبحرا في شطه جلوسا
 مصرنا يقصر عنها كل ما يبسا
 من المآثر ما يستنطق الخرسا
 والخافضين من الاعداء ما رأسا
 وجددوا من دروس العلم ما درسنا
 ثماره ومن العالما ما قمنا
 ولن يضل الذي من نوره اقتباسا
 صفاء أقيمت لشرع المصطفى حرسا
 عبد الحميد يروم الاذن ملتصقا
 تعارض العارض الهطال ما انبجسا
 وطالما امتنعت عن غيره شمسنا
 من تلمكم النفس نلقى ذلك النفسا
 لو جاء في عصره الكندشي ما نبسا
 تحتال في حلال من عيده وكسا
 في خدمة اللغة الفصحى صباح مسا
 وأن أشاهد فيه ذلك العرسا

القسم الثالث

في مرآتي العلماء والأدباء والكبراء

رثاء إمام اللغة وفارس ميدان الانشاء الشيخ أحمد فارس الشدياق

لما توفي إمام اللغة وفارس ميدان الانشاء الشيخ أحمد فارس الشدياق كنت لا أزال في السابعة عشرة من العمر وكنت معجباً بأسلوبه فضلاً عن صداقة قديمة بيننا الارسلانيين وبين آل الشدياق فلما جاءوا بتجاليده من الاستانة إلى يروت وصلى عليه في الجامع العمري الكبير تليت عليه مرات متعددة لشعراء الوقت ومنها مرثية لي . لم تذكر في ديواني الأول المسمى بالباكورة ، لأن الباكورة كانت قد طبعت قبل وفاة أحمد فارس رحمه الله . وقد فقدت من بين أوراق هذه المرثية إلى أن عثرت عليها هذه السنة في رسالة نشرها الفاضل الدكتور فيليب الشدياق تتضمن ترجمة أحمد فارس وهي هذه : —

تمادت علينا بالخطوب الدوامس	ليال لها بالمجد عصف الروامس ^(١)
وأصمت رجالا للزمان وانهم	لنعم رجال الدهر شم المعاطس
أحقا عباد الله ذا اليوم أنه	وجو ما قد اسودت وجوه المدارس
وأصبح مضمار البلاغة خاليا	لن غاب عنه اليوم « أحمد فارس »
هو الفارس السباق في كل حلبة	تجمع فيها كل قرن ممارس
أجل مجلّ في رهان براعة	وأبتع ^(٢) فرسان البيان المداعس

(١) الرياح التي تدفن الآثار (٢) الفارس الأتبع القوي

إذا صال لم يترك مصالا لفارس
أقام مناراً مادياً كل حائر
غدا ذكره ملء الزمان ولم تكن
وشيد للفصحى قصورا شواهدا
لقد جابت الدنيا جوائبه (١) التي
تبلغ نور الشرق عن وجهه سافر
فمن لفصول كان يكسوبيانها
وآيات فمخل كان يمحو بنورها
فما كل من رام العلا أدرك العلا
وإن قال لم يترك مقالا لنابس
وأوقد ناراً أمها كل قابس
لآثاره الأيام غير فهارس
على عفوها تيك الرسوم الطوامس
بانشائه كانت طراز المجالس
بها وتثنى العصر عن عطف مائس
من الوشى والديباج أبهى الملابس
دجى الشك محو الصبح ليل الخنادس
ولا كل من يعلو السروج بفارس

وقلت أرثي المرحوم محمود بك نجل المرحوم إبراهيم نخري بك
وشقيق صاحب السمو أحمد نامى بك
يا عين مهما كنت ذات جمود
ولأمطرئك من الدموع سحائباً
ولأنت يا كبدي فمن نار الآسى
ما كنت يا قلب الحديد فان تكن
أتعز في محمود دمة ناظر
من بعد ما ملأ النواظر قرة
ما كنت أحسب أن مثل جبينه
فلا بكينك دما على محمود
تروينها عن كفه في الجود
ذوبى ويانار الضلوع فزيدي
فالنار تد تُلوي (٢) بكل حديد
لو كان فيه قسوة الجلود
وغدا مسرة قلب كل ودود
شرح الشباب يعود طعم الدود

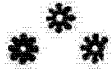
(١) الجوائب الاخبار الطارئة وبها سمى احمد فارس جريدته التي كانت تصدر
في الاستانة وكانت أحسن جريدة عربية في وقتها (٢) ألوى به ذهب

ما كنت آمل أن شُعلة ذهنه
 ما كنت آمل أن نكباء الردى
 وبكل نفس من أمائر نبلة
 سهر الليالي في وصال حقائق
 ما غره زهو ولا حسب العلا
 نظمت به زهر الخلال كأنها
 ما كان من يمضى وهذا شأوه
 ماراع مثل القصف في شرخ الصبا
 يوم غدا في كل دار مأتما
 لبس النهار به دجنة غاسق
 ولّى وخلف في ذويه من الآسى
 لو كان ينظر للحقيقة ناظر
 هذا يموت بكل يوم حسرة
 يا أيها المحمود رفقا بالآلى
 قد كنت سباقا إلى حوض العلا
 والكل ركب سائرون وانما
 رفقا بوالدك الكريم فقد وفي
 غادرت بعدك كل باك جفنه
 ومضيت قاصد جنة وتركتنا
 قد عز فيك الصبر لولا أنه
 تعدو عليها اليوم كف خمود
 تودي بغصن شبابه الأملود
 إيماض بارقة ولمح شهود
 والغير يسهر في وصال الغيد
 الا بمجمع طارف وتليد
 في الخود عقد اللؤاؤ المنضود
 في الست والعشرين غير شهيد
 والقطف قبل حلاوة العنقود (١)
 فينا وفي الفردوس يوم العيد
 ولقد يكون ضيا الليالي السود
 حالا أشق من الحمام المودي
 فالموت للوجود لا المفقود
 إذ ذاك راح بيومه الموعود
 دفنوك بين جوانح وكبود
 فسبقت نحو المورد المورد
 أهل النباهة فوق خيل بريد
 شجو الفقيده بفرحة المولود
 يمتاح من بحر البكا بمديد
 من حزننا في النار ذات وقود
 فرض وان الحزن غير مفيد

(١) أخذت هذا من قول عامي كان يقول أُمّامي لعامي آخر مات أبوه: والدك
 قد حلا عنقوده . يريد أنه آن أو ان موته

قد كنت تفدي في مقام كريمة
الموت حتم والمسافة بيننا
يتخيل الانسان أبعد مظمع
لا تستحق من الهموم حياتنا
ما كان سفاح الدموع لفاجع
لكن حق الطابع محكوم به
ياثاكل المحمود صبراً بعده
إن جل خطبك بالذى أشكلته
ومن الاله على الفقيد تحية
مهما تعاظمت الخطوب على الفتى

لو أن ثمة موقفاً لجنود
نزر وما من قادم بعيد
والموت منه مثل جبل وريد
لو أنصف الأقوام غير زهيد
رأيا بمهدي ولا برشيد
والعقل مرتبط ببعض قيود
فبقاء أحمد ساوة المفنود
فالركن باق ليس بالمهودود
وفراق عاجلة لدار خلود
فعزائه في العدل والتوحيد



وتوفيت والدته نعوم باشا متصرف جبل لبنان وكان صديقاً لنا
فرثيتها وعزيت ابنها بالقصة — يدة التالية وقد مضى عليها أكثر من
أربعين سنة :

ألا هل لجفنٍ ساهر الليل ساهدٍ
وهل لشؤون أن يؤمل غيضا
وهل لفؤادٍ أن يرجى شفاؤه
وهل لشجي من سلوٍ وقد ذكت
تبيت إذا دبّت أساود ليله
وهل لرعاة النجم في مهمه الدجي
تحدّر سيل الدمع طلقاً عنانه

تألف غمض منذ بينك شارد؟
ومن دونها ما فاض صمّ الجلامد؟
بغير لغام الزفرة المتصاعد؟
من الوجد في جنبيه نار المواقد؟
حشاياه من أنياب رقص الاساود
من الود إلا صحبة للفراقد؟
وألقت قلوباً للأسى بالمقاود

وكيف يقاوى الدهر قلب مهلهل
أباك الخوالي والبواقى رهائن
وَمُ يُبق قلباً لم يصبه ولم يكن
تأمل فما في العدر غير مصائب
ولو سبر الناس الأمور لأصبحوا
وليس الجديدان اللذان تعاقبا
وما اليوم إلا ما ينم على الورى
أهلتة الأسياف في كل مفرق
وخطب لعمرى لو أناخ بيدل
أناخ بأكناف الوزير فصده
وما كان مرزوءاً بذلك وحده
أصابت بأم برة فمصائبها
وقد كان يستسقى العهاد بذكرها
مضت لم يرتق من صفها كدورة
ولو لم يكن والله من حسناتها
ولم يك فضل قد حوته بواحد
لمستوزر من رهط عثمان بالغ
توليت من لبنان خطة شامخ
فأنهجه من عدل حكمك شرعة
وأوردته من عفة ونزاهة

يشف وذى آثاره في الجوامد
لديه فما باق به غير بائد
يصاب وما يرمى بكف وساعد
وما الناس إلا بين بك وواجد
بأسرهم من فيلسوف وزاهد
سوى جلمي^(١) أعمارنا عندنا قد
ولا الليل إلا للفناء بقائد
وما تذك الأسياف غير حداثد
لرحزح منه كل راسى القواعد
من الصبر جيش مرصد للشدائد
وقد فت في عضد التقى والمحامد
مصاب يتيم قد خلا من مساعد
إذا أظماً الوسمى أرض المعاهد
ولا احتملت إصرًا يجوز لعابد
سواك كيفها ذاك دون زوائد
وإن تك ضمت كل فضل لواحد
لعمر ك من مولاه أسنى المقاصد
له شـعفات لا تذل لما هد
أعادته أغنى من وليد لوالد
باقرار من يشنوك أصفى الموارد

فلو كلفوه أن يبتك شكره
لك اليقظة العظمى التي باتباعها
فان كان لبنان يشاطرك الأسي
تعزفكم من موقف لك صالح
رأيناك تأتي في أمورك كلها
فعال امرى يخشى الاله بخلقه
فلا زلت محروسا من السوء راقيا
ولا زلت في كل الشؤون مسددا
مقامك منه ما أردت ولا تزل
وذكرك في الغبراء أسرى من الضيا

لحيالك من أغصانه كل مائد
حللت محل النوم من جفن راقد
فكم هن سرور نحوه بك وافر
وكم من جميل عن سليلك ذائد
من القصد ما يعي على كل قاصد
ويعلم أن المرء ليس بخالد
مراقى تُلقي الشمس بين الحواسد
لخدمة سلطان البلاد المجاهد
رجا لصديق أو شجا لمعاند
وأسير في آفاقها من قصائد

عند ما توفي المرحوم عبد الله باشا فكري الشهير كنت في مصر،
وكانت وفاته يوم عيد الأضحى سنة ١٣٠٧ وهو صديق وفي الأستاذ
الامام، وكانت سبقت بيني وبينه مراسلة شعرية ذكرت في هذا الديوان،
فرثيته بقصيدة نشرتها جريدة المؤيد ولكنني فقدتها أيضا من بين أوراقى
ثم وجدتتها في كتاب الآثار الفكرية، وهي هذه:

إلى مثل هذا فى الخطوب العظام
وهل بعد هذا الخطب خطب نعه
مصاب لما قد فات أنسى، ومأتم
ولا غرو فيه فاجعا عم رزؤه
مصايح فى الدنيا إذا هي أطفئت
وأعلام رشد فى البرية يهتدى

أرى منتهى بطش الليالى الغواشم
مصابا بعلم أو بلاء بعالم؟
به ختمت آلام سود المآتم
فموت رجال العلم موت العوالم
دجى الناس فى ليل من الجهل قاتم
بها كل سار فى المجهل هائم

ولكنها الدنيا لعمرى أولعت
يرجى التهاب النار بالماء عندها
أحقا عباد الله ذا اليوم قد خبا
وأن المعالي والمعاني فجعت
وما لشئون العلم سالت شئونها
أجل مات من قد كان للفضل سيذا
قضى اليوم عبد الله فكري الذي سعى
وخلفت الأقدام والصحف بعده
وأضحى به أضحى وقد كان يومه
وبانت ثغور **كن** فيه بواسما
نعي سرى ملء المسامع وقعه
كذا فليكن غور الكواكب في الثرى
مصيبة مجد أسـ **كرت** بسماها
فقدنا أميرا كان غرة عصرنا
فقدنا أمير النظم والنثر راقيا
فواها لأقوال له قد أعارها
ورقة ألفاظ صحاح أعارب
نظام مبان يخجل الروض بهجة
محاسن روح ما ابتغت في زمانها
ولا وردت غير الشهامة موردا
خلائق أمثال الرياض نواضر
وقد كان أذكي من سنا النار بها

بنكب العلى من عهدا المتقادم
وليس يرجى صفوها كل حازم
شهاب العلى واندك طود المكارم؟
بخطاب لسمر الخط والبيض تالم
على جنات الفضل سح الغمائم؟
بفاجىء خطب داهم أى داهم
لنيل المعالي منذ نوط التائم
بحزن إلى يوم القيامة دائم
ولذاته قد نغصت بالعلاقم
وغادرها ذا النعي غير بواسم
إذا لصحا من غفلة كل نائم
كذا فليكن غيض البحار الخضارم
نهي الناس حتى أتعدت كل قائم
وحاية أجياد العلا والمعاصم
من الأمر أعلاما ارتجت نفس رائم
سلاسته واللفظ مر النسائم
كساها بتفويف طراز الاعاجم
وصيد معان في شرود النعائم
سوى الخيرو المعروف يوما لآدمى
ولا عرفت من أين باب المآثم
تضوع منها عرف زهر الكعائم
وأقطع رأيا من شفار الصوارم

قلما ثوى تحت الرغام وذللت
بكته عيون المكرمات وأعلت
ولم أر خطبا مثله أوهن القوى
سأندبه لا زاخرا در مدمع
ولا أنس عندي من نفائس لفظه
وكنت مللت الشعر حتى كرهته
إلى أن قضت أوصافه برثائه
على اتنى إن لم أكن قبل ناظما
فمن وصفه در المحامد والثنا
أيا راحلا عنا إلى الملك الذى
لعمرك هذه غاية الخلق كلهم
حباك إلهي كل روح وراحة
وان لنا في نبلك اليوم سلوة
يدوم لنا الشهم الامين مؤيدا

بمصرعه للعلم شم المراغم
عليه المعالى كيف نوح الحمام
به وقد انحلت عقود العزائم
ولا سامعا في الحزن لومة لائم
قلائد أغلى من لآلى العيالم
وأصبح عندي في عداد المحارم
فأصبح عندي اليوم ضربة لازم
أعد ولنطقي فيه مهجة ناظم
ومن نوحه در الدموع السواجم
دعاه إلى عيش من الخلد ناعم
ولو عمر المخلوق عمر القشاعم
وجادت ثرى مثواك سحب المراحم
وتعزية يؤسى بها قلب واجم
ونسأل رب العرش حسن الخواتم

ثم رثيت صديقي المرحوم أمين بك فكري نجل العلامة المرحوم
عبد الله باشا فكري بهذه القصيدة وكانت وفاته سنة ١٣١٦هـ

(فسبحان الحي الذى لا يموت)

بقية مجد ودعت يوم ودعا
ولم تنعه الأيام إلا وأدجت
لقد جادنا نوء الزمان مصائباً
وآمال عز آن أن تتقطعا
من الشرق شطراً في منيته معاً
يلوح لنا أن مزنها ليس مقلعاً

وسبحان من ساق الردى بوجوهه
 اذا شن جيش النحاس في القوم غارة
 وما كنت حتى اليوم أحسب دهرنا
 ألم يكفه ما غال من كل غاية
 وضيق أرجاء الرجاء فسدها
 كذا فليجل الخطب وليفدح الآسى
 أجل ويُجَلِّي الدهر للناس شأوه
 حلفت فلا تمرى النوادب عبرتي
 فبهات ما إن أستطار لفاجع
 أحبنا إن قيل في الصبر رُجلةً
 تركت لكم فضل التصبر صبرةً
 وشعشع كؤوس الدمع بالدم ساقياً
 واعتدتها نحو الأمين خيانة
 فما كان ودي للأعزة ضائعاً
 حملت له بين الضلوع أمانة
 وأصفيته مني إخاء لو أنه
 وما زلت أرعاه على البعد صاحباً
 فان يك هذا الترب غرب بدره
 ولا لمعت تلك البروق وقد خبت
 أما في دجى الخطب المخيم حاجبٌ

فلقى لعمرى الجمع والفرد مصرعاً^(١)
 فما أجدر الأرزاء أن تتنوعا
 إذا ساء لا يرتاد للعذر موضعا
 وأفسد من معنى وعطل مرجعا
 وراخا مجالات المراثي وأوسعا
 وتنقلب العليا بمارن أجدعا
 إذا شاء فيهم أن يصيب ويفجعا
 على فائت وُلينع دهرُك من نعي
 إذا كان من أودى الأمين المشيعا
 فاني فتي أبغي أنوح واجزعا
 وقلت لطرفي اليوم لا تال مدمعا
 فكل شراب زينه أن يُشعشعا
 إذا أنا لم أشتف كاسك مترعا
 وما كان قلبي من أخي الود بلقعا
 لو احتملتها الشم مالت تصدعا
 أعار الليالى صفوه رُقنَ مشرعا
 وقبلي نجوم الافق مثلي من رعى
 فلا زهرت تلك الكواكب مطلعا
 بروق أمان كن بالأمس لمعا
 لكل منير أن يضئ ويسطعا

قضى اليوم من راع البرية رزؤه
ولم يأت فيه الموت مصرع واحد
أصاب الحجى والعلم والحزم والمضا
وما بقيت في المكرمات سجية
فلو نفعت عند المنون شفاعه
ودافع عن حوبائه طيبُ الشنا
ولكن داعي الموت لا يقبل الرشى
تصيده عن ساءد الغدر فجأة
مصاب له الأقطار إذ شاع زلزلت
أذلَّ إباء الدمع من كل جامد
ولم أر في الارزاء أبعد غارة
عشية لا في الناس مالكُ حبرة
عشية آب الناس سكري وانما
عشية لم تُبق الفجيعة هُسكة
عشية وارى الناس شمسا وأظلمت
وقيل أمين المجد فاجأه الردى
فكم من يد أضحت تدقُّ بأختها
فان يك وادي النيل أشعر فقدّه
كريم به لفظ الكريم مقصر
توَّخى طريق الخير محضا كأنه
وليس يُراعُ الناس إلا لأروعا
ولكنه كان المصارع أجمعا
وصدق المبادي والذمام الممنعا
ولا خطاة إلا ثوت معه مضجعا
كفته فريداتُ الخصال مشفعا
وخلده لو أن في الخاد مطمعا
وأنفسَ منه ليس يلقى وأرفعا
فيكان كرجع الطرف أو كان أسرعا
فلا ركن للعلياء إلا تزعزا
فلم يبق عاص منه إلا تطوعا
ولا من قاوب الخاق أقرب موقعا
ولا زفراتِ الصدر إلا تصنعا
بما لم يكن يوما له الكرم منبعا
ولا حزم للمحزون إلا مضيعا
لها الشمس حتى لا ترد بيوشعا
فلا قاب إلا عاد نهبا موزعا
وكم شفة باتت تجاوز أصبعا
فلا جبلٌ في الشام إلا تضعضعا
إذا قيل عن قوم كرام توسعا
من المهدي حتى اللحد جاء لينفعا

له خلق سهل ونفس أبية وأقلام صدق راجع في ولائها ومن بعد عبد الله كان مؤثلاً فما زال حتى أتبع الفرع أصله وما زال فقد البدر للناس دوجعا فان تطوه أيدي المنون فما طوى وإن تكن إلا كفان بيضا نواصعا ألا في ذمام الله سيرك إنه سبقت إلى حوض كأنك ناهل ونازلات قرن الموت لا متهيبا أناديك لا راجي الجواب فدمضى أخلفت ثغراً بعد بدك باسمي ولو ساكنات الأيك يعلمن من ثوى رجوناك للأوطان أحوج ما ذهبت فلم تسمح الدنيا ولم نعلم الوفا وما هذه الدار التي لفنائها متاع قليل ثم ماوى لحفرة

وحسن خلال دونها الروض مرعا لأكتب من أوتي الكتاب وأبرعا (٢) بأن لم يغب ذا الأصل إلا وفرعا زمان لتتقاد الكرام تتبعا وفي الليلة الدهماء أنكى وأوجعا كروور الليالى ذكره المتضوعا فان له من أبيض الذكر أنصعا مسير قى ماض أغد وأوضعا على نكظ (١) خاف الزحام فأهرعا وحسبك ألقاظ الشهادة أدرعا ويالطف قاي إن أقول وتسمعا وطرفا تمنى أن ينام ويهجمعا لما نحن إلا في رثائك سجعنا إلى من يرققها وأوحش أربعا ولم تر إلا أن تغر وتخدعا يشه ويهوى إن يمال وينزعا فإذا عسى الإنسان أن يتمتعا؟

وقلت أرثي اللغوي العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي وتلوتها في محفل كبير في بيروت بعد الوحشة التي وقعت بيني وبينه بسبب شوقي (وكانت وفاته سنة ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م)

قصار (١) كل فتى مستكمل الخطر (٢)
وأن يقابل صرف الدهر كيف جرى
وأن يرى غيره مع عينه شرعاً (٣)
فما أرى ناعياً حياً بمفرده
ليس الحياة سوى تشييع آخرنا
وان تُغَبَّ المنايا في مواردها
من ساحتها يوم في مصارعها
لم يبرح الدهر فتاك المضارب عن
كفى بريب المنايا واعظاً وجزاً
تخالف الناس في الاهواء حين حيوا
وقد يلج ببعض كيد شائته
وقد يحاول في أعدائه ظفراً
كم وترت قوس ضغن كف ذى ترة
والدمع يغسل ما بالقلب من وضر
لو أنصف اليازجي دمعاً لكان له
أو لو درت نار ابراهيم مصرعه

أن ينحنى لقضاء الله والقدر
بالخاق في عبرات العين والعبر
فليس بينهما فرق سوى الصور
إلا نعى لو عقلنا سائر البشر
لأول فهي هذه فسحة العمر
فرب ترك يليه أخذ مقتدر
فقد أحيل على أيامها الآخر
أيامه البيض أو ليلاته السمر
رشداً لمن كان من دنيا على غرر
وجمع الموت منهم كل منتشر
ولو درى لصفا صفواً بلا كدر
وأنه بين ناب الموت والظفر
فأذهب الموت عزم الوتر والوتر (٤)
كما يزول غبار الأرض بالمطر
كعلمه بحر دمع غير منحصر
لأصبحت من جوى لفاحة الشرر

(١) القصار الجهد والغاية (٢) الخطر هنا ارتفاع القدر (٣) سواء (٤) الوتر بالفتح وبالكسر الثار وأما الوتر محركة فهي جمع وترة وهي مجرى السهم من القوس

أودى الردى حينما أودى بمهجته
بذي الضياء تكاد العمي تبصره
من بعدما خمدت ریح البيان غدت
عبارة لا ترى فى رصفها قلقا
لا تلتقى موضعا فيها له بدل
بكى له اللغة الفصحى وحق له
ياراحلا شكت الاقلام غربته
نهجت فى بلغاء العصر واردة
اليك حقل لا ظلم ولا سرف
وان يؤاخذك نقاد ببادرة
وقد يعاب الذى فى البدر من كلف
اليك منى تحيات برقتها
فاذهب عليك سلام الله من رجل

بأكتب الوقت من بدو ومن حضر
وذي البيان الذى يشفى من الحصر^(١)
له به دولة وضاحة الغرر
كالعدل لم يشك من طول ولا قصر
كأنما جاءت المعنى على قدر
بكاء كل كلام جاء عن مضر
وليس بعدك منها غير منكسر
بالحق لولاك لم تسفر ولم تنر
لا ينكر الشمس الا فاقد البصر
فليس يرجم الا متمر الشجر
وليس يسلب معنى الحسن فى القمر
كسحر لفظك أو كالنفخ فى السحر
ماضى الحشاشة لكن خالد الاثر

رثائى للرحوم محمود سامى باشارئيس نظار مصر قبل الاحتلال البريطانى

وأمر الشعراء فى وقته (توفى سنة ١٣٢٣ هـ ١٩٠٤ م)

يا ناظرى الأيا تبكيان دما
لو صار كل سواد منكما يققا
وطالما ذبما شوقا لرؤيته
فالآن شطت نوى ما عندها أمل

أهكذا عهدنا أن نحفظ الذما
على الصديق لما أنصفناه لما
وخلتها أمانى النفس والنما
فى القرب فاحتلما من بعده الظلما

(١) أصدر فى مصر مجلة اسمها البيان ثم مجلة أخرى اسمها الضياء

ماذا أقول لقلبي في الدفاع إذا
ويلمها حسرة في القلب باقية
لو أن لي طير يمن ما صبرت لها
ولا عداني عن الأحباب عادية
ولا تخلفت عن مصر ومقدمها
ألوز بالدمع كي أطفئ اللهب به
الآن حق بأن أسخو بأسخنه
وما بكائي لخطب قد فقدت به
لكن بكائي على المبكي بمصرعه
ولو سبقت به الورقاء ما لحقت
والمجد مكتسبا من كفه حللا
والشعر أدرك ما أعى زهير وما
خطب هوى بنجاء الفضل فأنحطمت
نبا بمحمود سيف لو ضربت به
مصيبة أرجفت صم الجهاد فقل
نتيجة الوقت لو آلى به رجل
لو أنصفته الليالي في مقاسمها
لو لم يكن فضله من حظه بدلا
أو كان للحق في تلك الأمور يد
ما كان يأمل إلا خير أمته
فان يكن طاش سهمهم عن رميته

اقام قاضى الهوى ما بيننا حكما
تظل تحت الثرى تستصحب الندما
ولا تبدلت من بزانها الرخما
ولا حثت لغير الصفوة الرسا
وتدغدت دارها من دارنا أما
فأسـتزيد كأي نافع خـرما
إن المدامع يتلو حرها الشبما
وحدي خليلا براني فقده أما
أهل المشارق بل من غيرهم أما
مناحتي صاحبيه السيف والقلبا
والفضل مرتقيا في ظله أطما
فات الكريم على علاته هرما
أوتاده وغدت أطنا به ربما (١)
حد الزمان بكف السعد لاثلما
في الشارق انقض أو في الشاهق انهدما
بأنه قد هذا الدهر ما أثما
لأوطأته على هام السهى قدما
ما سامه الدهر إرهاقا ولا حرما
نجت به الحجة البيضاء وما أثهما
ولا يرجى لها إلا عزيز حمى
فكم ملوم على رمي سواه رمى

كم ساء أمر بحمل الجاهلين له
لا يُحسن الامر إلا من تَعُودُه
وما نجاح الفتى كاف لتزكية
والفضل والنقص محتوم لزامهما
ما زاد جوهر سامي الحك غير سنى
وقلما الدهر ناوى مثله أسـداً
مهذب لا ترى في خلقه عوجاً
لم يكفه النسب العالي فضم له
كان الاوائل في الانظار مزججة
وليس من نابت في عصرنا أدبا
ما الجاهلي ولا ذاك المخضرم لا
وكل نابغة في الشعر ملتمس
لو جاء في الزمن الماضي وعصره
أو كان أدرك عصره قد تقدمه
يصطاد كل شرود في قصائده
أوهت فصاحته الأقوال أمتها
ورد فارسها في الجري راجلها
وربما حل عقداً بعض من نظماً^(١)
ما كل راكب خيل يحفظ اللجما
ولا الحبوط دليل أنه وهما
كأن بين الرزايا والنهي رحماً
ولا عرا قدره نقص بما احتضما
ممن رعى تلعات المجد والأكما
وصاحب ليس يدري وده السأما
أصلاً وفصلاً لعمرى ما رسا وسما
حتى أتى فشأى من جد من قدما
إلا بغيث معانيه زكاً ونما
ولا المولد معه حائز قسما
من كأسه رشقات كي يبل ظما
حكيم كندة^(٢) لم يزعم بما زعما
عنى حبيب عن الانشاد معتصما
فليس بيت له عن صيدها حرماً
حتى تكاد عليها تؤثر البكماً
حتى تساوى أخو جهل ومن علما

(١) أي إن المبدأ كان صحيحاً والحركة مستراداً لمثلها ولكن الذين نولوا

كبر هذا الامر لم يحسنوا جميعاً العمل

(٢) أي لو جاء المتنبي في عصره ما ادعى النبوة وكندة محلة في الكوفة ولد

فيها المتنبي فنسب اليها وقيل الكندي وليس من كندة القبيلة التي منها امرؤ القيس
الكندي والفيلسوف الكندي فالمتنبي من جهة القبيلة جعفي وهو جعفي بن سعد
العشيرة من كهلان

فانعوا لنا الشعر والآداب قاطبةً
 من للبدايع أو من للصنائع^(١) أو
 من للصوارم أو من للمكارم أو
 من للكتائب من للكتب تشبهها؟
 يا يوم محمود ما أبقيت محمداً
 تلك الخلال فهل آت يجردها
 هيهات يسعدنا شهم يتاح لها
 لن يهتدي بعد محمود دليل^٢ ثنا
 والله ما عجب من^٣ فوته عجب
 وطالما قلت إذ جاد الزمان به
 يا حلية الشرق أضحي بعدها عطلا
 إن كان لم تأل^٤ك الدنيا معاركةً
 ما شاب منك بلاء^٥ نيةً خلصت
 كم قاصد^٦ لم تعب مسعاه خيبته
 ورب مسدي يد يلقي البلاء بها
 إن التقادير إن أجرت سفائنها
 لا تبعدن ولا يُبَخَسُ ثناك فلم
 والله لو كنت تدري ما بنا كمداً
 ليس الذي جاور الديماس في نكد
 إن كان حبل حياة المرء أجمعه

معهم وقولوا لشوقي إنه يتما
 من للوقائع^٧ إتما^٨ داهم^٩ دهما؟
 من للمغارم يقضيها عن الغرما؟
 تلك المحاسن أضحي عقدها انفصا
 إلا وأوردتها في نخبه العدم
 أو دل ترى أمل العليا بها حلما
 فالدهر ألام^{١٠} من هذا الذي شيا
 ولست تبصر^{١١} هذا الجرح ملتئما
 لمثله كيف حتى الآن قد سلما
 من عظم الدهر هذا الجود والكرما
 وبيضة الدهر عن أمثالها عقما
 فليست أول حر^{١٢} صادف النقا
 ومن عزالك من ظلم فقد ظلما
 وقائد لم ينيل خزيًا أن انهزما
 ورب جان سعيد بالذي جرما
 ألحقن من كان غمرًا بالذي حزما^(٢)
 تجر^{١٣} إلا إباء الضم والشمما
 لكنت أنت لنا الراثي ومن رحما
 كمن يزجي^{١٤} إليه الهم والسقمما
 أحبولة كان خير الحبل ما انصرما

(١) الصنعة الاحسان والجمع الصنائع

(٢) الغمر بفتح أوله الجاهل وحزم بضم وسطه صار حازما

فاذهب عليك تحيات المهيمن ما همى بترك دمع المزن منسجما
هانت بمصر عك الأرزاء أجمعها فليس يُجزع من رزء ولو عظما

وقلت أرثي المرحوم محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى المتوفى في
ألمانية سنة ١٣٣٨، ١٩٥١، ١٩١٩م:

قد عشتَ فداً في الرجال فريداً فتمضيتَ فداً في البـلاد فريداً
جاددتَ عمرك ثم متَ مغرباً فغدوتَ دن كل الجهات شهيدا
كانت حياتك حفظ مصر لأهلها ما خير ذلك طالباً منشوداً
جاددتَ نصف العمر في أرجائها علماً ونصفاً في الغروب شريداً
لله وفيت الأمانة حقها وبذلت فيها طارفاً وتليداً
وأذبت في حشرات كبد (١) بها أوديت تحرق من ذويك كبوداً
لم تدخر في حب مصر وأهلها وسعا ولا جهداً هناك جهيدا
ما عزَّ عندك أن تركت لأجائها وطناً وقصراً كالسدير مشيدا
ولذاثدا ونفائسا أورثتها عنها صرفت وعيلاً ووليدا
غادرته طفلاً وطال بك النوى فحرمت منظره وصار رشيدا
لخلاص مصر قد تركت مآثرا بيضا سمرت لها ليالى سودا
كنت المقيم والعميد بحبها فلذا لفتيتها غدوت عميدا (٢)
كم خطأوك وعاندوك وكل من يفري فرياك (٣) لم يزل محسوداً
حتى تمخضت السنون حقائقاً خروا لديها ركعا وسجوداً

(١) لانه توفي رحمه الله بمرض الكبد (٢) العميد الاول هو الذي هذه العشق
والعميد الثانى هو سيد القوم (٣) فري الفري بتشديد الياء أنى بالعجب في عمله

علموا بأنك لم تكن متهورا
عمدوا لرأيتك فانقلبت وتلك من
لم تحتضر الا ومصر كلها
فلشد ما قرّت عيونك عند ما
فانظر إلى مصر العزيزة بعضها
تمشى إلى التحرير لا هيباة
صارت جميعا دنشواي وانما
حاشا ولو جار القوي واوطغى
مهما استعز الغالبون بجندهم
قد أقبل الزمن الذي أبنائه
نم يا فريد على يقينك انه
لا بد من فرج قريب عنده
ويبشرونك بالخلاص إلى الثرى
يبقى مع الاهرام ذكرك ثابتا
وهناك تنقلب المدامع قرة
بل كنت تنظر مذ نظرت بعيدا
نعم الاله مؤيدا تأيدا
لنظير صنعك تستحث وفودا
حف الجميع لواءك المعقودا
مثل البريم (١) ببعضها مشدودا
خطرا ولا الموت الزؤام مبيدا
صار الانام عن الحمام مصيدا
أحرار مصر أن تكون عيدا
فالحق أعظم قوة وجنودا
لا يحملون سلاسل وقيودا
يوم تأذن بالخلاص عتيديا
مصر تؤمم شخصك الملحدودا
أن قم وشاهد يومك الموعودا
ويظل قبرك مثلا مشهودا
ويعود ما تمك المفجع عيدا

رثاء نظمناه في جنيف في ١٨ مارس سنة ١٩١٩ وبعثنا به الى ابن عمنا
المرحوم الامير توفيق مجيد أرسلان لدى علمنا بوفاة ولده ملحم وكان
نجيباً، وذلك بعد أن رجع من منفاه في الأناضول:

لقد كنت أرجو أن تعود وتغنيا
وتعتذر الايام عما تحاملت
وتنسى عناء قد مضى وتصرّما
عليك ويمحو اليوم ما الا مس قدما
(١) الحبلى المبروم

فما راغى إلا مصابك تاركاً
وسمهم تلقاه فؤادى وإنه
أجل لم تزل حتى أصبت (بمُلاحم)
مصاب تشا طرناه طراً فكلنا
رأينا عظيماً قبله حادث النوى
وكننا نرجى فرحة بزفافه
وصارت به تلك التهاني مراثيا
فتى لم يكن إلا بأعوامه فتى
تقبل بالصبر الجميل بلاءه
تحمل من بلواه وهو مرهق
كأن الذي فيه من العقل قد أتى
فأى فؤاد لا يذوب لمثله
أتوفيق ثق ما أنت في الخطب واحدا
وإن كنت مجروح الفؤاد فكلنا
تناثر دمعي فوق طرس أخطه
يخيل لي مبكاك عند وداعه
مضى وبقيت العمر تذكر فقدته
مضى ولو الماضى يُهنا على الردى
فما هذه الدار العزيزة عندنا
إذا سبر الناس الأمور بدت لهم

ليالى أياما ويومى مظالمها
لآلم ما لاقى نبالا وأسمها
فتفتأ حتى الموت تذكر مُحاجها
يبكى على مفقودك الدمع والدمها
لعمري فجاء البين أدهى وأعظما
فواحسرتنا اعتضنا من العرس مأتما
وناح الذي قد شاء أن يترنما
فقد كان في عقل الرجال وأحلامها
وحلى بشهد الطبع ما كان علقما
لعمري مالو حل طودا تهتما (١)
لنزداد فيه حسرة وتألما
وأى سرور لا يكون محرما ؟
ولكنه حزن علينا تقسما
غدا لك مجروح الفؤاد مكلمها
لذاك غدا نثرى ونظمي توأما
خيالا على بُعد الديار مجسما
فياليت شعري من تروح منكما
لقلت له اضحك ضاحكا متبسما
بأهل لعمري أن تعز وتكرما
حقائق لا تبقى فؤادا متيا

(١) إشارة الى مرض أليم أصابه في رأسه وتحمله بصبر الكبار رحمه الله

فكم فرح فيها بخير أصابه يعود عليه حسرة وتندما
وكم نعمة تبدو فترجع نقمة
عزاءك يا ابن العم هل ثم حيلة
ومثلك من قد غلب العقل والحجى
رجوت إلهي في بنيك الألى بقوا
ويملاً مرآهم عيونك قرة
يغدو بدورا في البلاد وأنجما

رثاء للمرحوم الامير عبدالقادر نجل جناب الخديوي عباس حلمي
توفاه الله إلى رحمته في ٢٠ ابريل سنة ١٩١٩ وذلك في برلين وكنا حينئذ في
مونترو من سويسرة نازلين في فندق مونترو بالاس وكان في الفندق
نفسه جناب الامير محمد علي عم الامير الفقيه فعزينا بالآيات الآتية

أسائل (١) دمعى هل غدوت مجيبي إذا شئت أطفئ حرقتي ولهبي ؟
وهيهات أن يقوى على النار صيب وريح الرزايا آذنت بهبوب
لئن بكت الخنساء صخرافانه لقد بات يبكي الصخر طول نحبي
يقولون لي صبرا فقد ذبت لوعة وما ذوب مثلي في الاسى بعجيب
أأحسب قلبي من حديد وإن يكن فكم من شرار للحديد مذيّب
وقالوا ألا مهلا تأس بمن مضوا فليس مصاب جازع بمصيب
فقلت ذروني والاسى ليس مغنيا كلام خطيب مع كلام (٢) خطوب
أجل مقامى في المحبة والوفا عن اللهو والسلوان بعد حبيب

(١) يجوز أن يكون أسائل بمعنى أسأل ، ويجوز أن يكون اسم فاعل من سأل .
وعلى الوجه الاول الفعل المضارع مرفوع ، وعلى الوجه الثانى الاسم المنادى منصوب
(٢) كلام الثانية بكسر أولها جمع كلم وهو الجرح

ورب محب بات يسلو حبيبه
أفي كل يوم للمنية حادث
تعمدنا ريب المنون بضربة
أصبنا (بعد القادر) اليوم إذ غدت
هوى كوكبا باتت لوقع غروبه
هوى كوكبا كالبدري تمًا وإن غدا
فقل أي وجد في الجوانح محرق
لئن لم يجاوز ست عشرة حجة
قرأت له كتباً قبيل نعيه
أبي نكد الايام إلا أفوله
وكان الذي لو عاش أحيا جدوده
عزيز ناه عرش مصر وقد قضى
من العلويين الاعاظم فضاهم
يرجيهم الاسلام في كل مازق
قضى العدل أتنا في الكوارث كلها
سألت لهم طول البقاء وسيلة
ورفعة أوطان وعزة ملة
ألا تلك أجسام بغير قلوب
يسيل من الاجفان كل صيب ؟
أبى الدهر أن يأتي لها بضرب
تناط به آمال كل لبيب
جميع المآقي مترعات غروب (١)
قريب المدى من مشرق لمغيب
على أي غصن في التراب رطيب ؟
لقد جاز في الادراك أهل مشيب
بأمثالها يختال كل أديب (٢)
وهل تؤثر الدنيا حياة نجيب
وأمسى بوادي النيل كل خصيب
منية ناء في البلاد غريب
على كل قاص عنهم وقريب
وفي كل يوم للزمان عصيب
نشاطر من أحزانهم بنصيب
لنصرة أقوام لهم وشعوب
وكبت عدو كاشح ورقيب

(١) الغروب الأولي جمع غرب ومعناه الحدة: تقول كفكفت من غربه. والغروب الثانية جمع غرب وهو الدمع أو هو عرق في العين يستقي ولا ينقطع
(٢) كان عمه الامير محمد علي قرأ لي بعض كتب من الشاب الفقيد رحمه الله

وقلت أرثي المرحوم أحمد مختار بيهم عين أعيان بيروت في وقته
وكانت وفاته سنة ١٩٢٠

هلا وأنت الجوهر المختار
وتكون عن دار العلى متأخراً
سأبقت في الدنيا إلى ما بعدها
أبقيت من غرر الفعال مآثراً
وتركت من ظلم الحياة لياليا
إلا تكن تلك الحياة طويلة
أو كنت ودعت الأحبة عبطة^(١)
كم في الشباب الغض منك كهولة
سرعان ما اخترت الرحيل أشد ما
لو لم تكن ندري وفاك وأنه
لبيت من ملأ الملائك داعياً
وجدوك أجدر بالجنان وشاقهم
غارت من الأرض السماء نفاسة
فازت بك الخضر الذاغبراءونا
لاغرو أن نرزا بفقدك ماجدا
أو أن تكون لسهم دهرك معرضاً
ما كان خطبك سيداً قد غاب بل
قد كنت في الاوطان قبلة معشر
كانوا إذا ما أبصروك أمامهم

عن نيل مثلك تصبر الاقدار
وإلى العلاء لك السباق شعار
وكذا الفناء إلى البقا مضمار
اليوم هن براحتيك منار
هي عند ربك كلها أسحار
فلقد يساوي العام منك نهار
بكرا فعمرك وحده أعمار
وعليه من دون المشيب وقار
احتاجت لك الاوطان والاطار
أجل لقلنا جفوة ونفار
فوراً وشأنك في الأمور بدار
يوم تجاوزهم ونعم الجار
بك والضرائر بعضهم يغار
تبكى نواك ودمعها أنهار
فبكل مجد للمنية ثار
هدفا فأغراض الكبار كبار
جمعاً يضيع وجانباً ينهار
يهدون هديك إن سروا أو ساروا
رشدوا وإن ضلوا سبيلك حاروا

(١) أعبطه الموت أخذه شاباً صحيحاً بدون علة

ذكروا مكان أيبك في أيامه
 فخذوت حذو أيبك بل جاوزته
 لم تجتزىء بتليد مجدك عالما
 فنهضت للعليا بنفسك طالعا
 أمسيت في العرب الكرام منارة
 بعزائم مشبوبة ومكارم
 كانت خلالك في الأنام فريدة
 لم يقصر المداح فيك وربما
 الهمة القعساء يربض تحتها
 تلقى الخطوب بقلب شههم عنده
 حرمت بلادك في مصابك واحدا
 أتخيل الأرجاء بعدك قد خلت
 لا الشجر تغر إذ غدوت برمله
 أعزز علي أبا أمين أنه
 قد كنت أرجو أن أراك وإذ به
 قد كنت طول البعد نصب نواظري
 أبدا أطارحك النجي (٢) كأننا
 مامر عن بيروت ساح خاطر
 أو لا تكون كذا وأنت بأرضها
 أعزز علي أبا أمين اننى

(١) إشارة الى قول الشاعر :

فما بعد العشية من عرار

تمنع من شميم عرار نجد

(٢) النجي والنجوى واحد

سَدِّكَ (١) البكاء بمقلتي فَأَدْمَعِي
أَعَزَّزَ عَلِيَّ بِأَنْ مَضَيْتِ وَلَمْ تَزَلِ
وَالنَّاسَ شَائِمَةً بِوَارِقٍ لَمَّا
يَتَذَكَّرُونَكَ كُلَّ حَزَّةٍ مَأْزِقٍ
إِذْ سَيْفُ رَأْيِكَ فِي الْحَوَادِثِ فَيَصِلُ
وَمِنْ الْقُلُوبِ مَعَاصِمٍ وَمَعَاقِلِ
قَدْ كَانَ عَهْدُكَ لِلرِّفَاقِ : تَذَكَّرُوا
حَقَّ الْبِلَادِ بِأَنْ تَكُونَ لِأَهْلِهَا
أَوْطَانًا فِي الْأَرْضِ خَالِصَةً لَنَا
لَا تَبْعِدَنَّ فَإِنْ تَغَبَّ يَا أَحْمَدُ
لَا حَتَّ تَبَاشِيرِ الْخِلَاصِ وَإِنَّمَا
ضَلَّ الْأَلَى حَسَبُوا الْبِلَادَ غَنَائِمًا
وَالطَّامِحُونَ إِلَى الْفِرَاتِ وَدَجَلَةٍ
وَالْبَائِعُونَ الْقُدْسَ رَهْطَ صَيَارِفٍ
قَدْ كَانَ أُمَّ بِلَادِنَا آبَاؤُهُمْ
لَوْ يَذْكُرُونَ مِنَ الْحَوَادِثِ مَاضِيَا
لَكِنَّهُمْ أَمَّنُوا الزَّمَانَ كَأَنَّهُمَا
وَتَوَهَّمُوا تِلْكَ الْعُصُورَ وَقَدْ خَلَّتْ
كَلَامُ وَرَبِّكَ مَا أَصَابَ حَسَابُهُمْ
إِنَّ الزَّمَانَ هُوَ الزَّمَانُ تَقْلِبًا

بِهِمَا غَزَارَ وَالرَّقَادَ غَرَارَ (٢)
تِلْكَ الْمَنَى وَفَنِيَقَهُنَّ حَوَارِ (٣)
تَحْبُو وَتَوْمُضُ وَالْقُلُوبُ حَرَارِ
وَلَدَى الْحَنَادِيسِ تَنْشُدُ الْإِقْمَارِ
وَنَدَى يَمِينِكَ دِيمَةُ مَدَرَارِ
وَمِنْ الْعُقُولِ أَسْنَةُ وَشَفَارِ
حَقَّ الْبِلَادِ وَأَنْكُمْ أَحْرَارِ
مَلَكًا صَرِيحًا مَا عَلَيْهِ غِبَارِ
نَحْنُ الطُّيُورِ وَهَذِهِ الْأَوْكَارِ
تَحْتَ الثَّرَى فَلَأَحْمَدُ أَنْصَارِ
يَبْدُو الصَّبَاحُ وَقَبْلَهُ الْإِسْفَارِ
تِلْكَ الْجَنَانِ جَنَانُ جَلَّقَ نَارِ
مَجْرَى الْفِرَاتِ وَدَجَلَةٍ تِيَارِ
مَا لِلصَيَارِفِ عِنْدَنَا دِينَارِ
أَمَّا فَلَاقِي رِيحِهِمْ إِعْصَارِ
مَا غَرَّهُمْ لِمَقَامِنَا اسْتَحْقَارِ
بَيْنَ الزَّمَانِ وَبَيْنَهُمْ آصَارِ
لَيْسَتْ تَعَادَ وَمَا لَهَا تَكَرَّارِ
وَلِكُلِّ قَوْمٍ نَهْضَةٌ وَعِثَارِ
مَادَامَ إِلَّا الْوَاحِدَ الْقَهَّارِ

(١) سَدِّكَ بِهِ لَزِمَهُ (٢) قَلِيلُ النُّومِ (٣) الْفَنِيْقُ وَزَانَ أَمِيرُ الْجَمَلِ الْمَكْرَمُ لَا يَرْكَبُ
وَالْحَوَارِ وَلَدُ النَّاقَةِ مَذْ يُولَدُ إِلَى أَنْ يَفْطَمَ

مرثيتي للأخ الأبرو الاستاذ الأشهر الشيخ عبد العزيز جاويش أرسلتها
من لوزان الى مصر وتليت في حفلة الأربعاء لوفاة رحمه الله سنة ١٣٤٧

لم تُبق بعدك في الخطوب جليلاً
خلفت للإسلام أى مناحة
في كل أرض نصر فيها منبر
يتذكرون مواقف مشهورة
وما أثراً في الخافقين حديثها
ما العبقريّة والى يصفونها
الخاطر الوقاد ان يبدّر مضى
والمنطق الفياض ان يهدر غدا
لا فرق بين السامعيك وقد وعوا
واذا جررت على الطروس يراعة
تلك اليراعة وادّ أكر قائد
تتجاوب الآفاق عن أصدائها
هيهات يا عبد العزيز أخو على
لم يعلم الخلق الكريم ولا الحيا
لم يعلم الآداب كيف تجسمت
فكأن ربك عند خلقك قد أبى
تغدو أرق من النسيم فان عرا
في نعمة الحمل الوديع فان عدا
أسد متى يزأر لأمة أحمد
مذ شئت يا عبد العزيز رحيلاً
طمت وعمت عرضه والطولا
يتذكرونك بكرة وأصيلاً
لك ليس تترك للمرء سيلاً
ومعاليّاً رنت حلى وحجولا
إلا حياتك مثلت تمثيلاً
في الحادثات أسنة ونصولا
يتدفق الابداع منه سيولا
ما قلته والشاربين شمولاً
بات الصرير براحتيك صليلاً
لو أنها في كفه ليصولا
ويرتلون فصولها ترتيلاً
من درك شأوك يبلغ المأمولا
من ليس يعلم خلقك المعسولا
بشراً فنى لم يصطحبك طويلاً
أن لا تكون مكملًا تكميلاً
خطب غدوت الصارم المسلولا
عاد ترى أسداً يفارق غيلاً
ملاً الفرات زثيره والنيلاً

شيجان لم يبصر عايتها ذلة
 رضى المصائب والنوائب والنوى
 يعفو الجرائر نحوه طرّاً ولا
 جعل الجهاد نصيبه عن قومه
 لا تعظم الأخطار في أبصاره
 يا راحلاً أبقي فراغاً هائلاً
 آليت لا أنفك عهدك راعياً
 غادرت لي قلباً عليك مقطوعاً
 وسألت دمعى أن يجيب جوانحى
 أنسى لعمرى والدى وعترتى
 إذ أنت برّ بى كما نفسى وإذ
 إني أحن إلى اجتماع الشمل في الأخـرى
 ربّ الوفاء وصفوة الخلان قل
 يا صاحب القيدح المعلى في العلى
 أبقت عليك الحادثات كلومها
 شفت وجودك همة جبارة
 أتظن أن تمضى وأبقى وافرأ
 يا أيها المولى بحبك قد مضى
 أمطر على ذاك الثرى غيث الرضى
 قد كان فعال الجميل حياته
 إلا ومد ذراعه المفتولا
 والحبس حتى لا يعيش ذليلاً
 يعفو إذا الاسلام غَض فتيلاً
 فقضى الحياة مغرباً مجفولاً (١)
 ما دام يبصر حقهم ما كولا
 هيهات تملأه الرجال فحولا
 حتى أغرب في التراب مهيبلاً
 دامي الصميم ومدمعا موصولا
 فانباع يجري سائلاً مسؤلوا
 إن كنت أنسى فضلك المسجولاً (٢)
 تغدو عليلاً أن أكون عليلاً
 أتركت بعدك من أعدّ خليلاً؟
 أتركت مثلك يأسراً فيجيلاً؟
 والسيف يكسب بالجلاد فلولاً
 تجد الصعود إلى السماء نزولاً
 هيهات قد صار البقاء قليلاً
 (عبد العزيز) متيماً متبولاً
 واجعله ربّ لى علاك نزولاً
 فأثبه في دار المعاد جميلاً

ولما اطلعت على مرثية شوقي للشيخ جاويز أعجبت بها، فارتجلت
هذه الأبيات وقد نشرت في جريدة الشورى

تفوق شوقي بأشعاره	جميعاً فـكل يتيم فريد
وما دمت تجتاز أرجاءها	تعود بكل طريف جديد
توالى الهتاف لدى كل بيت	ألا إن ذلك بيت القصيد
إذا هو أبكى فزاد المعاد	وإن هو غنى فأنس الوجود
ولاكن قصائد شوقي اللواتي	لهن سجل بلوح الخلود
فداء لمرثية قالها	بعبد العزيز : العزيز الشهيد
أعار الرثاء جلال الفقيد	فأصبح هذا لهذا نديد
وقد كان من قبل هذا مبينا	بشأو محال عليه المزيد
نكاد لا حراز أقوال شوقي	تكون المنايا أمانى الفقيد

ورثت صديقى عين أعيان جبل عاملة ومبعوث بيروت في مجلس
النواب حاتم عصره كامل بك الأسعد رئيس آل علي الصغير وكانت
وفاته رحمه الله سنة ١٣٤٣

دموى لفقدك ركن الشرق واحربا	يا كامل من يسلي بعدك العربا
كل المصائب يفنى الدهر شررتها	إلا رداك فيفنى الدهر والحقبا
كنا نرجيك للجللى تذللها	فاليوم من ينبري للخطب إن وثبا
تلقى النوازل بالافعال صادقة	والناس في الخطب تسدي القول والخطبا
ردت مصيبتك الأرزاء هيئة	من بعدها و غدت أكبادنا صلبا
هيات تدخر الآماق سائلة	من المدامع تبغي بعدك الصبا

لو كنت مع حاتم الطائي في زمن
 نداك بالعين مشهود ونائله
 قد كنت تهوى من الاخلاق أسمىها
 لله درك سباقاً لمكرمة
 يا أمة سكنت أكناف عاملة
 هل عندكم قومنا عن كامل خبر
 اللامع الرأي إن يدج الزمان بكم
 كانت عيالا عليه منكم زمرة
 كانت بكم لكم أرجاء عاملة
 قالوا عميد بني النصار قلت لهم
 لو أنصفت حقه أفناء عاملة
 لهفي على كامل الاوصاف كيف ثوى
 لهفي على البدر قد غابت مطالعه
 لهفي على السيف الغطريف تحرمه
 لهفي على الكامل الفذ الذي فقدت
 على الذي لو قضيت الدهر تصحبه
 تقرا على وجهه آيات شيمته
 أخ أشد به أزري لنائبة
 في كل يوم أرى منه أخاً ثقة
 كم كنت أمل أن أحظى بطلعته
 كم كنت أذكره في غربتي كلفاً

ما نال في الكرم الاسم الذي كسبا
 هيات نعلم منه الصدق والكذبا
 لقاصد ومن العليا ما صعبا
 كالسيف منصلتاً والسييل قد زعبا
 وأوطنت شعفات العز والهضبا
 فقد أتانا نبا أن قد نأى ونبا
 والخالف الغيث إن تستبطئوا السحبا
 من كان منهم يتيماً راء^(١) فيه أبا
 تتيه عجباً على الدنيا ولا عجباً
 بل ركن كل امرئ في يعرب انتسبا
 من البكارق فيها الصخر وانتحبا
 ذاك المحيا ظلام الرمس واحتجبا
 لهفي على البحر ذي الامواج قد نضبا
 طوائف طالما استكففت به النوبا
 به الورى المثل الاعلى لمن وهبا
 لم تلق إلا الوفا والصدق والادبا
 وتنشئ قائلاً سبجان من كتبنا
 ولا أعز عليه اخوتي نسبا
 إذ من سواه أرى الحساد والرقبا
 يوماً وأطفئ من أشواقى اللهبا
 أحذو إلى وجهه الوضاح ريح صبا

(١) راء مثل رأى ومنه : بك راء نفسك لم يقل لك هاتها

حتى أتاني نعيٌ غير منتظر
 ويلها جملة لما بصرت بها
 من لي بأن أمسك الدمع الهتون على
 مهلا بنى الاسعد الامجاد خطبكم
 تبكى له العرب العرباء أجمعها
 ولو عقدنا عليه كل شارقة
 لكننا الموت حتم لا يحيك به
 زعمت أني أعزيكم بموعظتي
 وإنما نحن طرّاً ركب قافلة
 يارب أمطر ثراه كل غادية
 آتيه كرم الاخلاق منقبة
 ألفيت ناضر آمالي به خطبا
 خلت المنايا أمانى والحياة هبا
 خدى وأن أدرك النوم الذى هربا
 خطب به الوطن المحبوب قد نكبا
 من ساكن مدرّاً أو ضارب طنبا
 مناحة ما قضينا بعض ما وجبا
 حزن ولا عارض للدمع منسكبا
 فياترى من يعزىنى بمن ذهبنا
 وكلنا شارب الكأس الذى شربا
 تخضلّ منها بقاعٌ حوله ورئى
 فكن كريما عليه ربنا أحديا

رثائى للمرحوم أخى نسيب المتوفى في ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٦
 نسيب قد كان ساري الطيف أبدى لي
 رأيت في دارنا الأفواج أشبه بالأ
 فقممت والبال منى كاسف قلعا
 وما مضت ساعة الا أذنت بها
 غدت عليّ سلوك البرق ناقلة
 تلك التعازى التى الاخوان تبرقها^(٢)
 أيقنت حقا بأنى قد فقدت أخى
 رؤيا تنهى بها ذعري وإجفالى
 موج ما بين إدبار وإقبال^(١)
 مستقبلا من حياتى كل ذي بال
 مصيبة حققت خوفا وأوجالى
 نبا يقطع أسلاكى وأوصالى
 وذى المدامع منها كل هطال
 ومن أرجى لأهوالى وأوهالى

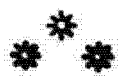
(١) رأيت هذه الرؤيا قبل أن جاءني نعيه بليلة (٢) أول برقية جاءتني هي
 من شيخ العروبة أحمد زكي باشا رحمه الله

أيقنت انك بعد اليوم مغرب
 شعرت اذ ذاك أن لا أزر ينهض بي
 كأتى في فلاة لا أنيس بها
 نسيب غادرتى من بعد بعدك في
 لك الخلاص من الدار التي طبعت
 قد كنت أطمع أن ألقاك والهفي
 حتى أتاني نبأ قد رد لى أمل
 لم يبق لى بعد ذاك النعي من أمل
 أبكيك في غربتي مضى نوى وتوى
 أبكيك حين ألقى الناس مجمعة
 هم يعرفونك من قد كنت معرفتى
 ما كنت تعدو ولا تبغى على أحد
 ولا ذكرت امرأ يوماً بمنقصة
 لم تعرف الكبر في قول ولا عمل
 فيك التواضع خلق لا تكلفه
 ولم تكن لجميع الناس متضعا
 لك المزايا التي الاقوام تحسد بها
 لو كانت الناس في الدنيا نظيرك لم
 ما كنت تنشد في الاعمال محمدا
 بل تلك عاطفة النفس التي طبعت
 وكنت في الشعر فدا لا يشق له

عنى ولست مجيباً بعد تسألى
 وأنتى رازح من تحت أثقالى
 والأرض صارت جميعاً ربعها الخالى
 عيش تبدل آلامى بآمالى
 على الشقاء ، ولى حزنى وإعوالى
 ولو تطاول بي حلى وترحالى
 واحسرتى أمل الظمان فى الآل
 الا بدمع طوال الليل سيال
 بالبعد والموت فانظر أئى اذلال
 تبكى بكائى من دان ومن عال
 فما يزيك الا شاهد الحال
 ولا تُغير على عرض ولا مال
 يا أبعد الناس عن قيل وعن قال
 كلا ولا سرت يوماً سير مختال
 وأنت تلبس منه ثوب اجلال
 الا على ثقة فى النفس والآل
 وما اشتغلت بحساد وعذال
 تحتج لعمرى لحكام وعمال
 ولا تبالى بالقباب وإجمال
 على الجميل لغير الجاه والمال
 أدنى غبار وتعي ناره الصالى

لك القوافي التي أعيت نظائرها
 كم من شروءٍ لعمرى قد جررت بها
 لها من الحضر الأكياس رقتهم
 أدركت في اللغة العرباء منزلة
 كم يدعى الشعر قوم لو وزنت بهم
 قد يفقد الناس حقاً في تواضعهم
 وكم مجال به بان السكيت على
 يعطيك حقل دهر لن تضيع به
 ما مر ذكرك في نادٍ وحاضره
 ذكراك باقية في الناس سائرة
 إن طالما كانت الأحزان زائلة
 جرح أتى حين شمس العمر قد دلفت
 ولوعة البين لا تنفك تسفع في
 يا غرب لبنان ألق السمع وابك على
 فلم يعد في اندمال الجرح من أمل

نوابغ الشعر أهل الشيخ والضال
 على جرير القوافي فضل أذبال
 في لفظ بادية رواد اطلال
 لها على كل فحل كل إدلال
 هدرت بحر أو ساحوا سيح أو شال
 ويحسب الصمت عيًّا عند جهال
 شأو المجلى وبذ العاقل الحال^(١)
 ان الحقائق فيه غير أغفال
 لم يتبعوك ثناء غير بُخال
 كما توضع عرف المندل الغالى
 مع الزمان فحزنى غير زيال
 الى الغروب ودانت بين آجال
 قلبي على مر أسحارى وآصالى
 بكا غريب بأقصى الغرب نزال^(٢)
 وما بقى مهلة يسلو بها السالى



رثائي لفقيد العلم والوجاهة اللغوي العلامة أحمد باشا تيمور رحمه
 الله وكانت وفاته سنة ١٣٤٩

يساورني طول الدجى وأساوره ^(٣) ملال^(٢) وطرفي ساهد الليل ساهره

(١) أي لجهل الناس بحقيقة الفضل (٢) غرب لبنان الناحية التي تسكنها أسرتنا
 والغرب الثانية أوربة التي أسكنها الآن (٣) بالضم التغلب من المرض أو الوجع

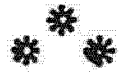
ولولا التقي ناديت يا حبذا الردى
لعمرك ما بالعيش إرب لعقل
تسلسلُ آلام وترداد محنة
وخيبة آمال وفقد أعزة
ليهنك يا تيمور انك جزتها
وفارقت داراً لا يزال قطينها
فان تك عقي الدار قسمة فاضل
تخطتك في ذا الخطب داعية الرثا
جدير بأن يُرثى الذين تركتهم
يسائل بعضاً بعضهم : أين أحمد ؟
فأنى لهم تلك الخلائق بعده
وأنى لهم تلك السكينة والنهى
يريدون في ذا العصر ندّاً لأحمد
ينوحون نوح الثاكلات فكلهم
على سيد : في جنبه كل سيد
على ملك في صورة بشرية
إذا ما جرى في أي ناد حديثه
حريٌّ بأن الشرق يظلم أفقه
وتنكس رايات الفضائل كلها
فمن بعده للعلم تنشق حجب
وللغة الفصحى يصون ذمارها

وقلت متى تاتى إلى بشائره ؟
توغل في علم الحقيقة خاطره
تراوح في كربها وتباكره
وبعد طوال السجن فالموت آخره
إلى ملاء لا يعرف الموت زائره
يفكر في الهول الذي هو غامره
فأقصى أمانيك الذي أنت صائره
والكنها صارت إلى من تغادره
يصابر كل منهم ما يصابر
وأحمد قد ضمت عليه حفائره
وأنى لهم من ذلك الوجه ناضره ؟
إذا عصفت من أي خطب أعاصره
وأحمد فذُّ مفرد الخلق نادره
تدفق عن مثل السيول محاجره
يظل ضئيلاً بادياتٍ مفقره
تعدته من هذا الوجود صغائره
تقول فتيتُ المسك شبت مجامره
لمنعاه والاسلام تبكى منابره
عليه وترخى للكمال ستائره
ويسلس عاصيه ويسهل واعره ؟
وتملأ فيها الخافقين مآثره ؟

صبا بآته في حسنهما وسهاده
وذوق جناها غبقه وصبوحة
أوابدها طرا لديه أوانس
أقام لسان العرب مما دوى به
ولو كان في عصر المؤلف لم يكن
ولو أنه وافي الصحاح مصححا
وكان كتاب العين قد غاب جملة
ولو كان في القاموس لجج^(٢) ما طما
ولو أن رب التاج (٤) عاش بعصره
ولو شمل المصباح (٥) يوما بنقده
مدى ليس فيه من يشق غباره
فقد غيّبت تلك الفضائل كلها
وبات يبكي كل صاب إلى العلى
أحمد لا تبعد ففي كل مهجة
لئن بنت عنا لم تزل متمثلا
دخلت إلى الدار التي أنت أهلها
ولا بأس من هول الحساب على امرئ
عليك سلام الله ملاح بارق
على الناس دين من ثنائك لازم

ومن كتبها أعلقه وذخائره
وجوب فلاها روضه وأزاهره
وشردها من كل فن معاشره
ولولا ه حتما ما أقيمت عواثره^(١)
لديه ابن منظور بكف يناظره
غلت فوق عهد الجوهري جواهره
عن العين لو أن الخليل معاصره
وما كان إلا كالرقارق (٣) زاخره
حل من التاج الذي هو ضافره
لخلاه ملقى ليس يزهر زاهره
وطائلة ما إن بها من يجاوره
ودارت على ذاك النبوغ دوائره
وكان حرى أن لا تحف بواده
ولاؤك عقد محكمات أواصره
عليك احتوت من كل شخص ضائره
مكانك فيها مشرق الوجه سافره
له زرد من نسج أيديه ناصره
وجاد ثراك الغيث ما سح ماطره
يؤدونه ما يذكر الحق ذاكره

(١) إشارة إلى استدراك تيمور باشا على لسان العرب لابن منظور
(٢) لجج في البحر خاض في لجته (٣) الماء الرقيق في البحر وهو بضم الاول
(٤) أي تاج العروس في شرح القاموس (٥) المعجم المشهور في اللغة



ورثيت صديق المرحوم الشيخ عبدالقادر الشيبى كبير سدة البيت
الحرام وعين أعيان مكة المكرمة
سلاني هل على بُعدي سلاني
وهل فارقه الا توات
صديق نادر الامثال فيما
وغطريف تعز به قریش
من النفر الالى سادوا وشادوا
عريق المجد أروع عبدري
وكيف يكون من ينميه أصل
وكيف يكون مضطلع بأمر
أقر الله للشيبى حقا
تغيرت البلاد ومن عليها
وقد ضموا الى ما أورثوه
وكان عميد هذا الوقت منهم
يهز به الحجاز أخا مضاء
واذ فارقه في أرض وج (١)
كأنى قد شعرت لدى وداعي
ولما جاءني منعاه أذكى

وهل كان المغيب سوى العيان؟
رسائله علي بلا توان؟
عهدت وما له في العهد ثان
له في كل مكرمة يدان
وجادوا للأقاصى والأداني
له شأن يكذب كل شانى
كعبد الدار أو عبد المدان؟
تسجل بالمثالث والمثاني
سدانة بيته طول الزمان
ورتبة آل شيبة في أمان
تميزهم بأخلاق حسان
يشار الى علاه بالبنان
الى العلياء كالسيف اليماني
وجا (٢) قلبي التياح كالسنان
بأنى لن أراه ولا يراني
ضلوعي واستهل المدمعان

(١) وج هي الطائف وكان وداعي له هناك ولم أره بعدها

(٢) وجأه بالهمزة ضربه بالسكين ونحوه في أي موضع كان وخفف هنا الوزن

وباتت تسفع الاحشاء ذكرى مجالس كالامان وكالاماني
 زمانا كان يرعاني وفاه على مر الدقائق والثواني
 ألا يا آل شية لي حنين اليكم من أخ جم الحنان
 لعبد القادر الشيبى عندي مقام لا يقوم به بياني
 أشاطركم بهذا الخطب حزنا شجاكم منه سهم قد شجاني
 ولكني بعبد الله (١) أرجو عزاءً آسيا جرح الجنان
 وأسأل للفقيـد كـريم نُزل لدى مولاه في غرف الجنان
 هناك العالم القدسي باق وهذا العالم الانسى فان

هذه مرثيتي للأخ القديم ، والولي الحميم ، أحمد بك شوقي أمير
 الشعراء رحمه الله : وقد توفي سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

قد أعجز الشعراء طول حياته واليوم يعجزهم بندب مماته
 هيات يوجد في البرية منهم كفؤ ليرثيه بمثل لغاته
 كان الأمير لجيشهم مستنة فرسانهم في الظل من راياته
 ما عاب أهل العبقرية أنهم قد قصروا في الخب (٢) عن غاياته
 هذا أمير الشعر غير مدافع في الشرق أجمع منذ فتق لماته
 لو كان وحي بعد وحي محمد لانشق ذاك الوحي عن آياته
 السحر في نفثاته والزهر في نفحاته والدهر بعض رواته

(١) ولد الشيخ الفقيـد وهو الوجيه الاستاذ الشيخ عبد الله الشيبى
 (٢) الخب والخبب ضرب من العدو ويقال خب في الامر من باب طلب اسرع

رقت لنغمته القلوب فكيفها
تغدو المعاني العُصم شمس مقادة
وإذا أراد الصخرة الصماء من
ما رام شارد حكمة في نظمه
جلّى الاله له الامور كأنما
فكسا الطبيعة من نسيج بيانه
فترى الطبيعة قبل نظرتة لها
والحسن يشرق في العيون بذاته
هذا هو الشعر الذي ينبوغة
من كل بيت في رفيع عماده
كالدر في لمعاته والبدر في
ولقد رويت الشعر عن آحاده
وقضيت فيه صبوتي وصبابتى
وأثرت في الميدان بزل فحوله
فرايت (شوقي) لم يدع في عصره
الفرد في أمداحه ونواحه
وإذا تعرض للغرام فهل درت
ما في الهيام كوجده وحنينه
أوبات يعبت بالشراب أضاف من
أوخاض في ذكرى العذيب تشابهت

غنى بها رقصت على نبراته
فيقودها قود الغلام لشاته
أغراضه رقت نظير سحاته (١)
إلا أصاب صميمها بحصاته
يلقى عليها الشمس من نظراته
حللا خلت من غير طرز دواته
غير الطبيعة وهي في مرآته
وهنا يضى بذاته وصفاته
لم تحسن النظراء قرع صفاته
تتقاصر الأقدام عن عتباته
قسماته والصبح في نسباته
وألفت للسباق في حلباته
وقطفت منه خير نوّاراته
وأطرت في الآفاق شهب بزاته
قرنا يهز قناته لقناته
والفد في أمثاله وعظاته
لغة الغرام نظير شوقياته ؟
أو في النسيب كظليه ومهاته
كاساته حبا الى كاساته
أعطاف مستمعيه مع باناته

(١) السحاة تخفيف السحاة وهي ما أخذ من القرطاس

وإذا تحدث بالربيع وروضه
أو سل في وصف الوقائع صار ما
لا رتبة تعلو مكانته ولا
نحت القوافي السائرات أو ابدا
قد بذ آلهة القريض بأسرهم
ينضون كل نجية أن يطلعوا
وايكم مررت بحاسدين لفضله
لا ندَّ يعدله وكم من مجاس
يتمثل العصر الحديث بشعره
ولرب بيت يستقل بحملة
لم يفتن من عصره بمساويء
قد لازم الانصاف في أحكامه
وإذا سألت عن الجهاد فانه
كالسيف في أوضائه ومضائه
ما حل بالاسلام حيف مصيبة
يحمي حقائقه ويوضح سبله
يلقى على غمرات كل ملية
ويظلل يرسلها قصائد شرداً
كانت قصائده هي الصوت الذي
بعثت به روح الحياة كأنها
قد كان أدرى الناس بالداء الذي

أنساك بالتحبير وشى نباته
خلت العدى سالت على شفراته
شرف يُناف عليه من شرفاته
ماذا يفيد النحت من أثلاته
ومحا عبادة لاته ومنااته
جبلا يحل الرأس من شعفاته
رغم القلي يروون من أياته
أشعار شوقي الند في سمراته
حق التمثل من جميع جهاته
تغنى عن التاريخ في صفحاته
كلا ولم يغمطه من حسناته
لا فرق بين صحابه وُعداته
منذ الحداثة كان في سرّواته
والديث في وثباته ووثباته
إلا وكان بها لسان شكاته
ويقل طول الوقت من عثراته
قولا يزيل أجاجها بفُراته
غرراً تشق الفجر عن ليلاته
سرى عن الاسلام ثقل سُبّاته
هي صور إسرافيل في زعقاته
قد حط هذا الشرق عن صهواته

داء هو الأخلاق في اضمحلالها
 ووفى عن الشرق القديم نضاله
 قد زاد عنه بقاءه وبلببه
 ماض يحذره استلاب تراثه
 أعلى منار الشرق في أوصافه
 ووحى الى الشرق بالطرق التي
 أملى مكافحة الذئاب عواديها
 الجائسين ببحره وبره
 والغاصبين لزرعه ولضرعه
 أشعاره تحيا وتحيا أمة
 يا راحلا ملأ الزمان بدائعاً
 أتركت يעדك شاعراً ترضى بأن
 يبكى بك الاسلام خير جنوده
 وكأن وادي النيل من أحزانه
 ونوادي العربية الفصحى لها
 انظر الى الاخوان كيف تركتهم
 انظر لحال أخ فذاك بروحه
 قد كنت طول العمر قرّة عينه
 مضت السنون الأربعون ونحن في
 أركانك عن بُعد وترعاني على
 عهد رعيّناه مديد حياتنا
 فلذا ترى الأخلاق رأس وصاته
 من يوم نشأته ليوم وفاته
 شأن الأبى يذود عن تركاته
 منه ويحفزه لأخذ تراثه
 وأجاد وصف الغرب في آفاته
 يمشى النجاء بها لأجل نجاته
 بالواد قد حلوا مكان رعاته
 والجائشين بنجده ووطاته
 والآكلين لثمره بنواته
 تجد الحياة الحق في كلماته
 من قبل أن نزل القضا بسكاته
 ترعى جياذ الفكر في تلعاته
 أبداً ويرثي الشرق خير حماته
 يلقي على الشطّين من زفراته
 ندب عليك يذيب في رناته
 من كل مضطجع على جمراته
 لو كان يحى الميت عزم فدّاته
 والآن يجري السخن من عبراته
 هذا الاخاء نمز من قهواته
 عهد نهز الرطب من عذباته
 واليوم زاد الموت من حرّماته

قد كنت أطمع أن ترى لي راثياً يا من غدوتُ اليوم بين رثاته
كنا نخاف رداك قبل وقوعه فلنا الأمان اليوم من دهشاته
تبا لعيش قد يكون مساؤه نوحا وكان سروره بغداته
والمرء إن ينظر لما يبلى به لا فرق بين بقاءه وفواته
فالميت وهو يذوب في حشراته كالحى وهو يذوب من حشراته
نرجو لك الدار التى عمارها هم كل من صنع الجميل لذاته
يضىفى عليك الله ثوب نعيمه والله لا تحصى ضروب هباته
قد كنت فى الدنيا هزارة صادحا يشجى ويسلى الناس فى نعماته
فالآن كن بجلال ربك ساجعا والطار المحكى فى جناته

وقلت أرثى صديق الطيب الذكر الحاج عبد السلام بنونه من
عيون أعيان تطوان بل المغرب كله المنتقل إلى رحمة ربه فى ٣ شوال
من هذه السنة (١٣٥٣) وهذا آخر شعر لي إلى تاريخ نشر هذا الديوان
وقد أرادت جريدة « الحياة » الصادرة فى تطوان فى عددها المؤرخ
فى ٣ ذى القعدة سنة ١٣٥٣ الموافق ٧ فبراير سنة ١٩٣٥ أن تتلطف
بالكلمات الآتية قبل إثبات القصيدة :

لوحة أخ على أخيه

رثاء لمفخرة المغرب المرحوم الحاج عبد السلام بنونه

نور الله ضريحه وروح روحه

الأمير شكيب أرسلان رجل الساعة فى العالم الاسلامى ، ابتداء
يخدم القضية الاسلامية منذ خمسين عاما ، وهو أول زعيم عربى رفع

صوته في الشرق والغرب مدافعا عن قوميتنا المغربية المهددة، فبلغ صدى
صوته الخافقين، يحب المغاربة حبا جما، وتربطه برجالهم روابط حب
ميتين وإخلاص مكين، وليست هذه القصيدة التي نقدمها للقراء اليوم
إلا صورة مصغرة منبئة عن عواطفه النبيلة نحو أمتنا وقادتها في الحياة
والموت ؟ « الحياة »

يامد معي اكفياني نار أحزاني
نار تأجج في قلبي فهل لكما
إن لم يك اليوم لي رنات ثاكلة
أقضى الليالي لا أحظى بطيف كرى
هالي بغير كئوس الدمع مغتبق
تأبى المروءة قلبا غير متقد
لا بواتنى المعالي متن صهوتها
وليس كل أخ تأتي منيته
إنا فقدناك يا « عبد السلام » لدن
وكنت ركنا لها إن أمة لجأت
الباهر الخصل^(١) يعي من يسابقه
يرمي بكل مرأش من كنائنه
كانت محامده شتى نقول لها
مهذب الخلق في صفو وفي كدر

إني عهدتكم من خير أعواني
أن تطفئها بتسكاب وتهتان
فأي يوم له وجدي وتحناني
موزعا بين حيران وحران
وليس غير نجوم الليل ندماني^(٢)
على حبيب وطرفا غير ريان
إن كان لم يصم^(٣) قلبي فقد خلاني
على رؤوس ذويه دك بنيان
كنت المرجى لأوطار وأوطان
من الورى لأساطين وأركان
والقائل الفصل عن علم وبرهان
عن كل قوس من التفكير مرنان
سبحان ناظمها في سلك إنسان
وناصح الود في سر وإعلان

(١) بفتح أوله المنادم وقد يكون جمعا

(٢) أصمى الصيد رماه فقتله وهو يراه

(٣) الخصل إصابة الغرض والخطر الذي يخاطر عليه في النضال يقال أحرز

فلان خصله أي غلب

مناقب سنّمتهُ ذرّوة قعست
 بصيرةٌ تستشف الغيب أغمضه
 كانت له في هوى الاسلام صارخة^(٢)
 وعزة العرب العرباء مألّة
 أخي الذي كنت أرجوه على ثقة
 يمضى إلى المجد إذ يمضى بلا ملل
 ما كان يثنيه عن علياء يقصدها
 إن صوّبت نحوه الاعداء أسهمها
 إن شئت تعلم شأؤ المرء في شرف
 إن الحقيقة مثل الشمس آية
 تتعّع المغرب الأقصى لمصرعه
 كأنما كل ما في الغرب من مهج
 قد كنت آمل أن نحيا معاصرة
 أدعو له في جناني كلما انفردت
 نخيب البين ما قد كنت آمله
 خذ في حياتك ما تشاق من نعم
 واعلم فما صادفت عينك في زمن
 لم تحل لي من زمني لحظة عذبت

وما أقرت لأقران باقران^(١)
 وهمة تقرن العالي إلى الداني
 الموت في سبلها والعيش سيان
 عروقه ملء أنداء لأغصان
 إذا تشابه إخوان بخوان
 ولا يبالي بأحقاد وأضغان
 ثان ولا يرتضى في السبق بالثاني
 فالمجد والسلم في الدنيا نقيضان
 قيسه بما هاج من بغي وعدوان
 إلا التجلي لقوم غير عميان
 فلا ترى من بنيه غير سكران
 تجمعت وغدت في وسط تطوان
 مديد عمر وألقاه ويلقاني
 نفسي بنجوى وأرعاه ويرعاني
 وكم أرّتى الليالي ضد حسباني
 وخذ بمقداره تهمام وجدان
 من قرّة فهي يوماً قرح أجفان
 إلا أمرّت وحاكت وقع مرّان^(٣)

(١) أقرن له أطاقه

(٢) الصارخة الاغاثة مصدر على الفاعلة كالغافية

(٣) بضم أوله الرماح الصلبة اللدنة واحدا مرانة

ولا توفر لي حظ الذُّ به
يا راحلا فجع الاسلام أجمعه
ومسلما بطلا كانت حميته
بُدِّلت من هذه الدنيا سماءُ علَّا
شقيت في دارك الدنيا بجيرتها
أثواك ربك في أفياء جنته
وجاد ترب ضريح أنت ساكنه
وأورث الله من أنجبت من ولد
فاذهب عليك سلام الله ما طلعت
يقبلُ بعدك ، مدفونا فجعتُ به

إلا تضمَّن أشجاني وأشجاني^١
فالشرق في نديه والغرب صنوان
تملا الفجاج باسلام وإيمان
فابشر أمستبدل الباقي من الفاني
فاسعد من الملاء الأعلى بجيران
ممتع الروح في رَوْح ورَّيحان
بكل أوطف داني الهدب حنان^٢
خلالك الغر ، هذا خير سلوان
شمس وناح حمام فوق أفنان
ان أَسْتَطارَ على ضعفي لحدثان

(١) أشجاءه أحزنه مثل شجاءه

(٢) وطف السحابة تدات ذيولها ومنه الاوطف والهدب بمعنى الذيل

والحنان الذي له صوت

القسم الرابع

﴿ في المدائح السلطانية ، وشؤون السياسة العثمانية ﴾

لي عدة قصائد سلطانية كنت أمدح بها السلطان عبد الحميد ولم أكن أقدمها للحضرة السلطانية وإنما كنت أنشرها في الجرائد تعظيماً لمقام الخلافة وتأيداً لوحدة الأمة ، فمن هذه القصائد ما لم أعثر عليه حتى هذه الساعة ولذلك تراني مملياً منها ما لا يزال في خاطري كيفما اتفق منها قصيدة نظمها في الاستانة سنة ١٣١٠ هـ ١٨٩٢ م أي من ثلاث وأربعين سنة لا أزال أحفظ منها ما يلي :

ما إن لشأو في البيان يبين تدنو لمدحك غاية وتبين
شأو لو الحدق^(١) حاول مثله أعيا البيان لديه والتبين
إيتاء حق الشكر حق خليفة تزين الدنيا به والدين
(ومنها)

تغشى الامور بفكرة وقادة الظن منها في الامور يقين
يا طالما صدت مقارعة الظبي إن العقول معاقل وحصون
(ومنها)

فاسلم أمير المؤمنين ولا تزل تعطى مناك وما تريد يكون
في دولة غراء عثمانية متكئها النصر والتمكين
ومنها قصيدة أخرى بائية نظمها في سورية وأظن عهداً يرجع
إلى أربعين سنة وقد بقي منها في حافظتي الايات التالية

(١) المراد به الجاحظ وكتاب البيان والتبيين من أشهر كتبه

قف بين معترك الأمواج والهضب
 بدار سلطنة الدنيا ومركزها
 بحيث قد فرق البرين ربهما
 وقابل الشرق في أزياء قدمته
 ثغر الثغور حماء الله قام له
 مازال من عهد قسطنطين مرتقبا
 حتى أتته جيوش لا كفاء لها
 سخرن من أرضه قرنا يذل له
 ومنها في ذكر السلطان

حاز الخلافة في عصر أبي لهب
 فاطفا النار من بعد السعير له
 ومنها قصيدة نشرتها في المؤيد عهدها يتأخر عن عهد القصيدتين
 الأولين بعدة سنوات وأذكر منها مايلي :

مشارك أرض لها بمغارب
 وجانس بين الغور والتجد عندها
 وضيق بين الفرجتين فصارتا
 وقرب بين العدوتين كأنما
 مروى شعار الهند دان وراويا
 لواء من الاسلام قد عز نصره
 لواء لوان الارض طال أثيرها
 وغادر قطبيها مزاجا لقاطب
 كلا أرضها لم يعي وقع السلاهب
 إلى مثل ما ضمت أنامل حاسب
 له كرة الغبراء أكرة لاعب
 سبان المعالي عن رقاق المضارب
 أطل على الآفاق من كل جانب
 لما زال حتى اندق بين الكواكب

(١) إن أكثر الحرب يوم فتح استانبول وقعت على الخليج القسطنطيني -
 قاسم باشا - وهناك مزار أبي أيوب الانصاري (رض)

ولو أن قرن الشمس أرخى ذوائباً
تداوله بعد النبي خلائف
لعمري لئن طال التحكك بالسهي
لما طاولت أحساب عثمان عصبه
أرى آل عثمان بنصر محمد
مليون بالامر الذي يحملونه
لقد نوروا ليلاً من النقع داجياً
وقد فرعوا من كل ملك عقيلة
لقد جمعوا البرين مع زأخريهما
ومنها في ذكر السلطان

تردى باذن الله حلة خائب
خو اترك الغرا وحسن المذاهب
تمدُّ بقضبان له وقواضب
وقضبانه في السلم ان لم تحارب
وكل من الدولات تدلى بجاذب
وهل ينهض البازي بغير مخالب
فسالم إذا ما طبت نفساً وغاضب
لها قاب شيخان وجثمان شاحب
وحفظت لعثمان وفاراً مريده
وحسنت بل حصنت ماشئت واقتضت
سردت له هذا الحديد فلم تزل
قواضبه في الحرب إن تئددب لها
وما عفت نار الحرب الا تعقلا
وما عقتها الا احتفازاً لقربها
لكل من الامرين أعددت عدة
سهرت وقد نام الأنام بمقلة
وآخرها

فحبك ذا شرعي وعرفي ومذهبي ومدحك ذا فرضي ووترى وواجبي

(١) أي ان آل عثمان في نصر محمد (ص) هم كالأوس والخزرج الا أنهم لم يدركوا زمن الصحابة

ونظم المرحوم شوقي بك عند ما ذهب إلى الآستانة وكان ضيف
أمير المؤمنين القصيدة الآتية :

رضى المسلمون والاسلام فرع عثمان دم فداك الدوام
كيف نحصى على علاك ثناء لك منك الثناء والاكرام
هل كلام العباد في الشمس إلا أنها الشمس ليس فيها كلام
ومكان الامام أعلى ولكن بأحاديثه يتيه الأنام
إيه « عبد الحميد » جل زمان أنت فيه خليفة وإمام
ما رأيت مثل ذا الذي تبتنى الـ أقوام مجدا ولن يرى الاقوام
دولة شاد ركنها ألف عام ومئات تعيدها أعوام
وأساس من عهد عثمان يبنى في ثمان ومثلهن يقام
حكمة حال كل هذا التجلي دونها أن تنالها الافهام
يسأل الناس عندها الناس هل في الـ الناس ذو المقلة التي لا تنام ؟
أم من الناس بعد من قوله وحسي كريم وفعله إلهام ؟
صدق الخلق أنت هذا وهذا يا عظميا ما جازه إعظام
شرف باذخ وملك كبير ويمين بسط (١) وأمر جسام
« عمر » أنت بيد أنك ظل للبرايا وعصمة وسلام
ما تتوجت بالخلافة حتى توج البائسون والأيتام
وسرى الخصب والنماء ووافى الـ البشر والظل والجنى والغمام
وتلقى الهلال منك جبين فيه حسن وبالعفاة غرام
فسلام عليهم وعليه يوم حيتهم به الأيام
(١) يمين بسط بالضم مبسوطة

و (بدا الملك) ملك عثمان من عا
يهرع العرش والملوك اليه
هكذا الدهر حالة ثم ضد
ولأنت الذي رعيته الأسـد ومسرى ظلالها الآجام
أمة الترك والعراق وأهلوا
عالم لم يكن لينظم لولا
هذبه السيوف في الدهر واليو
أيقولون سكرة لن تجلى
ليذوقن للمهمل صحوا
وضع الشرق في يدك يديه
بالولاء الذي تريد الأيادي
غير غاو أو خائن أو حسود
كيف تهدي لما تشيد عيون
مقل عانت الظلام طويلا
قد تعيش النفوس في الضيم حتى
أيها النافرون عودوا إلينا
غرض أتم وفي الدهر سهم
نتم ثم تطلبون المعالي
شر عيش الرجال ما كان حُلما
ويبيت الزمان أندلسياً ثم يضحى وناسه أعجام

عالي الباب هز بابك منا فسعينا وفي النفوس مرام
وتجليت فاستلنا كما للناس بالركن ذى الجلال استلام
نستمح الامام نصرا لمصر مثلما ينصر الحسام الحسام
فلمصر وأنت بالحب أدرى بك يا حامى الحمى استعصام
يشهد الله للنفوس بهذا وكفاهها أن يشهد العلام
وإلى السيد الخليفة تشكو جور دهر أحراره ظلام
وعدوها لنا عودا كبارا هل رأيت القرى علاها الجهام؟
فمللنا ولم يك الداء يحمي أن تمل الارواح والاجسام
يمنع القيد أن نقوم فهل تا ج فبالتاج للبلاد قيام
فارفع الصوت إنها هى مصر وارفع الصوت إنها الأهرام
وارع مصر ولم تزل خير راع فلها بالذي أرتك زمام
إن جهد الوفاء ما أنت آت فليقم فى وفائك الخدام
وليصولوا بمن له الدهر عبد وله السعد تابع وغلام
فاللواء الذي تلقوا رفيع والامرر التى تولوا عظام
من يرد حقه فللحق أنصا ر كثير وفي الزمان كرام
لا تروقن نومة الحق للبا غي فللحق هبة وانتقام
إن للوحش والعظام منها لمنايا أسبابهن العظام
رافع الضاد للسها هل قبول فيهاى النجوم هذا النظام
قامت الضاد فى فى لك حبا فهى فيه تحية وابتسام
ان فى « يلدز » الهدى لخلالا أنا صب بلطفها مستهام
قد تجلت لخير بدر أقلت فى كمال بدت له أعلام
فالزم التم أيها البدر دوما والزم البدر أيهذا التمام

فعارضته بالقصيدة الآتية:

هل لسان أقواله الإلهام ؟ أم بيان آياته الأحكام ؟
فتبارى الألفاظ شأو المعاني ويوفى حق الثناء الامام ؟
الذى شرفت خلافته الارض فحف البرية الأكرام
وغدت لهجة الثناء عليه مثلها دام للصلاة إقام
قعدت نهضة البلاغة عنه ودنت عن خياله الأوهام
قعس في الصفيح من أطلس العرش تهوت من دونه الأفهام

إنما وصفه على فاتح الأفكا ر في الذروة التي لا ترام
كل طرف للفكر عنه كليل كل طرف للجري فيه كهام
قصر الوصف دون من يفضح الوصف فوعند الفعال يخفى الكلام
ينبذ الشعر والشهود الرياضيات عدا والحجة الأرقام
إن ما سال في ثناه يراع لا كما سح من يديه غمام
وفعال الضرغام أوقع في النفس من القول إنه الضرغام

كل يوم له صنائع تترى في البرايا لباسهن الدوام
تكفل الناس مثلها يكفل الغبراء غيث له عليها انسجام
طوق الخلق جوده ونداه فهي في مدحه لعمرى حمام
وجدير أن تنطق الطير والوحش فيتلو الصداح فيه البغام

نسخت عنده الملوك وأمسى خبرا من أخبار كان الكرام

ما رأى مثله الزمان عظيما صبية عنده الرجال العظام
جاء من ضئضىء الخلافة فردا هو من معشر الملوك السنام
فرع عثمان وكفى المجد والاحـساب والمكرمات والاحلام

دولة حجة الزمان على الخلق بها دون مزية إلزام
ليس للشرق غيرها فبنو المشـرق طرا بدونها أيتام
قد أقامت سرادق العز يعليـه الوشيح الرماح والاقلام
فوقه راية الهلال منيرا يدبر الظلم عندها والظلام
ينضوي تحتها النقاد مع الاسـد وترعى الذئاب والآرام

مجد عثمان ليس غيرك مجد	كل مدح من دون مدحك ذام
لم تزل شامخا بأنف عزيز	ولكم أعطس الملوك الرغام
لا ترى دولة هـز الا وضفا	حولها المسلمون والاسلام
وعلى رأسها خليفة عصر	دهره تابع له وغلام
لم يزل قائما لديه بأبوا	ب عليهن للجباه ازدحام
حيثما تهطع الملوك وتعنو	تحت تيجانها الطلى والهـام
موقف تخشع النواظر فيه	وتسوى الرؤوس والاقدام
قد حباه عثمان أئسا متينا	مثل البيت عنده والمقام
شاب قرن الزمان وهو مكين	وتخـطت مئـاتها الأعوام
وغدا ألفا سهام الليالي	فلذا لا تنال منه السهام

إليه « عبد الحميد » إن زمانا	أنت فيه عباسه بسام
أوله نصر ك العزيز وأيد	وارو مصرًا له اليك أوام
أشخصت نحوك العيون حيارى	أمم الخافقين والأتوام
وتصبى القلوب منك خلال	يحرم العشق دونها والهيام
أقبل العصر يرتجيك وفي الم	نى كتاب وفي الشمال حسام
حبذا الدولة التى صار فيها	توأمين العلوم والاعلام
هوذا الشرق فى حماك لك الام	ر جميعاً وفى يدك الزمام
هزه هزة تثوب بها الرو	ح وتحي الآمال وهى رمام
أرهف الحد للخطوب فما ين	فع مع هذه الليالي احتشام
لم تزل أرضنا مآسد بالله	وماوى رجالنا الآجام

إن للشرق هبة بعد نوم	أزعجته خلاله الأحلام
هبة تبعث الحمية فى النا	س كما يبعث الخمار المدام
يسال الغرب عندها الشرق هل جا	ءك روح تحيا به الأصنام ؟
ترسل الكهرباء فيها شعاعا	ويرى للبخار فيها ركام
وتشب النيران فى كل أرض	فتعود النيران وهى سلام
انما تثلج الصدور بسلم	حيثما يوقد الصدور ضرام

يا إمام الهدى هنيئاً وأولى	أن يهنا بالعبء عنك الأنام
إن أحاول على علاك ثناء	فهو مما قضى على الذمام

أو أعارض قتي القريض^(١) فما عا
رض ورد الحدائق القلام^(٢)
ذا مجال رضيت فيه من السب
ق بعزم لم يثنه الاحجام
وإذا كان بدع وصفك سمطا
جاء عفواً من القريض النظام

إن يوما به الجلوس تجلى
دو يوم خـداده الايام
كفر الدهر فيه عن كل ما جر
فلم يتجه عليه ملام
جاء ختما لطارقات الليالى
فاختلافاتها الينا لمام (٣)

ليس يلجى على أواليه عصر
بمعاليك طاب منه الختام

*
* *

ولما استرجعت الدولة العثمانية مدينة أدرنة وتوابعها بعد الحرب
البلقانية المشؤومة أرسلت الدولة وفدا الى أدرنة من رجال العرب
لتهنئة أهل تلك الديار على رجوعهم الى حضن الدولة فحرت احتفالات
وقيلت خطب، وكنت من جملة أعضاء الوفد العربى المذكور، فتلوت
أمام ضباط الجيش العثمانى قصيدة نشرتها أكثر الجرائد العربية
والتركية ولا أزال أحفظ منها الآيات التالية

فدأ لجانا كل من يمنع الحمى
ومن ليس يرضى خوضه متهدما
فما العيش إلا أن نموت أعزة
وما الموت إلا أن نعيش ونسلما
تأملت في صرف الزمان فلم أجد
سوى الصارم البتار للسلم سلما

(١) شوقي (٢) القلام القاقل . قال المعري:

لولا غضا نجد وقلامه لم يشن بالطيب على رنده

(٣) جمع لمة . يقولون ماتزورنا إلا لما ماي في الأحايين

ولم أر أنأى عن سلام من الذي
يقولون وجه السيف أبيض دائماً
فإن يك دفع الشر بالرأي حازماً
تجاهل أهل الغرب كل قضية
وكابر قوم ينظرون بأعين
(أدرته) يأم الحصون ومن غدت
فدينك ربعا ما أبر بأهله
عمرناك أحقاباً طوالاً فلم نزل
فلما أتاك المصالحون بزعمهم
الأقل الفردينان (١) أسرفت عادياً
وهاجمت والاحلاف غدر أو غيلة
رجالاً لها بعضاً ببعض تشاجر
تعرض هذا الملك منكم ومنهمو
(أدرتنا) لو كان للصخر ألسن
فما من قتي إلا وأجش بالبكا
ولا عادة إلا وكفكف دمعا
ولا منبر إلا وأورق بهجة
وقرّت عيون المصطفى في ضريحه
ومنها :

تعجلتمو منا ثغوراً شواغرا
خميس إذا النيات صحت رأيته
فها وقد جاء الخميس عرمرما
يخيم معه نصره حيث خيا

(١) ملك البلغار (٢) رجعه رده مثل ارجعه

تأمل أهاضيبي الجبال وقد رست
تضيء نواحيه بغرة عزة (١)
يليه من الابطال كل غضنفر
تراهم ليوثا في الوغى وضياغما
فمن مبلغ البلغار أنا الى الوغى
وأنا جميع العرب والترك إخوة
وليس يزال العرب والترك أمة
وقولوا لهم بانت سعاد فلا يزل
ستلبث عثمانية رغم أنفكم
فلا يطمعنكم في أدرنة مطمع
أدرنة صارت عندنا تلو مكة
ومنها :

فيالك من يوم أتى في خطوبنا
وكانت بقايا السيف تبكي فأصبحت
وما زالت الدنيا سرورا وغممة
عسى كل يوم بعد يوم أدرنة
وليس على المولى عسير بأن نرى
كشادخة غراء في وجه أدّهما
تضاحكهم طرا ملائكة السما
وما زالت الأيام بُوسى وأنعما
يعود على الاسلام عيدا وموسما
هنا محاذك العزاء المقدما

* *

ولما أعلن السلطان عبد الحميد الدستور العثماني وعم الفرح في ذلك
الوقت جميع الأمة حصل اجتماع كبير في بيروت فتلوت فيه هذه

(١) أحمد عزت باشا الارناؤطي قائد الجيش

القصيدة ذاهبا فيها مذهب من لا يريد أن تكون الحرية مقرونة بالفوضى
ومن يغار على مقام الخلافة

ألا يا بني عثمان حسبكم بشرى

لقد جاد رب العرش بالنعمة الكبرى

وقد فزتم ذا اليوم بالغاية التي
أطلت عليكم بغتة شرّ د المني
أتت وحجاب اليأس قد حال دونها
وكم قد أسأتم من ظنون وقلتم
فعن غير وعدٍ بدل الله حالكم
ويعلم أن الله لأرب غيره
أراد تارفي الشرق من عثراته
ولحم مولانا الخليفة ظلّه
تداركها رمقا باكسير ناظر
فقلتم بنعماء حياة جديدة
سلاما وبردا نلتموها بلطفه
بكم ظن اشفاقا وفي أرض غيره
وحاشا أبأ بر الابوة مثله
إمام له في كل يوم عوارف
تلقاه عصر بالخطوب فلم يزل
أذل عناد النائبات فأسلست
لنا من نداه الجهم في كل حادث

عليها رجال قد قضوا دونكم قهرا
تحقق بعث الله مع عسره اليسرا
كما ينشر الديان من سكن القبرا
مضينا وبعض الظن يختبئ الوزيرا
لتنجى لكم رحى وتغدو لكم ذكرى
وليس سواه يملك النفع والضرا
فألقي عليه من عنايته سترا
قيام على الدستور في الدولة الغرا
إذا مال نحو الترب صيره تبرا
غدت بنفوس عند غيركم تشرى
وجيرانكم بالسيف هاماتهم تفرى
فما أ كثر القتلى وما أ رخص الاسرى
يريد بنا ضيما ويرهقنا عسرا
على الشرق والاسلام لا تقبل الحصر
يكافح في آرائه وحده العصر
وأصبح بالتدبير يقتادها قسرا
سحائب في الأقطار قد حكت القطرا

غداً أمماً شباك طه أبي الزهرا
وأن يبلغ الفخر المؤثّل والأجرا
على الخلق وقع الماء من كبد حرى
به بالليالي البيض أيامها السمر
بها قد غدت سكرى ولم تعرف الخمر
فسمّلت له سحب الدموع من السرا
ويوم تبشرنا به يعدل العمر
لدى تملككم البأساء قد أحسنوا الصبر
وأدوا عليها من صداقتكم شكراً
على شاطئ لا تملكون له عبداً
فتمت عاض حلوا اليوم من مرّ مامراً
فقد نسي الظلماء من شهد الفجر
فمافات فرض الصوم من شهد الشهر
كفتها إلى عثمان نسبتها فخراً
وقبلاً أياديه على هامكم تترى
فقد جاء عدواً في شبيبته الخضرا
(وشاورهم بالامر) إن تحمل الامرا

ولو لم يكن إلا الطريق الذي به
لكان لعمري كافياً في ثنائه
لقد منّ بالنعمى التي جاء وقعها
وأمة عثمان أزالته بلحظة
فيالك بشرى في مسامع أمة
وياالك من أمر به البرق جاءنا
وياالك من وقت سعيد أظننا
فشكراً على النعماء اخواننا الألى
ألا قدروا هذى المكارم قدرها
فكم قد وقفتم صابرين وكنتم
ولا تذكروا ذلك الزمان الذي مضى
لقد طال ليل بالمحبين غاسق
ولا عذر في التقصير بعد الذي جرى
وفدوا أمير المؤمنين بأنفس
سيغدو لكم دور جديد بجوده
تلقوا لنا العصر الجديد بحكمة
لقد منّ بالشورى عليكم بمقتضى

وهذه الايات من قصيدة نظمها وقت إعلان الدستور العثماني

وقد فتمت القصيدة:

ذاك الخطاب عساها تنفع الذكر
إذا ترون اعوجاجاً بي فلا تذروا
إذا أقنناه بالاسياف يا عمر
باتت تقوم مني البيض والسمر

تذكروا مثل الخطاب حين جرى
إذ ارتقى منبراً يدعو رعيته
فقيل والله لو أننا نرى عوجاً
فقال أحمد ربى إذ على يدكم

(١) سكة حديد الحجاز

وكتبت هذه القصيدة من ساحة الجهاد في الجبل الأخضر لأول هجوم
إيطاليا على طرابلس الغرب

سراعا بني أمي بحث^(١) ظعونها^(١)
وما زال فري^١ الخطب تحت خفافها
لعمر المعالي ما عدون ديارنا
ولا كان ما قد آثرت من فتورها
يعافون مورود الصعاب إلى العلا
فمن يرد الأيام بيضا فلا يكن
ركبنا ظهور الصافنات وقد ثوت
وقلنا لهادينا الفلاة فأننا
طووا شقق البيداء شرقا ومغربا
وما إن شأى^(٥) بالكهرباء مركب
فان يقطع القوم البحار فعندنا
على غير شيء غير أننا عصابة
تعدوا حدود الصبر حيفا بأمة
وقد طالما بتنا نغالط أنفسنا
إلى أن تجلى العزم لا حجب دونه
ولم يبق من مستعجم في مرادهم

فما حرك الآلام غير سكونها
وشرح صدور الركب فوق متونها
ولا حُربت^(٢) إلا بطول هدونها
سوى الأصل فيما كابدت من فتونها^(٣)
ولا مجد إلا بارتقاء حزونها
جزوعا لكرات الليالي بجونها
بأصلابنا فرسان ما في بطونها^(٤)
رجعنا إلى آبائنا وشؤونها
ألم نك من ماء الأوالي وطنها ؟
بشاحطة الصحراء مدَّ هجينها
مهامه لا تلقى لهم بسفينها
غضاب لدنيا المسلمين ودينها
غدوا لبدأ^(٦) في عزم قطع وتينها
ونبغي من الأعلاج سل ضغونها
وقصر بالأعذار نص مبينها
بأمة صدق أمعنت في ركونها

(١) الظعون بفتح اوله البعير يحمل عليه (٢) أي ما سلبت ملكها الا بفرط سكونها
(٣) الوقوع في الفتنة (٤) أي أولادنا فرسان أولادها (٥) شأى سبق (٦) أي
اجتمعوا واصق بعضهم ببعض ومنه قوله تعالى في سورة الجن (كادوا يكونون عليه لبدا)

فقلنا عليكم بالسيوف فانها
 فان يخفر الأعداء بيض عهدنا
 ألا شد ماقد أصغرت من مقامنا
 تناست سريعا ما مضى من بلائنا
 وظنت عروش الشرق مالت وأصبحت
 وأن زمان الثأر وافي فأوجفت
 فلم يزل الاسلام غصبا^(٢) بأمله
 وما رقرق القرآن ماء طباعها
 فلا يغترر قوم بظواهر ليننا
 لنا من بني عثمان كل غضنفر
 فلسنا نباهي أن نحرقنا سخالها
 فما اضطلعت بالسيوف أيدي جنودها
 جحافل في سيف البحار تخالها
 ولولا الجواري المنشآت تمدها
 لئن جردتها رومة لحصارنا
 لأفصح من أقلامنا برنينها
 فعند ذمام البيض^(١) ردع خؤونها
 وما اقتحمتنا في الغزاة حينها
 وأننا علونا عاليات قرونها
 كأن لم يكن بين الصفا وحجونها^(٣)
 ألا خاب ما تد قدمت من ظنونها
 ونيرانه لم تنطفيء بكمونها
 فبهيات يخشى من نضوب معينها
 فما الصعدة السمراء هونا بلينها
 تخر له أبطاهم لذقونها
 وقبلنا صرعا أسدها في عرينها
 وإن مهرت في الشجذ أيدي قيونها
 من الذعر ورقاعكفافي وكونها^(٤)
 من اللج زجت في مفاغر^(٥) نونها
 لقد أودعتها عندنا بسجونها

(١) البيض الثانية هي السيوف (٢) أصبح مثلا مضروبا أصله قول الجرهمي

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

والحجون مكان بمكة بفتح الحاء ناحية البيت . قال الاعشى

فلا أنت من أهل الحجون ولا الصفا ولا لك حق الشرب من ماء زمزم

(٣) الغض الطري الناضر (٤) الورق جمع ورقاء وهي الحمامة يضرب لونها الى الخضرة .

والوكون جمع وكن بفتح فسكون وهو مأوى الطائر (٥) المفاغر جمع مفغر ويقال واسع

مفغر الفم أي فتحة الفم . والنون الحوت

وفي كل يوم وقعة لجيوشها
 لقد طعمت مما جنته وضيعة (١)
 قد استوقدتها الحرب نار شكوكها
 فدرو نكمو يا أيها العرب حملة
 ووصونوا ذمار الملك شدا فلم يُمل
 وهذى طلي الطليان تهفو اليكمو
 ستعلم أطرا بلس أننا صحابها
 وكل ذراع عندنا من ترابها
 سلمت أمير المؤمنين لأمة
 تقيم بها في الحق حكم أميرها
 ومن أمراء الشرق حولك عصبة
 عباس يا عضد الخلافة والذي
 وبيا سيف نصر عاملا في عدتها
 إذا اعتصمت في روعها من محمد
 وإن جهمتها (٣) الحادثات فلم يزل
 إذا عالم الاسلام أولاك شكره
 تحن إلى ناديك مهجة غائب
 فان تك آلت نجدة لقبيلها
 ولولا الحقوق الواجبات لما نبت
 تظل دعاوى في المعالي كثيرة

تضيق بها بطحائها بدفينها
 تخالط فيها جنبها بجنونها
 إذ العرب واقتها بثاج يقينها
 نزارية فاستبسوا لزبونها (٢)
 سروج المطايا غير رخو وضيئها (٣)
 سقوط ثمار الدوح من عن غصونها
 وبرقة لا نرضى لعمرى بدونها
 كخالصة الأعلاق عند ضنينها
 محمد طول الدهر نور عيونها
 وترعى لها بالرفق عهد أمينها
 سطاك كراسيها وشم حصونها
 يضاء به في داجيات دجونها
 وقائمه لما يزل في يمينها
 بصاحبها منك اهتدت لمعينها
 بعباسها بسام نور جبينها
 فما لذباب بلغة بطنينها
 يقطعها في البعد فرط حنينها
 فمثلك من يرضى ببر يمينها
 أما كن من أوطانها بمكينها
 وما كل باغ وصلها بقرينها

(١) الوضيعة الخطيطة (٢) يدفع بعضها بعضها من الكثرة (٣) حزام السرج

(٤) جهمه استقبله بوجه مكفهر

إلى ملتقى الجمعين والسيف فاصل هنالك يدرى غثها من سمينها
 هناك لنا في جانب الغرب إخوة تسومهم البؤسى العدى بفنونها
 بكينا لها نحن الالى ما تعودت مدامعهم في الخطب بذل مصونها
 فان نحن قاررنا على ضيم أهلنا فهيئات نرجو العز من بعد هونها
 ترى النفس كدنا وقفه في صفوفها قضاء عن الأرحام بعض ديونها
 فما الشام والنيل السعيد ودجلة سواها لدى أفراحها وشجونها
 ووالله لا أعطي المقاد ولما أرد بالنفس حوض منونها
 اذا بات إخواني بركة سهداً فيكيف تنام العين ملء جفونها (١)

(عن مخيم عين منصور في ظاهر درنة أول ربيع الأول سنة ١٣٣٠)

وفي أول حرب طرابلس الغرب واندفاع المصريين بمساعدة إخوانهم
 الطرابلسيين أقيمت في القاهرة سوق خيرية لشراء أشياء يعود ثمنها إلى
 المجاهدين والجرحى وفي ذلك الوقت مثلوا في الأوبرا بمصر رواية
 « صلاح الدين الأيوبي » وتليت قصائد ثلاث إحداها قصيدة لي تلوتها
 بنفسى، والثانية قصيدة للمرحوم « شوقي » والثالثة قصيدة لشاعر القطرين
 « خليل مطران » وقد فقدت قصيدتي من بين أوراقى فأملت منها مالا
 يزال عالقا بخاطري وهو :

(١) هذا الشطر الأخير تضمن أصله للابوردي في رثائه للقدس يوم فتحها
 صليبيون فهو يقول :

وكيف تنام العين ملء جفونها على هفوات أيقظت كل نائم
 وإخواننا بالشام صرعى مقيلمهم ظهور المذاكى أو بطون الفشاعم
 ولعل « الهفوات » هنا تصحيف « جفوات » فان الهفوات تستعمل غالباً بمعنى
 الزلات الخفيفة ولم يكن إهمال بغداد للشام من هذا القبيل

سلا : هل لديهم من حديث لقادم
 وهل وردتهم عن كريم مقامه
 وهل نظروا من نحو برقة موهنا^(٢)
 تألق في ليلي ظلام وقسطل
 مواطن إخوان تملوا من الردى
 دفاعا عن الأوطان إن دفاعها
 تهيئهم فيها العدو مهاجما
 ولئن في إقباله من إهابه
 فثاروا وما كانت زعانف رومة
 ونعم سقاة الموت هم كلما بدت
 وحسبك منهم كل قوم نمتهمو
 وكم وقفوا يستنصفون عدوهم
 فلما رأوا عجز الدليل تطلبوا
 فلم يك مثل السيف كاليوم قاضيا
 وما طال نوم السيف إلا تنبهت
 أخلاى سوق المنايا مقامة
 فهل لكم في سوق بر ورحمة
 غياثا لمظلوم ونصرا لصارخ
 كفى بالهلال الأحمر اليوم هاديا
 وأكرم بأمر المحسنين^(٣) الذي طمى

عن الغرب^(١) يروى فيه غلة هائم
 سمان المعالي في لطاف النسائم
 فلاحت لهم منها بروق الصوارم
 فتشىء سحب الدمع من طرف شائم
 كؤوسا تساقوها بملء الحلاقم
 لدى كل قوم كان أولى المكارم
 فجاء ديب اللص في ليل قائم
 وهل يخدع الإنسان لين الأراقم؟
 من العرب أ كفاء الليوث الضراغم
 بروق المواضى في رعود الغمام
 أرومة قحطان ونبعة هاشم
 وهزوا من الاملاك جذع المراحم
 لدى الصارم البتار صدق التراجم
 ولا العهد مثل الآن أحلام حالم
 عيون الدواهي منه عن جفن نائم
 تباع حفافها غوالي الجماجم
 تناول فيها باقيات المغام
 وضمداً لمجروح وقوتا لصائم
 لمن حار في ليل من الشك داهم
 جداه كآج العيلم المتلاطم

(١) فيه تورية بين الغرب الذي هو الوطن المغربي والغرب الدلو الذي يستلزم الري

(٢) الوهن نصف الليل أو ما بعده

(٣) والدة الخديوي السابق وكانت بذلت بذلا عظيما لمساعدة الجرحى.

سائلة « إلهامى » فمن كل جانب
وأجدر بقوم أمطرتهم هباتها
وحاشا بلاداً أنتم عن يمينها
تخيلتها شوقاً على بُعد دارها
لقد حوصروا برا وبحرا وأمطروا
وقد طالما أرهفت حد يراعى
أجل إننا من أمة عربية
ولو أنصف الأقوام في حقهم رأوا
لها نسب نحو البحور الخضارم
بأن يأملوا قرب انفراج المآزم
يفت باعضاد لها ومعاصم
تصالحكم بالقلب لا بالبراجم
بحمر المنايا من سواد الغمام
فلما تعالى الخطب عدت لصارمي
نكافح عنها عاديات الأعاجم
مؤاساتهم فرضاً على كل آدمى

وقبل الحرب العامة بسنة جرى في الاستانة تمثيل رواية « صلاح
الدين يوسف الأيوبي » باللغة العربية ، وقبل التمثيل تأيت قصائد منها
قصيدة للأستاذ الكبير جميل صدقي بك الزهاوي العراقي مبعوث بغداد
يومئذ ، ومنها قصيدة للأستاذ الكبير فارس بك الخوري السوري مبعوث
الشام يومئذ ومنها هذه القصيدة لى . وإني لموصى قراء هذا الديوان
بالتأمل في الآيات الاخيرة منها التى فيها الكلام على مصير البلاد الشرقية
ليتأملوا كيف تم كل ما قيل :

إذا افتخر الشرق القديم بسيد
ونصت موازين الفخار وقد أتى
فمن كصلاح الدين تعنو لذكره
يخالط أعماق القلوب ولاؤه
وأقسم لو في الحي نودي باسمه
له عاملاً حرب ، وسلم ، كلاهما
مهنده في عنق قرن مساور
تميد بذكراه ابتهاجا محافله
يمائن كل خصمه ويساجله
رؤوس أعاديه ومن ذا يعادله
وتفعل أفعال الشمول شمائله
لدى سنوات المحل لا خضر ماحله
كفيل باذلال العدو وقاتله
ومنته في عنق خصم يحامله

وما قتل الحر الابي الذي زكت
وما كل يومما عضبه عن كريمة
تظل طوال الوقت تندى سيوفه
فكم من عدو قد تردى بحربه
وفي الحرب قد تخطى مراميه مرة
تفيض على بؤس العداة دموعه
كأن الوري كانوا أهاليه جملة
ومن فهم الانسان في الناس فهمه
كذلك من كان التمدن دأبه
وليس كمن بات التمدن يدعي
تعلم أهل الغرب من يوسف العلي
سلوا الشرق عن آثاره في غزاته
مشى الغرب طرا قضا وقضيضه
مئات ألوف والفرنسيس (٣) وحده
وريكارد (٤) قلب الليث في كل موقف
ومن أمة الالمان جيش عرمرم
سجاياه كالغفو الذي هو شامله
ولا مل من حلم ولو مل عامله
دماء وتندى جانبيها فواضله
قتيلا وعاشت من نداه أرامله (١)
وفي كل حال ليس يخطيء نائله
ولم يلف يومما سائل الدمع سائله
فمهما يكن من بائس فهو كافله
رأى أن كل العالمين عوائله
سجية صدق محضة لا تزاله
مقاولة تدكذبها مفاعله
وإن بهرتهم في التلافي فضائله (٢)
على حين كل الغرب صفا يقابله
وفارسه رام النزال وراجله
غدا أمة في الارض انصال صائله
يؤازره في طوله ويمائله
يسير به من أبعد الارض عاهله (٥)

(١) نعم فتح بيت المقدس بحرب تشيب الاطفال ثم لما ثقف الافرنج اسرى
من عليهم وأطعمهم وكساهم وقال لهم : كنت أقدر أن أفعل بكم ما فعلتموه
بالمسلمين يوم دخلتم القدس ولكن تأبى شيمي ذلك
(٢) كثير من مؤرخي أوربة المنصفين قالوا إن صلاح الدين بعمله هذا اخجل
أوربة أبد الدهر (٣) فيليب اوغست ملك فرنسة (٤) ريكارد قلب الاسد
ملك الانجائز (٥) الامبراطور فريدريك بربروس عاهل المانيا

هي الامم الكبرى وما ثم قيصر
فصادمهم من نجل أيوب وحده
حليف وفاء لا يضام نزيله
له ثقة بالله ليست بغيره
وقال وقد تعي الجبال جموعهم
تجمع كرات بعكا عدوه
ويصطدم الجمعان حولين كلما
ذرا برجال الشام شم جوشهم
وسخر هاتيك المعازل كلها
وسل عنه في حطين (٣) يوما عقباً
وعن ملك الافرنج وهو اسيره
هنا انتصف الشرق الاصيل من الذي
فهل كان مثل الشام حصناً لامة
ومن قصد الشام الشريف فانه
فيا وطني لا تترك الحزم لحظة
وكن يقظاً لا تستنم لمكيدة

سواهما ولم ترحف الينا جحافلهم
فتى بهم جمعاً تميل موائله
ولا كنهه أمسى يضام منازله
ومن يرج خير الله فانه خاذله
ليفعل إلهي اليوم ما هو فاعله (١)
ومن تل كيسان تهد صواهلهم (٢)
خبت نار حرب أوقدتها مشاعله
فدادوا كعصف بددته ما كله
وليست سوى آي الكتاب معاقله
غداة لواء الحق عزز حامله
وارناط (٤) إذ تبكى عليه حلائله
أغار عليه واستطالت طوائله
تمشى اليها الغرب تغلي مراجله
ليعرفه قبل التوغل ساحله
بعصر أحيطت بالزحام مناهله
ولا لكلام يشبه الحق باطله

- (١) أته الكتب من الشمال وهو بقاتل الصليبيين على عكا بأن ٢٠٠ الف زاحفون اليه قد وصلت طلائعهم إلى كيليكية فلم يهن له عزم من شدة توكله على الله
- (٢) تل كيسان وتل العياضية إلى الشرق من عكا كان فيهما مخيم صلاح الدين
- (٣) عند طبرية وفيها انتصر صلاح الدين في الوقعة الفاصلة وأسر ٣٠ الف افرنجي وقيل ٥٠ الفا والملك الافرنجي غوي وجميع الامراء
- (٤) أرناط برنس الكرك الذي كان قذف بالنبي (ص) فنذر صلاح الدين ليقتله بيده فلما وقع في اسره تولى قتله بيده

وكيد على الاتراك قيل مصوب
تذكر قديم الامر تعلم حديثه
إذا غالت الجلى أخاك فانه
فليست بغير الاتحاد وسيلة
وليس لنا غير الهلال مظلة
ولولم يفدنا عبرة خطب غيرنا
سيعلم قومي أتى لا أشبههم
ولكن لصيد الأمتين حباله
فكل أخير قد نمته أوائله
لقد غالك الامر الذى هو غائله
لمن عاف أن تغشى عليه منازل
ينال لديها العز من هو آمله
لهان ولكن عندنا من نائله
ومهما استطال الليل فالصبح واصله (١)

ولما كنت في طبرية سنة ١٣٢٠ ذهبت إلى قرية حطين التابعة لطبرية
لأجل مشاهدة الموقع الذي دارت فيه رحى معركة حطين الشهيرة بين
السلطان صلاح الدين يوسف رحمه الله وجزاه عن الاسلام خيرا
وبين الصليبيين . وبعد ان شاهدت حطين ولوييا وقرون حطين التي
جلس عندها السلطان بعد الظفر ولديه ملك الصليبيين ورفاقه وسائر
الجيش الافرنجي أسرى نظمت القصيدة الآتية ونشرتها إذ ذاك في مجلة
المقتطف . ثم إنه من سنتين أعادت نشرها جريدة «الفتح» بمناسبة ذكرى
وقعة حطين . وعلق الاستاذ ليث كتيبة الكتاب السيد محب الدين الخطيب
عليها بعض تفاسير . فنحن ننقاهما هنا عن الفتح ونضم شيئا من التفسير
زيادة على ماعلقه الاستاذ الخطيب

(١) نعم وقد انتهى الليل وجاء الصبح وظهر اننا ماغشنا قومنا وانما حذرناهم
من أن يتخذوا

أحسنُ ما فيه يسرح النظر وادٍ بحيث الاردنُ ينفجر (١)
 غارت عليه النجود من شغف فالغور ما بينهن منحصر (٢)
 قامت على الجانبين تخفّره كذلك الحسن شأنه الخفر (٣)
 مبتدي الجرى في الشمال لدى شيخ له الكبريات والكبر (٤)
 هاو إلى الموت في الجنوب لدى بحر ولا كالبحار يُحتضر (٥)
 ومن يعم البياض لمتّه فهل سوى الموت بات ينتظر ؟

يا شرق هونين (٦) كم لديك جرى معين ماء حصابؤه دَررُ

(١) الاردن (ويسمى نهر الشريعة) ينبع من سفوح جبل الشيخ في الشمال ويتكون من (الخاصباني) و (بانياس) و (اللدان) ويخترق بحيرة الحولة وبحيرة طبرية ووادي الغور وينضم إليه نهر (اليرموك) و (الزرقا) و (حسبان) ثم ينصب في البحر الميت . وبه تنفصل فلسطين عن شرقي الاردن . وطول الارض التي يمر بها من بحيرة طبرية الى البحر الميت ١٠٤ كيلو مترات ومن منبعه الى مصبه ١٧٠ كيلو مترا وطول مجراه بمنعرجاته ٤٠٠ كيلو متر

(٢) هو غور بيسان في جنوب طبرية بينها وبين نابلس

(٣) تخفّره أي تحرسه أما الخفر الثانية فهي الحياء (ش)

(٤) إشارة إلى جبل الشيخ الذي ينبع الاردن من سفوحه وسمي جبل الشيخ لان قمته متوجة بالثلوج صيفا وشتاء ، وهذا الجبل على ٥٠ كيلو مترا من دمشق جنوبا وارتفاعه ٢٨٣٩ عن سطح البحر

(٥) يشير الى البحر الميت الذي ينصب فيه نهر الاردن ويسمى (بحيرة لوط) وقد يعجب المرء كيف ينصب الاردن في بحيرة صغيرة ولا تفيض وسر ذلك أنه يتبخّر من ينابيعها كل يوم ستة ملايين طن على ما يقال ، ونهر الاردن يغذي البحيرة يوميا بمثل هذه الكمية من المياه

(٦) جبل هونين هو الجبل الذي الى الغرب من غور الحولة (ش)

الشطُرُ تلُّ القاضى (١) يسلسله
والخاصباني بات إثرهما
يملاً منها الأردن بركته
حيث وشيجُ اليراع مشتبكُ
حيث نموّ النبات معجزة
والصيد ما إن يزال عن كشب
بحيرة لم يرم (٦) بساحتها
ميم أخرى ورام ثالثة
أمن جسر النبات معبره
حتى إذا فاض من هناك غدت
أرض علت مأوه مناكبها
أقبل يرغى وما به قطم (٩) واطر من بانياس ينحدر (٢)
يشد في الجري ليس صطبر (٣) ويزدهى مرج حوله الخضرُ
كأنما الخطُّ ثم والسمرُ (٤) كأنما سوق قمحه الشجر
لا كنّ من دونه ولا قتر (٥) ضاق بها أن تقله الصغرُ
لقد ترامت به نوى شطر (٧) وربما خاض دونه الجسر (٨)
أرض البطيحاء منه تزدهر وبات منها في البحر ينفغر
أقبل يرغى وما به قطم (٩) وظل يعدو وما به بطرُ

(١) منبع من منابع الشريعة (٢) بانياس مدينة قديمة في كهب جبل الشيخ ينبع عندها القسم الآخر من الشريعة (ش)

(٣) في هذا البيت والبيتين قبله أسماء مياه وأما كن بين جبل عامل غربا والجولان شرقا وجبل الشيخ شمالا وبحيرة الحولة جنوبا وهي بقعة من أخصب بقاع الارض وأجملها

(٤) الخط مكان في البحرين تباع فيه الرماح الخطية والسمر بفتح فضم شجر من العضاء في غاية القوة

(٥) السكن الستر والقتر جمع قتره وهي ناموس الصائد

(٦) أي لم يتوقف بها لصغرها وهي بركة الحولة

(٧) نوى شطر بضمين: بعيدة (٨) الجسر الاولى جسر بنات يعقوب والجسر

الثانية جمع جسور (٩) القطم اشتها اللحم وهو إشارة إلى قول المتنبي عن
ميرة طبرية :

والموج مثل الفحول مزبدة تهر فيها وما بها قطم (ش)

حتى إذا ما مياهه اختلطت به تولاه بغتة **سكرر**
من بعد تلك الحياة بات به ميتاً وفي البحر يغرق النهر

*
* *

بحر الجليل الذي شواطئه
غذا دماء المسيح مورده
وبين أمواجه وأربعة
كم فيه للكاتبين من سير
عيسى حواريه وصفوته
والصائدون الالى له اتبعوا
وكفر ناحوم مع عجائبها
والمجدل القرية التي نشأت
والزهديه الافراح قد دمجت (٢)
والخبز تقرى الالوف كسرتة
والقول هذى الفتاة نائمة
ولم نبت بالسفين عاصفة
فسكن البحر وهو مضطرب
سجا (٣) بإيماءة له ونجا

في كل شهر من رجبها أثر (١)
وراقه منه ريقه النضر
كانت تجلى آياته **الكبير**
وكم نبيين فيه **تذكر**
والناس من حول وعظه **زمر**
هدى وذاك الشراع منتشر
ومن بها آمنوا ومن **سفروا**
مريم منها والطيب منتشر
والفقر معه البيان والفقر
والمشى فوق المياه مشتهر
والبكر عزريل نحوها بكر
وظن أن الركاب قد غبروا
من بعد ما استصرخوا وما جأروا
من حملته الالواح والدر

(١) بحر الجليل هو بحيرة طبرية والارض الممتدة منها الى حيفا تسمى أرض
الجليل تتوسطها الناصرة التي ولد سيدنا عيسى فيها ونسب اليها النصارى
(٢) دمج في الشئ دخل فيه (ش) (٣) سجا سكن ومنه قوله تعالى (والليل اذا
سجا) وقد سردنا هنا معجزات سيدنا عيسى عليه السلام حسب ما هي في الانجيل (ش) (٤)

في ضفتي هذه البحيرة لو
كم خبأ الدهر في جوانبها
ما الا بحر السبع من نتائجها
وقوم موسى لهم بساحتها
في طبريا مواقف حمدت
بها رجال التلمود قد سكنوا
وكم نبى في ذى البلاد قفا
يكفيك ما في الاردن من عبر
وان يحيى (١) على شواطئه
ما القنج ما النيل في جوانبه
والغور بين البحرين منبسط
لو طبقته أيدي الوري عملا
قد كان والماء غابراً شرعا
بحيرة كل شأنها عجب
لله در الكندي واصفها
كانت تحف الجنان دورتها
والآن تحتف دورها السدر (٢)

(١) يحيى هو الذي يسميه النصارى يوحنا المعمدان كان يعمد بماء الاردن

(٢) قال المتنبي في وصف هذه البحيرة :

كانها في نهارها قمر حفت به من جنانها ظلم

(٣) ليس حول هذه البحيرة اليوم جنان وانما حولها كثير من شجر السدر

والسدر بكسر ففتح جمع سدره (ش)

مرآة نور من السفوح لها
كانها في صفائها فلك
أجمد بقوم رأوا محاسنها
عند الشمال الاردن واردها
شريعة من مياهها ظهرت
علم عيسى هنا شريعته
وفي حروب الصليب قد رفعت
إطار نور لم تحكه الأطر (١)
وفلكها فيه أنجم زهر
يوما فما أنشدوا ولا شعروا
وفي جنوبها له صدر
وقد تلتها شرائع آخر (٢)
وقوم موسى توراتهم ففسروا
أعلام دين الذي نمت مضر

يا يوم حطين كم حططت من الا
فرنج شأنا ما كان ينكسر
هبطوا من الغرب كالجراد فلم
يكن لشرق بردهم قدر
واستفتحوا القدس والبلا دولم
يعص عليهم بدو ولا حضر
وهددوا المسجد الحرام وكم
دعا ملب فيه ومعتمر
وكاد يبكي الميزاب فيه دما
ونابت المسلمين داهية
فكل كف أصابها شلل
ورق مما أصابنا الحجر
دهماء قد عمهم بها الذعر
وكل عزم أصابه خور

(١) المتنبي يقول :

فهي كماوية مطوقة جرد عنها غشاؤها الادم
وقولي مرآة نور بضم النون واطار نور بفتحها أي ان البحيرة مرآة نور بصفاء
مائها وقد أحيطت باطار من الزهر (ش)
(٢) ينحدر الى الشريعة أي الاردن نهر اليرموك ويقال له شريعة حوران
وأنهر آخر (ش)

وكل جمع ناواهم انقلبت
وحوصرت جلق ولو أخذت
وقيل دار الاسلام قد حصرت
ما زال ملء القلوب رعبهم
حتى تولى زنكي (٣) فنازلهم
طلبة النصر في ولاية نو
مجاهد ماهد بخطته
تقرر عين النبي سيرته
ثم ابن أيوب (٦) جاءه خلفا
مهد دار المعز (٧) فانقلبت
لما استقامت له الامور ولم
أقبل في جحفل له لجب
بفتية سمرهم إذا عشقوا
غير طعان النحور ما عرفوا
أناخ في شاطئ البحيرة إذ
فرسانه وهي للظبي جزر (١)
لم تبق مدن لنا ولا مدر (٢)
وحف باقي بلاده الخطر
ولم يكن نافعا لها الحذر
وكان من شيركو (٤) له وزر
والدين (٥) ملك بالعدل يأتزر
في الفتح والعدل سارت السير
ويرتضى مثل هديه عمر
وليس إلا سرزجه سرر
يوسف مصر وهي تفتخر
ييق رقيب وانجابت الغمر
يطلب ثأر الدين الذي وتروا
سمر صعاد ويبيضهم بتر
وغير جرد الخيول ما زجروا^٨
اليه عن كل ناجذ كشروا

(١) جزر السباع اللحم الذي تأكله قال : جزر السباع وكل سر قشع
(٢) جلق : دمشق وحاصرها الصليبيون وعجزوا عنها (٣) هو عماد الدين
زنكي والد الملك نور الدين (٤) أبو الحارث شيركوه بن شادي بن مروان أسد
الدين عم السلطان صلاح الدين (٥) أي الذي من ملوك الاسلام بدأ بقمهر الصليبيين
هو نور الدين زنكي (٦) هو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي

(٧) أي القاهرة المعزية

(٨) إشارة إلى قول المعري :

يا ابن الألى غير زجر الخيل ما عرفوا إذ تعرف الناس زجر الشاء والعكر (ش)

فقام من أرضه لصدّهم في السهل من لوياء واشتجروا^(١)

يوم تلاقى الجمعان والتظّت السهبا حتى كأنها سقر
يوم تلاقى الجمعان وانتصب الميزان رهن انحرافه الظفر
الشرق والغرب بعد طول وغي ثلاثة والنزال بينهما
فأمرتهم قسيّ جيش صلا ودوا وقد أبصروه عارضهم
كأنما قومنا وقد ثبتوا كأنما قومنا وقد وثبوا
ذاق العدا من سلاف طعنهم لما بدا الأمر غير ما حسبوا
ولوا ظي يوسف ظهورهم ضياغم أجفلوا وقد نظروا
وأدبر القمص^(٤) مع فوارسه لا عجب أن نجا وحيط به
مالوا لخطين طالبين نجا فلم يفدهم ضلع ولا دبر^(٥)

(١) لوياء قرية غربي طبرية وقبلي حطين (ش)

(٢) الذباب سد الافق ذلك النهار (ش) (٣) الحمر الاولى جمع أحمر والحمر

الثانية جمع حمار الوحش (٤) القمص: كونت طرا بلس، فر يومئذ بسبعين فارسا

قبل نهاية القتال (ش)

(٥) أي لم يفدهم لا ميل ولا فرار

وأسفر السبت عن هزيمتهم
وفوق ذاك الصعيد نائمهم
والهيكليون (٢) من قساورهم
لم يجبنوا ساعة وإن خذلوا
في حضرة من شعيب قد شعبوا
فأزلفوا نحو يوسف خضعاً
ترهقهم ذلة وتحسبهم
يوسف عصر صلاح مملكة
أصبح مستحييا دماءهم
أبى عليه الآباء مصرعهم
عفواً به عمهم وأخرج من
وفي بأرناط نذره بيد
وقال إذ تله بصارمه :
أزوج بين التهليل مهجته
فأصبح الملك وهو مرتجف

وأصبح الملك (١) ضمن من أسروا
كأنه النخل وهو منقعر
لم يبق إلا هياكل دثر
وانما الليث دونه النمر
كذا لهم عن مزاره زور (٣)
رقابهم ، ناكسا لهم بصر
قوما سكارى كأنهم حشروا
بكل أمر للبر مؤتمر
حياؤه والخلائق الزهر
وعف إذ عف وهو مقتدر
بنكته السهل ضاق والوعر
إذ طالما لم تحك به النذر (٤)
هاأنا ذا للنبي أنتصر (٥)
مخضوبة صارما هو الذكر
ما شك أن بالحسام يبتدر

(١) الملك غوي ملك القدس (٢) هم الذين كان يقال لهم « التامبليه » وكان لهم نظام خاص وقاموا بدور عظيم في الحروب الصليبية (ش) (٣) قبر شعيب في قرية اسمها الخيارة بجوار حطين (٤) أرناط كان فرعون الصليبيين وكان ملك الكرك والشوبك في شرق الاردن وانما قتله صلاح الدين بيده لانه اطلال لسانه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وكان كثير الغدر عظيم الجرائم

(٥) كان صلاح الدين استتاب البرنس ارناط مراراً وكل مرة ينكت الى أن أسر الحجاج وحبسهم في قلعة الكرك وقال لهم ادعوا محمداً يخلصكم . فاستحلف المسلمون صلاح الدين بأن لا يعفو عنه إذا وقع ، فلما وقع في حطين قال له صلاح الدين : أنا أقتص منك لمحمد ، وقتله بيده (ش)

أبصر جسم البرنس منعفراً^(١) فقال إثر البرنس أقتفر
فأفرخ الروع منه ساعة إذ بشر أن لن يصيبه ضرر^(٢)
عوقب بالأسر موقن بردى وجل ملكاً مع العمى العور

قاصمة الظهر للفرنج غدت قاعة قرني حطين مذ ظهوروا
دأن عليا حطين مبتدأ وكل فتح من بعدها خبر
حظ ابن أيوب أن يفوز بها والله من خلقه له أثر
وحظ جيش أبي النداء غدت في اللوح مكتوبة له الأجر
قوم أراحوا الأقسام إذ تعبوا وقد أناموا إلا نام إذ سهروا
بهم جدود الإسلام قد صعدت من بعد ما كان أهله عثروا
ولا بن شاذي ذكر شذاه سري في كل قطر كأنه القطر^(٣)
قام بوجه الفرنج منفرداً والقوم من كل أمة جمروا^(٤)
حتى استرد البلاد أكثرها وأصبح القدس دان والصخر
كانت مئات الحصون تعصمهم منيعة إذ تغورنا ثغر
من كل حصن أماط عرتهم بالسيف لم يمش نحوهم خمر^(٥)
و استعصمت صور في معاقلها وكل طرف به لها صور

(١) انعفر في التراب تمرغ (٢) عند ما رأى الملك غوى مصرع ارناط اعتقد أن الدور سيصل إليه فارتجف فسكن صلاح الدين روعه وأخبره بأنه ماقتل ارناط إلا بعد نذر نذره لكثرة نيكته وغدره (ش) (٣) العود يتبخر به (٤) لم يكن في وجه الصليبيين إلا صلاح الدين رجال الشام والجزيرة الفراتية ومصر والحال أن الفرنسيين والانجليز والالمان والاطليمان وغيرهم كانوا لبدأ على المسلمين في تلك الحروب (ش) (٥) مشى إليه الخمر محرقة أي متواريا (ش)

من فرط ما عظمهم برأفته
فامتنعوا كلهم بعقرتها
ان عيب بالحلم والرفا بطل
ما شان طول الاناة في رجل
قد كان في رقة وفي جلد
جمرة بأس ما شابهها وهل
ما كان يدري من الوغى ضجراً
حتى يميظ العوار أجمعه
أذن دار الاسلام بعد عا
لم يابه عن تغور مملكة
وكان من حرمة العدو له
تعدو عظام الملوك (٣) واقفة
وينحني حاسراً بتربته
شهادة منهم لخصمهم
والفضل يحيا من بعد صاحبه
ونحن من بعد كل ذاك وذا
وآفته فلمهم وقد كثروا (١)
فهني لهم ملجأ ومعتصر
فانه خير ما هفا البشر
إن لم يكن شان باعه القصر
كالسيف في ماء حده الشرر
غمرة حلم ما شابهها كدر
والكل في الجانبين قد ضجروا
ما مان من كان همّة العسر
كذلك الشهد دونه الا بر
تغر ولا ناظر به حور
أن ذكره في بلادهم عطر (٢)
ببابة وهو أعظم نخر
رأس بأعلى التيجان معتجر (٤)
والحق كالشمس ليس يستتر
والذكر يبقى ولو عدت غير
لم يبقى إلا الحديث والسمر!

(١) عفا صلاح الدين عن عشرات ألوف من أسرى الصليبيين من حبه بالعمو
فتجمعوا في صور وكثرت جموعهم فأصبح لا يقدر على أخذها مع أنه كان استردأ كثير
البلاد ثم عادوا فزحفوا منها إلى عكا وأخذوها بعد حرب استمرت سنتين وهي الصليبية
الثالثة، وولته مثل آفته (ش) (٢) لا يذكر صلاح الدين في جميع أوربة الا مقرونا
ذكره بالاجلال (٣) اشارة الى زيارة القيصر ويلهم الثاني عاهل المانيا لمرقده في
دمشق ووضعه تاجاً عليه ولما دخل الامبراطور الى مقام صلاح الدين دخل
حاسراً عن رأسه وانحنى أمام القبر حرمة وتعظيماً (ش) (٤) أصل الاعتجار للعمامة
ولكننا أجرينا التاج هنا مجراها (ش)

ذكرى الاندلس

نظمتها لما شاهدت مسجد قرطبة في سياحتي الى الاندلس سنة ١٩٣٠
 لك الله ان شئت الصبوح فيكر
 وغن على ذكرى الليالي التي خلت
 فقد تعجبا لذكرى ولو لفجيرة
 ولولا المراثي والمآقي وراءها
 تقضت لبانات الرجال من الجوى
 لعمر ك لا يرجى لنشأة مقبل
 وما هذه الدنيا سوى متقدم
 أدرها ترد الرشيد في عقل ذاهب
 وتحني لنا عهدا يصوب عهاده

وكأنت لم يعرف الدهر أختها
 يكاد الذي يقرأ غريب حديثها
 يقولون كانت أمة عربية
 وقد عمرت أقطار أندلس بهم
 وكم أربع خضر وحرث مطبق
 وكم قائد قرم وجند مدرب
 وكم بطل ان ثار نفع رأيت
 وما شئت من علم ورأي وحكمة
 الى شمم جم ومجد مؤثر

ولا حدثت عن مثلها كتب مخبر
 يظن خيالا أو أحاديث مفتر
 بأندلس سادت بها جم أعصر
 فكم بلد نخم ومصر مصر
 وفاكة رعد وزهر منور
 وكم سائس فحل وأمر مدبر
 يبيع بأسواق المنايا ويشترى
 ودرس وتحقيق وقول محرر
 وفي عزة قعسا ووفر موفر

نعم كان فيها من نزار ويعرب
قراحت كان لم تغن بالامس وانقضى
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
كأن لم تكن في أرض اندلس لنا
فماذا الذي أخنى عليها وما الذي
إذا أعمل المرء البصيرة لم يجد
خلافان هذا بين قيس ويعرب (٢)
ولا شريحكى شر حرب اذا التقت

جموع تخيل الارض في يوم محشر
لهم كل ركز غير ذكر معطر
أنيس ولم يسمر هناك ويسهر
جحافل إن تحمل على الدهر يذعر
رماها بهذا الخسف بعد التصدر
لها علة غير الخلاف المتبر (١)
مقيم وهذا بين عرب وبربر (٣)
صناديد قيس مع غطاريف حمير

عمرك لو لا الخلف لم يك مشرق
لقد عصفت في شقة الغرب ريحهم
فقد أثلوا في أرضها مدنية
وسووا جميع العالمين بعد لهم
ولا عارضوا في دينه غير مسلم (٤)
ولا نصبوا ديوان تفتيشهم على
ولا أحرقوا بالنار من قيل إنه

ولا مغرب يعصى عليهم ويحتري
فسادت ولا كن لم تكن ريح صرصر
تري الخصم في عليائها ليس يمتري
ومن يتمسك بالسوية يعمر
ولا عاملوا أهل الكتاب بمنار
عقائد أقوام بجوس ويفتري (٥)
على صلة مع دينه بالتستر

(١) تبر اهلك ودمر ومنه قوله تعالى (وليتبروا ما علوا تتبيرا) (٢) الحروب
بين المضرية واليمينية لم تكن تنقطع، وكان العدو يستفيد منها كلها (٣) اول فتنة
بين العرب والبربر كانت السبب في ذهاب شمالي الاندلس ثم جاءت فتنة قرطبة بين
الفريقين فكانت هي مبدأ الانهيار (٤) يعترف الافرنج ان مسلمي الاندلس ايام
سلطانهم تركوا للنصارى واليهود حر يتهم الدينية على الوجه الاكمل
(٥) ديوان التفتيش الذي نصبته الكنيسة الكاثوليكية على المسلمين الذين
اكرهوا على التنصر وكانوا يحرقون من اشتبه فيه انه كان باقيا في الباطن على اسلامه

بذلك هاتيك الممالك أصبحت
وقد صار نهر الرون (١) تغربلادهم
وشكوا الواهم في ذرى قرقشنة (٢)
ودانت لهم صيدا لجلالة «٤» الى
ولم يقف البشكنس (٥) في وجه زحفهم
وان يك لاقى الغافقي (٦) حمامه
فتد لبثت من بعد ذاك جيوشهم
يقول الى قد شاهدوا غزواتهم
وصقر قریش (٧) حين جاء مشردا
وشاد بهاتيك القواصي اماره
وخلف أملاكا سموا وخلائقا
كفى بالامام الناصر (٨) الفذعا هلا
تقبل أملاك الفرنجة كفه
غداة تجلى للخلافة رونق
وأضحت بها الزهرا تמיד جموعها
تلثم فيه كل رب فصاحة
ولا تهمل المستنصر (١١) الحكم الذي

مثالا قويا للعلی والتحضر
وكم صبغوه في الجهاد بأحمر
وسلوا على نربونة (٣) كل أبت
بلى منهم الرومان كل غضنفر
ولا أوطأوا الجرمان ثغرة معور
ومحص في يوم البلاط المقدر
تعرض دهرأ للفرنج وتنبرى
هم العرب قوق الخيل أم جن عبقر
فانشب فيهم أي ظفر مظفر
لها أجفل المنصور والد جعفر
أسود عرين منهم كل مخدر
كسى أمة الاسلام حلة مفخر
ويقصد عالي بابه وفد قيصر (٩)
به ظهر الاسلام أروع مظهر
فيالك من يوم أغر مشهر
فعيوا سوى قاضي الجماعة (١٠) منذر
تلاه ومن يستنصر الله ينصر

(١) النهر الذي يخرج من سويسرة ويشق فرنسة وينصب عند مرسيلية (٢) مدينة
محصنة في جنوبي فرنسة استولى عليها العرب ٤٨ سنة (٣) العرب يسمون نربونة
اربونة وكانت مركز قوتهم في جنوبي فرنسة (٤) اهل جليقية في شمالي اسبانية
(٥) الجيل الذين منهم في اسبانية وفرنسة، ويقال لهم الباسك (٦) عبد الرحمن
الغافقي قائد العرب في وقعة بواتيه الشهيرة والعرب يسمونها بلاط الشهداء
(٧) عبد الرحمن الداخل الاموي (٨) عبد الرحمن الناصر (٩) يوم جاءه وفد
صاحب القسطنطينية (١٠) منذر بن سعيد البلوطي (١١) الخليفة المستنصر بن الناصر

غدت قبة الاسلام قرطبة العلى
وبارى بنى العباس فيها أمية
وكان بها العمران يزخر مثلها
ولما رأيت المسجد الجامع الذى
عضضت على كفى بكل نواجذى
هو الجامع الطامى العباب بوقته
ظلمت به بين الاساطين سائحا
تخيلته والذكر يتلى خلاله
تأمل خليلي كم هنا من مهلل
وكم أزهرت فيه ألوف مصابح
وكم قارئ بالسبع في وسط حلقة
وكم عالم يلقي على الجمع درسه
وكم ملك ضخم وكم من خليفة
تسد فجاج المغربين جيوشه
خليلي تأمل كالعرائس تنجلي
أساطين من صم الجماد موائل
تراها صفوفًا قائمات كأنها
من العمدة الأسنى^(٢) فكل يتيمة
أجادت تحريرها قروم أمية
نبت دونها زرق الفؤوس وأصبحت

وسارقت الزوراء لحظة أزور
وجروا على بغداد ذيل التبخر
تلاطم أمواج الخضم المهدر
بقرطبة من فوق فوق التصور
وقات لعيني اليوم دورك فاهرى
يحاكي به عثمارة لبح البحر
بفكرى حتى غاب عنى محضرى
نظير دوى النحل من كل مصدر
إلى ربه صلى وكم من مكبر
وكم أوتدت أوطال عود وعنبر
وكم خاطب بالسجع من فوق منبر
وكم واعظ يمرى (١) مدامع محجر
هنا كان يجثو عن جبين معفر
ويبدو هنا في ثوب أشعث أغبر (٢)
أساطين قد تحصى بألف وأثر
يذوب لها قلب الحنيف المفكر
حدائق نُصت من جمادٍ مشجر
لها نسب من مقطع متخير
معادن شتى من فلز (٤) ومرمر
لدى الفرى تهزأ بالحديد المعصفر

(١) مرى الضرع استدره (٢) كان الخليفة الناصر قد يأتي إلى المسجد بثوب خلق تواضعا منه لله تعالى (٣) العماد ما يعمد به وجمعه عمد بضمين وعمد محركة اسم الجمع (٤) الفلز بتشديد آخره هو الحجارة وقيل هو اسم جامع لجواهر الارض

ولكن لفضل الفن ألفت قيادها
فبينما هي الصم الصلاد إذ انثنت
عرائس للتخريم فوق رؤوسها
ووجه إلى المحراب طرفك ينسرح
وحدق بهاتيك النقوش وزهوها
وبالقبة العليا يبدو شعاعها
لو ان الثريا في سماها تعرضت
أقول لحصم يبخر العرب حقهم
وياسائها يبغي ما أثر قومه
تطوّف فلا تلقاك غير بدائع
تطلع فلا تلقاك غير روائع
خليلي فما فحص السراق^(٢) نائيا
وهذي رسوم للنيف^(٤) ومؤنس
وكان هنا قصر الدمشق^(٦) وأنه
وزاهرة المنصور^(٧) لاشك جنة
وسائل عن المنصور نجل ابن عامر
غزا في العدي ستا وخمسين غزوة

فصالت بها الصناع صولة عنتر
مقاطع جبن أو قوالب سكر
أكاليل در في قلائد جوهر
من الصخر في مثل الطراز المحبر
كمأن فاتها صناعاتها منذ أشهر
بالمع من زهر النجوم وأزهر
لظلت تحدى للثريا وتزدري
أجاحد نور الشمس دونك فانظر
وينشدها في كل سهل وموعر
يديل لديها كل عطف مخصر
لها الليث يرنو عن لواحق جؤذر^(١)
وهذا براس الطور حصن المدور^(٣)
وقصر السرور^(٥) الدارس المتبعثر
يطاول عليا بعلبك وتدمر
تمد من الوادي الكبير بكوثر
يجاوبك عنه كل قوس موتر
وأض بها طرا بنصر مؤزر

(١) اي مها قسا الانسان فلا بد له من أن برق لتلك الماظر

(٢) فحص السراق هو من أشهر ضواحي قرطبة (٣) المدور حصن من عمل
قرطبة يمر حذاء قطار الحديد

(٤) من قصور قرطبة (٥) والمؤنس ودار السرور هما أيضا من قصور قرطبة

(٦) والدمشق هو أيضا من قصور قرطبة (٧) وكان للمنصور بن أبي

عامر قصر اسمه الزاهرة قلده عبد الرحمن الناصر في الزهراء

خليلي وعرج بالبهور « ١ » فانه
وهذي التي كانت تسمى شقنودة « ٣ »
وفيهما جرى ذاك العراك الذي جرى
وقائع قيس واليماني وكلاهما
وزر ضفة الوادي الكبير وسحبها
وهذي الطواحين الشهيرة لم تنزل
قصور نبا عنها قصور مشيد
وأفنية تحكي الجنان نضارة
وشم حصون لا تعد ودونها
على همم دلت لهم وقرائح
فأخذ على تلك المحاسن كلها
مخالف من أوضاعهم كل نافع
ولم يستفيدوا من تقاطع بينهم
إذا آنسوا أدنى بصيص لثورة
فكل الذي قد شيدوه بحزمهم
ولم يبق في هذي الديار لنا سوى
ممالك لا تقوى عليها كتائب
إذا حضرت اثار قومي وإن خلوا
وأشعر أني في بلادي كأنما
وأني أرى بالعين ما لم أكن أرى
لعل الذي قد كان منه بوارنا

تقطع عن أمثاله كل (٢) أبهر
وتدخل في التخطيط ضمن المسور
وروى ثراها بالدم المتفجر
مصائب إن تذكر لنا تنفطر
وعرج على الجسر الطويل المقنطر
كأن تركوها أمس لم تتغير
وعلياء لم تعلم مشيد مقصر
وأفنية تجرى على كل أخضر
مقاصف إن تذكر تهز وتسكر
ويعرف بالآثار قدر المؤثر
غرامهم بالانقسام المشطر
وصوح من أعمالهم كل مشر
سوى عيش ذل تحت نقمة موثر
تداعوا لها كالماء عند التحدر
أضاعوه حقا بالشقاق المدمر
ممالك فكر من حروف وأسطر
ولا سالب تاريخها زحف عسكر
فاني منها في قبيل ومعشر
تخاطبني الارواح من كل مقبر
حقيقته في وصف طرس ومزبر
يعود علينا خير وعظ ومزجر

(١) اسم قصر من قصور قرطبة (٢) عرق إذا انقطع مات صاحبه
(٣) حي من أحياء قرطبة جرت فيه معركة مشهورة بين المضرية والفحطانية

وفي أثناء الحرب العامة جاء وفد تركي مؤلف من بضعة عشر شخصا من مبعوثي مجلس الامة ومن أدباء الاتراك وكتابهم وذلك الى سورية لاجل إحكام علاقات الاتحاد بين العرب والترك وتلافي ما قام به جمال باشا من الاعمال التي أثارت العرب فأقيمت لهم حفلات كثيرة في حلب والشام والقدس وغيرها واقترح علينا والى الشام اذ ذاك تحسين بك أن ننظم أبياتا تتلى في المأدبة العظيمة التي أدبوها لهم في دمشق . فنظمنا قصيدة تلونها في الجمع وهي أيضا من جملة القصائد المفقودة من بين أوراقنا ولا يزال منها في خاطرنا الايات التالية :

قف بين مُشتبك الاغصان والعذب

بأرض جبرون^(١) ذات السلسل العذب

بربوة في حفافيهـا المعين جرى

بحؤجؤ الباز حيث الصيد عن كشب

واهتف بساكنها أن ينثنوا طربا إن الكريم عليه هزة الطرب ومنها :

في ساحة المسجد الأقصى يقال لهم لو أنصفتهم ديار الشام قاطبة
أهلا وفي عتبات المصطفى العربي صفقن بالكف من مصر إلى حلب ومنها في خطاب الاتراك العثمانيين :

أحبكم حب من يسعى لطيبته
أحبكم حب من يدري موافقكم ومذ تقلدتمو أمر الخلافة قد

لقد ضربتم لعمرى في حياطتها
فكل غر يماري في فضائلكم مهما يكن من هنآت بيتا فلنا

كفى الشهادة (٢) فيما بيننا نسبا
مجدي بعثمان حامى ملتي وأنا لم أنس قحطان أصلى في الورى وأبي

(١) باب من أبواب دمشق وقد يطلق على البلدة (٢) أي كلمة لا إله إلا الله

ولي تهنئة لاحد عيون أعيان المغرب بزفافه المبارك

اهناً ابا العباس بالفرح الذي
 فرح به التوفيق يسحب ذيله
 ياطالما ارتقب الأنام هلاله
 حرصاً على ثمرات غصن ناضر
 فالآن قد وافاهم النبأ الذي
 هذا هداء فتى يقل نظيره
 بذ الشيوخ ولم تزل أيامه
 ما زال حب المجد يشغل قلبه
 تهوى الملائك والملوك لو انها
 قد أقطع الاوطان كل عنائه
 ناديت قطر المغرب الاقصى الذي
 يا أيها القطر الذي فتياه
 حقاً نهضت بما تكن من القوى
 وعمدت للمجد القديم تعيده
 بعصاة غراء كل مذهب
 فلتحي أرخ ولتهن بسيد

حلت ملائكة الرضى بحفافه
 ويهز فيه السعد من أعطافه
 لينير ليل الهم من أسدافه
 هو نخبة ويراد من أخلافه
 طربت قلوبهم بحسو سلافه
 في الدهر ان نجح إلى انصافه
 شرخا وزان شبابه بعفافه
 حتى رقاها الى ذرى اعرافه
 محبوة بالفضل من أوصافه
 وأحل خدمتها صميم شغافه
 يتألق الاسلام في اكفافه
 يحيون للمتروك عن اسلافه
 حتى استبان الدر من أصدافه
 بالنظم بين تلاده وطرافه
 هو سر صنع الله في الطافه
 الكون مبتهج يوم زفافه

٤٩١ ٧٦ ١٠٧ ٤٥٠ ٥٨ ١٧٣

البا كورة

قال الامير:

ذكرنا في مقدمة هذا الديوان ما سبق لنا من نشر البا كورة نظمنا
وذلك سنة ١٨٨٧ جامعة لبكائر شعرنا من سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٨٧
أى أيام كنا فى الرابعة عشرة الى أن صرنا فى السابعة عشرة من العمر
ولم نجد لزوما لنشر البا كورة كلها لانها مطبوعة ولكنتنا نظراً لندور
النسخ الباقية منها أحببنا أن ننتخب منها عدة قصائد وعدة مقاطيع
وهي هذه :

اهداء البا كورة

لحضرة العالم العامل الفيلسوف الكامل واسطة عقد الحكماء
ودرة تاج البلغاء الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده المصري

أيده الله تعالى

لو هاج مثل الفضل خاطر شاعر	القيت بين يدي سواك بواكري
أو لو وجدت بمثل فضلك عاذلاً	كان الكمال اذا سلوتك عاذري
لكن سطوت على القريض بأسره	وغدوت أعذب منهل للخاطر
فزهوت بين مدارك ومشاهد	وسموت بين بصائر وبواصر
أو كيف لا تسمو ومثلك من حوى	بأعز نفس كل خلق باهر
علم على عمل على قلم ، غدا	فى الخطب يهزأ بالحسام الباتر
وفضائل تستنطق الافواه من	كل البرية بالشاء العاطر
علامة العلماء والبحر الذي	لا ينتهى مثل البحار لآخر

يا أيها العلم الذي أوصافه
شهد الزمان لنا بانك فرد
يا أوحده العصر الذي عقدت على
لا غرو ان أهدي اليك رقائقي
ليس القريض سوى تأثر خاطر
تمسى المحاسن وهي فيه بواعث
غرر على الايام لولاها لما
لم تبرح الشعراء صرعى نشوة
فاذا انجلت في مثل ذاتك مرة
يامن غدا بعوارف ومعارف
أهديك بعضاً من عقيق قريحتي
أبيات إحسان وليس جميعها
قد جادها صوب الصبا وبنشرها
درجت معي أطوار عمر واصل
قد باكرتني قبل صادق فجره
أوحت إلى قلبي الهوى فشعرت إذ
فمضيت بين كئيل ومفاخر
ماقلت ذا نفراً ولا عجباً وما
يمكن لترفق غير مأمور بها
إن تأتني عفواً فكم هذبتها
مكنتها بعد النزاع وكم حكت
حتى أتت من بعد تربيتي لها

اضحت رياض قرائح وضمائر
من كل باد في الانام وحاضر
تقديمه في الفضل خير خناصر
وانا رقيق فضائل وماثر
مما به للهرة قرّة ناظر
للشعر بين مستبب ومباشر
لاحت وجوه الدهر غير بواسر
برحيقها من سالف ومعاصر
كنت الا حق بكل مقول شاكر
يزري على لجج العباب الزاخر
يا بحر لكن لا أقول جواهري
من كل بيت بالمحاسن عامر
نم الصبا عن كل عرف زافر
ما جاش من يوم بليل ساهر
مذكنت من اعوامه في العاشر
غصن الصبابة لا يميل لهاصر
ومشيت بين خمائل وازاهر
من معجب في نظمها أو فاخر
فلكم خطت طوراً لنيل الحاضر
من سخف لفظ أو روي نافر
قلق القداح بدت بكفي ياسر
حسبي وأن لم تغد ملء محاجري

عوضت ما خسرت من حسن بما
فكن الوصي على يتامى ناظم
أهديتها لا كي تليق وطالما
هي دون ما يهدي اليك وانما
رُفعت اليك فلم أكن بالخاسر
وبنات فكر في ثناك قواصر
قبل الكبير هديّة من صاغر
مثلي على مافاق ليس بقادر
الداعي
شكيب أرسلان

وقلت وانشدتها في محفل مدرسه الحكمة وكنت في السادسة عشرة
من العمر

عما بصباح العلم رغداً وانعما
قد انصاح صبح السعد في ليل نحسه
وثاب اليه العلم عدواً بعوده
فاصبح داجي افقه اليوم زاهراً
وأينع ذاوي روضه اليوم بعدان
ترنح عطف السعد منه بُعِيدَ أن
وباتت غصون العز تخطر عندما
لعمرك ان الشرق رُدَّ بهائوه
وعاد اليه الفضل والعود احمد
وما الشرق الا ذلك الشرق لم يزل
فان نابه يوماً من الدهر صرفه
وإما تطش دهم الليالي سهامه
وان فاته للفضل غيث فانما
وان تعرّه الاحداث من بعد بسطة
بربع ظلامُ الجهل عنه تصرّما
فغادره شيئاً فشيئاً مهزّما
اليه فلا لومٌ إذا ما تلاوما
وقد كان زاهي افقه قبل مظلماً
تصوّح من عصف البوارج في الحمى
رأى لشغور العلم فيه تبسّماً
رأت فوقها طير المعارف حوماً
فيرفل في ثوب النساء منمنما
عليه إذا كان الغياب مذمّماً
مدى الدهر اعلام العلي متسنّماً
فلم تمض الا برهة فتشّماً
فهيّات لم تسلبه للحظ اسهما
توخي اليه الرجّع جمّاً فعثماً
فأي الوري لم يلق بوسى وانعما

مران يك يوماً سوّد الجهل افقه
 نجوم علوم اخجلت بضياءها
 هن أهتدى في سيره كل بارج
 رجال بهم جاد الزمان وعله
 أقامهم في الشرق يحيون شأنه
 هم الملائ الاخياري والعصبة الأولى
 ظلم منه الفجر قبل مجيئهم
 لكم أرهفوا بالجد للجد مخدما
 وكم صرفوا وجه الصروف عن الوري
 وسلوا من الآراء ابيض صارما
 أماطوا قناع المكرمات وقد جلوا
 وعلوا منار الرشد في افق شرقهم
 وأجروا ينايع المعارف في الملا
 وشادوا أصولا للفنون وأوضحوا
 فنعم رجال الشرق قوماً ومعشراً
 جروا في رهان الفضل في أول المدى
 ولم يرهبوا من دونها في جهادهم
 فهم أسسوار كن الحضارة في الوري
 وهم اكنهوا ستر المعارف أولاً
 فلما أحل الله فيهم قضاءه
 حطوتهم أيادي البين من بعد ان رموا
 فغار ضياء الشرق عند غيارهم

فقد طالما في الفضل أطلع انجما
 نجوم ضياء لحن في كبد السما
 توغل في بحر الكيان الذي طمى
 على مثل هذا الجود يوماً تندما
 فاز هل عمّا نال عاداً وجرهما
 رأينا لعمرى الرشد فيهم مجسماً
 فجاءوا فلما اثقلوه تظلمات
 وكم أرعفوا بالنيل للفضل مخطا
 وكم عفروا بالحزم للدهر مرغما
 فقلوا من الأرزاء بحراً عرمرما
 محيّا المعالي بعد ان كان اسحما
 وخذلوا سيلاً للهاثر أقوما
 فطال بها بنت المعاني وقد نما
 لها سبلاً اضحت إلى النجح سلماً
 الى جدهم أصل المعالي قد انتمى
 سباقاً كما أجريت اجرد شيطما
 خيطاراً فقد خالوا التوقي تقحما
 ولم يفعلوا الا لندرك مغنا
 وهم عافوا نفع العلوم مقدما
 وأوفاهم داعي الردى متخرماً
 من الهمة الشماء ابعده مرتى
 وأظلم وجه الشرق وقتاً واقما

مودالت الى العرب العلوم مع العلى
 و أو جفر كسب السعي في طلب العلا
 فهادنه صرف الزمان مسالماً
 و باتت بلاد الشرق من بعد عزها
 الى ان تجلى طالع العصر بعد ان
 غمّات لدى اشراقه الهمم التي
 عن العلم حق العلم بالفضل ظاهر
 و عفت على ما كان قبلاً و ذلت
 فان يك خسف الشرق اضحى محلاً
 الا يا بني الاوطان ان عليكم
 عليكم بها فاسعوا لها وتشبهوا
 و من قصرت ايديه فليسع طوقه
 و قد نكتفي بالطل ان بان و ابل
 و لاسيما العلم الشريف فاننا
 اما نحن من سنوا المآثر و اقتفى
 ألم نعل اعلام العلوم بقطرنا
 ألم نك اهل الاولية في العلى
 بلى نحن كنا اهلها فازالنا
 و ما زال اهل الغرب يدرون قدرنا
 متى يذكر الافضال فيهم خطيهم
 فلا تحسبونا قد عرينا و طالما
 و هم أثروا عنا العلوم فهدبوا

كما حكم المبدى المعيد و ابرما
 فكان هذا الجرى الجواد المصمما
 و نوله الخير الا تم المعتمما
 كأن لم تنل مجداً و لم تحو مغرما
 تحجب عن تلك الجوانب و ا كتمى
 عن العلم قبلاً قد تقاعسن نوّما
 فذلك للالباب قد كان الزما
 جماح زمان قد طغى و تجرّما
 لديه فما كان الفلاح محرّما
 الى السعي في تلك المعالى التقدم
 فمن يتشبه بالكرام تكررّما
 و من لم يجد ماء بارض تيمّما
 فان اعورار العين خير من العمى
 نرى نيله جداً على الكل مغرّما
 ما آثرنا من بعدنا حاز مستمى
 على حين حدّ السيف يرعف بالدم
 لىالى لم نقصر عن المجد معزّما
 زمان توخى حيفنا و تحكّما
 من الفضل ما ابدوا من الدهر معجّما
 على منبر صلى علينا و سلّما
 جررنا من الفضل الرداء المرقّما
 فخرّوا علينا مطرف المجد معلّما

فلا جرم ان العلم سر فاشكما
يظل لسان الحال عنه مترجما
بكي صاحبي منها دماً سال عندمَا
وحتّام يشرقى اراك مهوما
على سابح من علمه ليس ملجما
لمّا يفوق العارض المتسجما
وكم عال من فقر و قلّد معدما
وكم قتل من غي وانطق ابكما
فلم يك غير العلم شيء ليعصا
وحسبك بالحق المبين معلما
لسوف يلاقى أمره متحتما
وذو العلم يلقي العز دهرًا وتوأمًا
ستقرن كفاه يراعا وصيلها
وسحقا لمن في حلبة العلم احجما
تسود من العلم كان متيا
فطنب من فوق الدارارى مخيما
ولو كان كل الكون في وصفه فما
تنالوا بيمن العصر منه الميمما
ولو انها باتت على روق اعصما
لا حرازه هلك النفوس تجشما
نخبر عنهم لاحديثا مرجما
الى ان غدوا أعلين في الامر مثلبا

تباروا بعلم بينهم وتنافسوا
وقد بلغوا من باذخ العز منزلا
اذا نظر الشرقي حال صلاحهم
فيا وطنى حتّام تلبث غافلا
ألم تدرب بالغربى فى الارض سائحا
فله در العلم ان جداءه
لكم نال من فخر وأيد صاغرا
وكم حل من عي واطلق حبة
فمن يعتصم بالعلم يظهر بهديه
اذا العلم هذا الحق ما فيه شبهة
ومن عزّ دون العلم شأنًا فانه
فذو السيف يلقي العز حينًا ومفردا
ومن نال اخطار اليراع فانما
فسعدا لمن في حلبة العلم قد جرى
وماذل من يهوى العلوم وانما
سما بالذى كان الحضيض مقره
فما يبلغ المنطيق وصف جدائه
فحثوا مطايا العزم كي تظفروا به
فلا منية الا ونلتم اعزها
لئن تبذلوا فيه النفيس فغيركم
وما غيركم والله الا اصولكم
وقوم هذوا فى الحق هدى جددوكم

اولئك قد سادوا واقصى نكايه
 بعلم اذا مابات فيهم متوجاً
 فاما لعمرى قدوة بمعاصير
 ولا نحسب الا حوال وهى عوارض
 واما نصبنا في سبيل جهادنا
 وقد اشرع الدرب المرصل نحوه
 فلا صدفت فتياننا عن ولوجه
 ويرتق فتق الشرق بعد اتساعه
 فان الفتى من زان مسقط رأسه
 فذاك الذى في بردة الفضل ينثى
 فان ينتظم شمل الرجال بقطرنا
 لان نجاح الصقع في حسن أهله
 وكانوا كما الاغصان في الجسم فاغدى
 فيشتد أزر القوم بعد انحلاله
 اذا نبتغى علما بدون تضافر
 وكل امرئ عن قومه متخلف
 فكونوا كجسم واحد ان تأملت
 تفوز وابتدليل الصعاب اذا عصت
 وتحظوا باعلاق المنى وتحققوا
 هو العصر وافي ضاحكا عن فنونه
 تبدى وهذا الجهل في الناس سائد
 وراح على الدنيا يذئ بدائعا

لنا فيهم القباب عالج واعجما
 فيا طالما قد كان فينا معصما
 واما تراث للذى صار اعظما
 تغير في اصل المبادئ ففساما
 فاي قرار لايقابل محرما
 بما شفيع الرحمن فينا والهما
 ليغدو بهم رث البلاد مرما
 ويرفى غطاءه بعد ما قد تشرما
 بما ناله من حكمة وتعلما
 وليس الفتى من بالعقيق تحما
 ترتب فيه أمرنا وتنظما
 اذا كان أمر الود في القوم محكما
 على الكل منهم خيره متقسما
 اذا شد من عقد التضافر محزما
 اذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
 فلا يعد من الدهر للوطء منسما
 له انمل تلقى الجميع تألما
 وتقووا على ذا الدهر إما تهضما
 بهمتكم من عصرنا ما توسما
 وقد كان من قبل عليكم تأجما
 فاطرق منه هيبة وتحشما
 فهز أخا عشق ورنح ضيغما

بكم معشر الحضار تزان أرضنا
تجلون عن أن ترشدوا من ممالي
كفى عصركم فخرًا وعزاً اذا ادعى
ليجهد في استرجاع روث شرقنا
فلا زال في عصر الخلافة قائما
ينث عليه الخافقان بعدله
ويصبح عرض الخسف فيها مكلما
ولكنها ذكرى لما ليس مبهما
أمير الوري عبد الحميد المعظما
وتجدد ما من مجده قد تهدما
لما انا د من أمر العباد مقوما
ثنا جميلا بالدعاء مختما

~~~~~

وقلت في مثل ذلك عند حضور امتحان المدرسة

السلطانية في السنة نفسها

بدور بافق العلم هذى المواسم  
لتغدو بها عين الفلاح قريرة  
يقدر فيها العلم ما هو كاسب  
فتنتج ما قد حاول الجهد في العلى  
شهور على صدق الفعال أمينة  
مضامير اقران النباهة والنهى  
هو الجد حتى البعد للقرب سابق  
وحتى ترى ما كان في نيله الرجا  
وهل يبلغ الآمال الا مجاهد  
وهل دون غاي الجهد تدرك غاية  
وكيف يرجي الوصل من ليس يمتطي  
ولا بد من غوص الفتى قصر لجة  
ومن مدرك من فاته وهو قاعد  
على البدر قد لاحت لهن مواسم  
وتبدو تغور السعد وهي بواسم  
ويعرف فيها الفضل ما هو غانم  
وتسفر عما باشرته العزائم  
ولكن قضاة بالسباق حواكم  
يميز مرغوم لديها وراغم  
وحتى الخوافي خلفهن القوادم  
صريما قد التفّت عليه الصرائم  
وهل يطرد الا هو ال الا مقاوم  
ودون اخترام النفس تعنو المخارم  
وكيف يزيل القرن من لا يصادم  
لتخرج غمرا ان اللآلي الحضارم  
ومن لاحق من جازه وهو نائم

وما النفع من جيش تعبى صفوفه  
 فان تمام الجهد للنجاح واجب  
 وان المسمى العقل في المرء صاحب  
 فاجدر بخل ان يصاحب خله  
 وللعقل طول العمر بالعلم صبوة  
 اليقائن لا ينفك كل متبا  
 فان عد حقا أفضل الناس عالم  
 وان أمكنت من دون ذا العلم عزة  
 كما عز بالعلم الا عارب قبلنا  
 ليالي لا أملاك الا ملوكهم  
 تقدمنا منهم رجال تقدموا  
 رجال مضوا لم تلههم عن علومهم  
 منهم أشرقت تلك الديار وأزهرت  
 قد استخرجوا در المعارف بالعنا  
 فمنهم بآثار العدو صوائف  
 لقد أوسعوا الامرين فتحا كأنما  
 فغنت رهام الطير فوق رياضهم  
 وسادوا العدى في كل امر فأصبحت  
 وأصبح منهم هؤلاء على الثرى  
 يخافون امر العرب حتى كأنما  
 ولم يك الا العلم علة مجدهم  
 فمن يعتصم بالعلم يمس معززا

اذا لازمت اغماذهن الصوارم  
 وليس يسوغ الصد عمّا يلائم  
 لعلم غدت منه عليه رثائم  
 ولا يترك الملزوم ما هو لازم  
 بلا سلوة والالف بالالف هائم  
 بصاحبه تعي لديه اللوائم  
 فافضل منه عاقل وهو عالم  
 فبالعلم اسنى ما تسود العوالم  
 فذلت وهابتهم لذاك الاعاجم  
 تعد ولا تيجان الا العائم  
 وسادوا وما في القوم الا ضبارم  
 وشغل الورى غاراتهم والملاحم  
 باقطارنا أنجادها والتهائم  
 وموج العوادي حولها متلاطم  
 ومنهم لآثار العلوم معالم  
 مكارمهم في الحالتين مغارم  
 وأثنت عليهم في النزال القشاعم  
 بأيديهم أمصارهم والعواصم  
 كما سكنت بطن التراب الا راقم  
 لهيبتهم فيهم رقى وطلاسم  
 فجادهم مالا تجود الغمام  
 ومن يفتتن عنه تطأه المناسم

إذا ما تأملت الزمان رأيت  
فان عد كسب العلم فينا فريضة  
وهل نرتضى ذا اليوم ذلاً بتركه  
لعمري لقد كانت لنا بمجدودنا  
فلا غرو ان نقتص آثار مجدهم  
ولم لا نرجي كل فوز وما لنا  
ونعلم اننا ان نحمد نحمد رذا  
وكيف يرى نيل الفلاح بدونه  
بعصر يفوت القوت فيه معدة  
وقد نهضت كل الخواطر للعلی  
فكل فخار ناهل الفكر حائم  
فعز ما بنى الاوطان فالجهد واجب  
فقد قيض الرحمن فينا ذرائعاً  
ويوم هو المشهور ايامنا به  
لدى مشهد يستوقف الركب عن ظما  
تناهب فيه الحمد من كل جانب  
بهم رجع الفضل الاصيل لاهله  
وهل ناجع بالامر الا رجاله  
وهل يتحرى الفضل الا عميده  
فسقيا لروض للمعارف ناضر  
لا طياره في العلم شدو وانما

بكل نجاح في العباد يساهم  
فكل جهالات الانام محارم  
إذا ساد فيه جيلنا المتقادم  
ما أثر في حق القصور ما ثم  
طرائقهم قد امننا والمناجم  
سوى الفضل في جنب الزمان جرائم  
مجرّب أمر ليس فيه مزاعم  
ويأمل دون الجد ذا النيل حازم  
ويعدم ورد الماء من لا يزاحم  
وزادت جيوشا في الصدور الشكائم  
له وعليه طائر الذهن حائم  
بذا وبحول الله فالنصر قادم  
وقامت لهذا الفضل فينا دعائم  
مقلدة اجيادها والمعاصم  
وتسكن من جفيل اليه النعائم  
كرام صنوف المجد فيهم مقاسم  
وعادت الى أصحاب المكارم  
وهل ساجع بالايك الا الحثائم  
وهل تسكن الآجام الا الضراغم  
بها وعليه عارض الفضل ساجم  
به الطائر المحكي في القول جاثم (١)

(١) كان الشيخ محمد عبده مدرّساً في تلك المدرسة

يضوع له في الارض عُرْف معارف  
سلامٌ على السلطان أما مرامه  
سليل بنى عثمان أما جداؤه  
أطاع له البران شرق ومغرب  
له بين اعباء الخلافة في العلى  
اقام امور العرش بعد تظاهرت  
وقام بامر الملك حق قيامه  
فسد تغور الملك بعد انشالامها  
واحكم اجراء العدالة في الوري  
فيوماً تراه وهو للرزق قاسم  
يسمد جفنا لا يطيب له الكري  
فلا زال بدرا نوره متكامل  
يعيد لنا عز الخلافة عهده  
تضى على الدنيا مطالع شكره

تشاء على عرف الخليفة دائم  
فنفع وأما شغله فالعظام  
فغيث وأما عزمه فلهازم  
ودانت له في العدو تين الاناسم  
صرائم الا انهن صوارم  
عليه خطوب للظهور قواصم  
يدافع عنه تارة ويهاجم  
وجاز الى دار الوغى وهو ثالم  
وعمت له كل العباد مراحم  
ويوما نراه وهو للخطب حاسم  
وفي ارض عثمان ظليم وظالم  
وغيثاً علينا ودقه متراكم  
ويغبط الاسلام اذ هو سالم  
وتعطر فيه بالدعاء الخواتم

## وقلت أشكو الزمان

من الدهر تشكوام على الدهر تعتب  
شكي بلا قاض شجي بلا اسي  
يلاقى الاسى في صدره كل مذهب  
هو المرء في كم الزمان مقلب  
تولد في الدنيا حليف مصائب  
يصاحبها وهي العداة وانه  
اذا نقصت من كل عز حظوظه  
وما صاحب الايام الا معذب  
اذا بات في دنياه يعتب يعتب  
متى ضاق عنه في البسيطة مذهب  
يقاسى عذاب الموت والدهر يلعب  
فلم يغن عنه حرصه والتجنب  
لخسف بان تشنا الذي انت تصحب  
فاسهمه من نكبة ليس تغلب

ومطلوب دهر عند من هو يطلب  
 اذا هو في بطن الضريح مغيب  
 وفيك غراب البين مازال ينعب  
 فلا منك رهبان ولا فيك ارحب  
 لديك فصدري من فنائك ارحب  
 واعجب من حالي وحالك اعجب  
 مضى ذلك الامر الذي اتعب  
 فلم يجدني ما كنت ابكى وانحب  
 نجوم السما طورا تضي وتغرب  
 شجيين طول الليل نشدو وتندب  
 وبطفها من ماء عيني صيب  
 وازجر طرفي اذ يحف وينضب  
 وعندى ورد الدمع والله طيب  
 على غير صوت النوح اشجى واطرب  
 بوجدي فهل بعد النوى ليس يعذب  
 لدى غفلة عن نكبي يتنكب  
 فيحلوا لي طعم وينساغ مشرب  
 وتغضب مني مثلي انا اغضب  
 الا ليتها تسعى برد واكذب  
 ولا ينفع الانسان منها التائب  
 فصدق واما البرق منها فخلب  
 يعنفها في شعره ويؤنب

طريد ليال بات في كف طارد  
 فينا يسام الخسف من كل وجهة  
 فله يادنيا حيانك كربة  
 رأيتك محض الغش في محض قدرة  
 واني وان ضاقت علي مذاهبي  
 اري بك من نكدي وصبري عجائبا  
 فهل فيك ضم مثل بعد احبتي  
 بكيت عليه وانتهجت لياليا  
 فكم ليلة منها قضيت مسامرا  
 الى جانب الورقاء تندب في الدجى  
 تشب شرارات الاسى بترائي  
 وقد بنت لا ابغى خمود صبايتي  
 بصدري حر الشوق برد يلد لي  
 ابي الله ان اهوى السرور واني  
 لئن عذب التعذيب لي قبل ذا النوى  
 فيا ليت شعري هل اري الدهر مرة  
 أليست لتصفو منه يوما سرائر  
 أما تحفظ الايام مني وقية  
 فقد طال وصفي نكدها غير كاذب  
 فتبا لها من مصميات سهامها  
 هي الدجن اما صاعقات خطوبها  
 قضى قبلنا الكندي «١» احمد حقبة

على انها الدنيا اذا شئت وصفها  
واني وان لم تحينى غير صبوة  
سأشكرها إذ أنها مذ حدثت  
وقد نجتى الحادثات وأدبت  
ولكنها منى تمارس شدة  
وما عدت من شدة وبراعة  
ولكنه لا نفع فيها لصابر  
محاكية للبحر تعلوه جيفة  
فيعدم فيها الحظ من يستحقه  
ويحظى بها بالجد من لا يرومه  
اذا الحق لم يصبح على الكل سائداً  
وإن عدم الحق المبين نصيره  
وان لم تكن فينا على الخير عصة  
فليس بمغن للكريم اتساعها  
لكم بت أنضى همى لا قيمة  
قما زال للابصار تحت ستائر  
فقد قلت ما قد قلت لا عن ما رب  
واني من القوم الذين هم هم  
عناق المعالى قد تسامت جدودهم  
لهم نسبة في اقعس المجد عرقها  
واصحابهم فيها الفصاحة والحجي  
بدور اذا الهامات بالبيض عمت  
بحور اذا الارزاء التمت جرانها

وان لم اشأ تمل على واكتب  
فكم ناشنى منها الى اليوم مخلب  
لقد عودتى الصبر وهو محبب  
وليس كمثلى الحادثات مؤدب  
وقد عجمت عودى فعودى أصلب  
ولكن من لاقت أشد وأنجب  
إذا لم يكن منها لعمر ك مهرب  
وفيه نفيس الدر في القعر يرسب  
ويحرم فيها الكسب من يتكسب  
ويشوى بها بالسهم من لا يصوب  
فليس حر في البرية مأرب  
فما يرتضى بالعيش حر مذهب  
فقيا سواه ساء ما تعصب  
اذا كان فيها الحق كالمال ينهب  
واظهره في بعض امر ويحجب  
اذا زال عنه غيب جن غيب  
اجل انا من مثل ذلك وأحسب  
اذا غاب منهم كوكب لاح كوكب  
على الشم من انسل الشيخ يعرب  
لها منزل فوق السماك مطنب  
وبذل اللهى والمشرفى الذرب  
ليوث اذا الهامات بالبيض تضرب  
غيوث اذا الاعوام فى القوم تجذب

فيا صل حق بالبيان وتارة  
 لهم حسب يحكى الشموس وضوحه  
 فان كنت منسوباً اليهم فانها  
 فدون انتساب المرء للهجد والعلی  
 فما دمت حياً فى الزمان فلم تزل  
 اثم باشياء كبار ودونها  
 ارى الفتح يدنو كلما انا ساكن  
 وقد غادرت قلبى العوارض حائراً  
 توارد انواعاً كثاراً وكذا  
 فيا صل اذ دار الاصل المكعب  
 يزاحم منه منكب الشمس منكب  
 اليهم لتعزى المكرمات وتنسب  
 لعمر ك لا يغنيه ام ولا أب  
 على حقوق ليس منهن اوجب  
 من البعد فى ذى الحال عنقاء مغرب  
 ويبعد عنى كلما انا اقرب  
 هو القلب من تلك الحوادث قلب  
 تؤثر فى القلب اللطيف وتنسب

## وقلت متغزلاً بالحسن المعنوى

مفتخراً باصحابه

مال الصبا بعواطف النشوان  
 ولوى الغرام عنانه نحو اللوى  
 وهوى الهوى بالقلب بين اعنة  
 فغدا يراوح من معاهدها التى  
 يأتى للصاب من الشهاب وينتجى  
 فى كل منعطف وكل ثنية  
 ويح المحب لقد تهتك فى الهوى  
 أجرى العقيق بطرفه وبى بأو  
 صب الم به الهوى فمضى به  
 انذرتة سوء المصير فقال لي  
 ميل الصبا بمعاطف الاغصان  
 وبدا الحنين لا برق الحنان  
 ومتالع ومطالع ورعان  
 فى نجد بين معالم ومغان  
 من منزل الجرعا سفوح البان  
 يبدو له شجن من الاشجان  
 فرعاه فى سر وفي اعلان  
 تاد الضلوع مضارب الكيثان  
 للحسن تحت أسنة الخرصان  
 ان الصباية عزة الفتيان

أطلقت للقلب العنان فهمت لا  
لهفى عليه عدت بمهجته الظبا  
بين البوارق والصفوف زواحف  
طلب المحاسن فى الخيام ودونها  
واذا هوى نجد تحكم فى فتى  
ألوى ولست لذا العنان بشان  
حباً الى حيث الظبي بمكان  
تحت البيارق والرماح دوان  
ضرب يطيح سواعد الشجعان  
جعل الردى فى حيز النسيان

\*\*\*

هيهات ليس لعاشق أمنية  
واذا العواسل دون معسول اللمى  
واذا الحدود القانيات تعرضت  
واذا الاسود وقد تردت فى الحمى  
واذا رجال كتائب النعمان قد  
واذا الأعز الأيهم الغسان قد  
حال تطيش بها العقول وربما  
تعي فؤاد الاخوان كانه  
ما ان يقاوم بأسها بطل ولو  
تغشى مقاصير العظام ولم تكن  
عمت فان فانت عديم القلب بال  
لكن ما أودى بعذرة حبه  
يسعى اليها فى طريق أمان  
يزداد معها القلب فى الخفقان  
للحب سال لها النجيع القانى  
صرعى أمام كوانس الغزلان  
ذلت لعز شقائق النعمان  
أمسى رقيق الأهيف الغسانى  
أخبت ذكاء ثواقب الاذهان  
مما أصيب صريع خمر دنان  
حازت يداه عزة العقبان  
عنها تعز مناسك الرهبان  
وجدان ما فاته بالبرهان  
لم يختلف بشعوره اثنان

وترى القلوب على المحاسن أقبلت  
وترى الى وصل الحبيب حنينها  
كيف الخلاف وللفؤاد تأثر  
أو كيف لأهوى الجمال وقد بدا  
عين الوجود اللامع النور الذي  
العاقب الا كليل مصباح الهدى  
هو احمد المحمود من في حله  
فالله يشهد أن طه المجتبي  
واذ كر صحابة صاحب المعراج من  
الراشدين العاملين الى الهدى  
هم عصبة الدين الحنيف وشيعة الشـرع الشريف وفتية الايمان  
يهدى الأولى رجعو الى الكفران  
أقصى بهمته على أركان  
في قبضتيه شواسع البلدان  
أنسى البرية «سيف» في غمدان  
وخلا له كسرى من الايوان  
مصر لعمر و أيما اذعان  
بالنصر والجيشان يلتقيان

فألهدى فيهم ضارب أطنابه  
والدين تعصف بالممالك ريحه  
بجهاد قوم أصبحت أعمالهم  
فيهم أبو الحسنين صفحة سيفه  
قد كان ليث عريضة وفؤاده  
وافى منازل في العلوم تقطعت  
فلكم حوت تلك الصحابة سادة  
صرفوا إلى الأرواح جل عنائهم  
أسياف حق بالهداية قطعت  
حق الفخار بهم لكل موحد  
فاذ كرفتوحات العقول برشدهم  
واذ كر لهم فتح الممالك في الوري  
من مشرق ذاق النكال ومغرب  
هم قدوة للعالمين بها اهتدى  
أهل الخلافة من بني العباس من  
بلغوا جدار الصين من جهة ومن  
وترى حذاء فروق وقع سيوفهم  
والغزنوية يوغلون بزحفهم  
والحق ملق في الوري بجران  
عما يُزلُّ مواقف البهتان  
أبدًا بجيد الدهر عقد جنان  
فجر ينور ليل كل طعان  
بحقائق الأكوان بحر معان  
عن دركهن نياط كل جنان  
غراً من الانصار والاعوان  
وتجائفوا عن خدمة الأبدان  
بين العباد هوادي الاوثان  
لثبوت مجدهم بكل أوان  
تهدى لحق العلم والعرفان  
من كل ناحية وكل لسان  
طلعت عليه كواكب الفرسان  
شم المعاطس في أولى السلطان  
بعد الخلائف من بني مروان  
أخرى تخطوا شاهق البيران  
وتجاوب الأصداء في السودان  
في السند آونة وهندستان

وبنو أمية في الجزيرة حكموا  
وانظر بني أيوب لما أعملوا  
وصلاح دين الله أنزل بطشه  
ولواء يوسف تاشفين بمغرب  
ثم السلاجقة العظام وإثرهم  
سيف الصناديد المساعير المغا  
ما كان ينضى في وغي الاملا الد  
سل عنه عثمان القديم وان تمل  
وانظر مراد وبا يزيد بغربه  
وارمق أبا الفتح الأعزّ محمدا  
في مأزق والجانبان تصادما  
والخيل باشرت البحار فردها  
والبيض تخطب في الرؤوس رواكماً  
حتى تصاغرت البلاد لأمره  
وغدا سليم رب كل ايلة  
وأتى سليمان الزمان بفياق  
مادت لهيئته البسيطة ميده  
وسعت عزائم الزمان وقائعا

أمضى ظبأهم في ذوى التيجان  
في المعتدين عواسل المران  
بالقوم في حطين كل هوان  
خرت له الأعداء للأذقان  
أصوات ضرب الصيلم العثماني  
وير القروم المعشر الغران  
نيا برعب صليله الرنان  
لزيادة فاعطف على أرخان  
قادا الأعادي كلها بمران  
اخنى على جرثومة الرومان  
وتقابل البران والبحران  
فرسان فامتنت على الارسان  
طوراً وتنطق ألسن النيران  
واستسامت ليديه مثل العاني  
في الشرق محمياً به الحرمان  
خضعت له الافلاك في الدوران  
لم تبق من أحد ومن شهلان  
من كل حرب في العداة عوان

تفدى بنى عثمان كل قبيلة  
حملوا الخلافة والبلاد طرائق  
فعدت وقد صارت لهم أطرافها  
ولهم بها العدل الذى أبدى لنا  
حق اذا ما أمَّنوا فيه الورى  
فبمثلهم فلنفتخر وبهديهم  
فى السالفين من الأفاضل عبرة  
فى كل يوم من برازخهم لنا  
أولاً نجيب ونحن أحياء فى الورى  
ان نعتذر بزماننا وطباعه  
ان المبادئ لاتزال فواعلا  
فيها يكون الى الحصول توسل  
يغدو الزمان بها على أحواله  
والعقل لا يعنو لحالات اذا  
واذا تحصلت الشجاعة لم تكن  
فلنعملن فالرأى فى نيل المنى  
فى الارض أبرزها لنا العصران  
فى كف أهل البغى والعصيان  
تيهاً تجر ضوافى الاردان  
كيف استواء الشاة والسرحان  
ردوا غرارهم الى الاجفان  
فلنهد بعد تقاعد وتوان  
تجلو المرء بأقصر الامعان  
داع ينبه خاطر الغفلان  
يوماً ندا الأجنان فى الاجنان  
فهى العوارض لم تخص بآن  
ما بين ما يتعاقب الملوان  
وبدون ذلك علة الحرمات  
بالناس من زيد ومن نقصان  
ما شاء أوقعها بحال تقان  
عند المحصل غاية الامكان  
هو أول وهى المحل الثانى

وقلت مفتخراً بالسلف

أقلُّ عذابي ما تصاب مقاتلي  
وأسعر ناري ما تكن جوانحي  
تفيض دموعي كلما لاح بارق  
واني لتشجوني الحمائم ان شدت  
سوا جع بالشكوى ينحن على النوى  
يبكين أوقات الصفاء التي خلت  
واني لصب لم أزل أندب اللقاء  
حنيني الى عهد الوصال وأهله  
ولكنه قد رمّت الحب مهجتي  
تفردت في طبع الى الحب نازع  
فيطر بني همس القصائر في الحمى  
وأهوى لحاظ العين معسولة للمي  
وأختال في غي الهوى غير عابئ  
واني ليجري في جناني هوى الحمى  
فيا ظبية الكشبان حسنك فاتني  
ويا هذه الأعطاف رحك طاعني  
ويا عاذلي اقصر فلست بوازعي  
وأضيع نصحي ما تقول عواذلي  
وأهدأ حالي ما تهيج بلائلي  
وتطرب من مر النسيم شمائلي  
على عذبات البان عند الأصائل  
نواعم لا يعرفن غير الجمائل  
وأبكي لأيام الصباء الرواحل  
بدمع طويل الذيل هام وهامل  
وسهدي على هجر الخليط المزابل  
وروق اعنات الغرام مناهلي  
وقلب على حكم الصباية نازل  
ويعجبني في الرمل هدى المطافل  
وأعشق ربات النصور النواحل  
وأمرح في بذخ الصبا غير سائل  
وحب الدمى مجرى الدما في مفاصلي  
ويا غادة الجرعاء حبك قاتلي  
ويا هذه الأحاظ سحرك بابلي  
أطلت بتعيني على غير طائل

سأمنع عن عيني لاجلك نومها  
وأجرى بمضمار الهوى متهتكا  
لأعشق حتى ليس لى من معادل  
وأرهن هذا القلب للغيد والمهى  
وما الحب الا خلق كل مذهب  
وما الحسن الا دون كل عرينة  
إذا كل طرف ذابل عند ذابل  
تجول جياذ الخيل فى كل عرصة  
وتحمى سيوف الهند عن كل كلة  
أزور خيام الربع غير موارد  
وانى من الشعب الذين اذا سعوا  
ألم ترهم بالأمس حزمًا وقوة  
فما آجل يرجونه غير عاجل  
لقد خيوا آمال كل معارض  
بشقر سراحيب وسمر ذوابل  
غداة بلاد الناس شرقًا ومغربًا  
لقد كدكوا الاجبال فيها وشيدوا  
سقوا تربة الارضين سهلا ومربًا

وأقسم ماتبكىه بين المنازل  
أجر رفى شوطى فضول الغلائل  
واكلف حتى ليس لى من مماثل  
وأجعل هذا العقل مهر العقائل  
وما الوجد الا شأن كل حلال  
وما الوصل الا فى مجال الغوائل  
وكل قوام عاسل دون عاسل  
وأنضى اليها كل يوم رواحلى  
لقد طالما علقت فيها حمائل  
وأغشى ديار الحى غير مخاتل  
يحملون قدراً عن حوول الحوائل  
مفاعيلهم فى الامر قبل المكاول  
وما عاجل يأبونه غير آجل  
وقد زلزلوا اقدام كل منازل  
وبيض أصاليت وصفر عياطل  
اطلوا على أقطارها بالجحافل  
سواهن شما من غبار القساطل  
من الدم بالانهار لا بالجداول

أطاروا قلوب الكاشحين وارقصوا  
وقدسحقوا بطشارؤوس عداتهم  
فما زال منهم باخعا كل عامل  
الى أن ولوا بالسيف أقصى بلادهم  
فهم خير من في الأرض سلوا صوارما  
وهم خير من ضموا اليراع الى القنا  
لقد نشروا العلم الحقيقي في الوري  
وقد خطبوا في الأرض بالحق من على  
أزالوا سفاهات الشعوب وقابلوا  
وشادوا على تلك الرسوم حضارة  
فأصبح منهم عامرا كل غامر  
زها ونما نبت الوشيج بأرضهم  
أولئك آباء فجئني بمثلهم  
رجال لديهم راق جمع مناقب  
بدور بآفاق الزمان أوافل  
أقاموا زمانا ثم مر عليهم  
زمانا قضوه بالعلاء ولم تكن  
كذلك قد كانت أوائل قومنا

فرائصهم من كل حاف وناعل  
وقد نزلوهم من رؤوس المعازل  
وما زال فيهم عاملا كل عامل  
فلم يدعوا فيها مجالا لجائل  
وقادوا عتاق الخيل قب الاياطل  
وهم خير حد بين حق وباطل  
على حين تغلى الحرب غلى المراحل  
منابر عز من متون الصواهل  
سفسفهم بالمكرمات الجلائل  
اقيمت على أس التقى والفضائل  
وأضحى لديهم ممرعا كل قاحل  
وفي مدنهم زادت فنون الصياقل  
والا فهم في الأرض خير القبائل  
عفاف واقدام وحزم ونائل  
نحبي على تلك البدور الاوافل  
عتو الدواهي والليالي الدوائل  
ليالي علام بالليالي القلائل  
الا ليتنا بنى بناء الاوائل

ونحي رسوماً غادروا لا اعتبارنا  
 اما نحن من حازوا الغنى بعقولهم  
 وقد كان منا كل ندب مجرب  
 وكل همام مشبع الحِجر راشد  
 وكل امام كالغزالي وهو من  
 وكل حكيم كالرئيس الذي جرى  
 وكل أريب كابن رشد ومن على  
 فبالشرق منا كالرشيد وقومه  
 ولا تنس في وادي الفرات وجلق  
 ولا سادة منهم محمد<sup>(٣)</sup> جاعل  
 لعمرى اذا ندرى الامور فانما  
 وغر العلى فوق العوالى دوامياً  
 لنعم نداء الحرب فى كل أمة  
 لينشر من أكفانه كل ميت  
 فذلك أمر لا يزال مجدداً  
 اذا ضاق عنه النثر فالبحر واسع

فأصبح منها دارساً كل ماثل  
 وجادوا على كل الورى بالفواضل  
 بنور الحجى جالٍ دياجى المعاضل  
 موفق آراء دليل مجاهل  
 اذا قال لم يترك مجالاً لقائل  
 وخلقى ارسطو خلفه بمراحل  
 هدهد وكالرازى ند الاوائل  
 وبالغرب منا ناصر بعد داخل<sup>(١)</sup>  
 وفى مصر آثار الصلاح وعادل<sup>(٢)</sup>  
 بقبضته البرين دون مطاول  
 زوال العنا بين القنا والقنابل  
 ونيل المنى دون المنى والمناصل  
 أناخ عليها دهرها بالكلاكل  
 ويوقظ من تهويمه كل غافل  
 نشاهده فليذكرن كل ذاهل  
 بنا والقوافى رافدات الفواصل

(١) عبد الرحمن الناصر الاموى بعد جده عبد الرحمن الداخل

(٢) صلاح الدين يوسف بن أيوب وقبله نور الدين زنكى الملقب بالملك

العادل (٣) محمد الفاتح العثمانى

وكتبت الى السيد جمال الدين الافغانى رحمه الله

|                                  |                            |
|----------------------------------|----------------------------|
| يا جمال الاسلام والاسلام         | صده عن هوى الجمال الملام   |
| مثما أنت فى الحياة والا          | فحياة الفتى عليه حرام      |
| هكذا ان يصح فى الارض مجد         | دونه كل مانرى أوهام        |
| همم دونها الكواكب مثوى           | ومضاء من دونه الايام       |
| قاذفات على المصاعب عزمًا         | لو تبدى تدكدك الأعلام      |
| مثل هذا حويت يارجل الار          | ض فماذا عسى يدل الكلام     |
| لم تنزل تحرز المحامد حتى         | كل حمد له عليك ذمام        |
| أنت فرد فيما شملت ولكن           | فى اقتدار الجنان أنت لهام  |
| لك نفس الاملاك فى عرة الأف       | لاك فى جود من يداه النمام  |
| لك طبع سام ووجه وسيم             | أدبر الظلم منهما والظلام   |
| ورموز ملء الحقائق طرا            | وعلوم فوق العلى أعلام      |
| ويراع كالغيث منه انسكاب          | وذكاء كالنار فيها ضرام     |
| ومعان لو اوحيت لجماد             | هزه الشوق نحوها والغرام    |
| حيوت كل ذى حصاة الى ان           | قل لاشك إنها إلهام         |
| كل هذا حوى الجمال واوفى          | يا جمال الدنيا عليك السلام |
| كل حى لم يخذ فضلك حذواً          | كل ساعات عمره آثام         |
| فلتطاول بك الكواكب وليفخر بعلياك | آدم لاسام                  |

ونجب ماتدعو اليه والا  
كل نفس قصد الفلاح عليها  
وقبيح يانفس قولك هذا  
أبدع الله في العباد أموراً  
حسبنا الله من وكيل ولكن  
دون نيل العلى ربى ووهاد  
نطلب المجد من سوانا ولكن  
يا زماناً أتى بكل عجيب  
جئ بما شئت يا زمان غريباً  
ان أمراً أصحابه تركوه  
فعدوا مثما جعلت وما كا  
يا جمال الاسلام انى امرؤ مم  
عبثاً يجهز الزمان علينا  
ليس يخلو الزمان يوماً من العبد  
حالة عن فصا أمثالها الأي  
منك يرجى ياسيدى يا جمال الد  
أنت للمسامين فى دينهم حجة  
عطف النفس ما استطعت علينا  
فلحق النفوس منا اهتضام  
طفلاً ليس تخلق الآنام  
فوق همى وقوة لاتضام  
وعليها عليهم الاقدام  
لنقل مثل ذا ونحن قيام  
لانىال العلى ونحن نيام  
لم يسود عصام الاعصام  
أى يوم كنا وخسفاً نسام  
وتحكم اذ أنت لست تلام  
بعد ما أفطروا عليه وصاموا  
ن الهى مغيراً لو داموا  
ن عليهم والله ضاق الكظام  
« ما لجرح بميت ايلام »  
رة لكن قد شلت الافهام  
ام قد مسها لعمرى العقام  
ين وصل الحبال وهى رمام  
أنت للمسامين فى دينهم حجة  
عطف النفس ما استطعت علينا  
نحن لولاك فى الورى أيتام

ماشككنا في أن تنال الأمانى      سيد أنت والزمان غلام  
 ما عجبنا للفرس اذ بصنيع الد      ولة اليوم حفاك الاعظام <sup>(١)</sup>  
 اظهر اليوم يا محمد وابهر      أنت في المشرقين بدر تمام  
 وتغلب على العوائق واجعل      كل مالا يرام مما يرام  
 قاطع رأيتك المسدد في الده      ر الذى ليس يقطع الصمصام  
 فيك يأتى القريض منتظما عف      وا وتنساب وحدها الأقلام  
 ذا مجال ان تجتنبه خناذير      ذ القوافى فانى الضرغام  
 فامهر اليوم مازفقت قبولاً      يا جمالا أنا به مستهام  
 خدم الدهر باب عزك بالاخ      لاص ما واصل افتتاحا ختام

وقلت وكتبت بها الى الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

لقلبي ماتهمى العيون وتأرق      وللعين ما يبلى الفؤاد ويرهق  
 وما كنت ممن يرهق العشق قلبه      ولكن من يدري فنونك يعشق  
 وما كنت ممن يرشق السهم لحظه      فيهوى لذا لكن يراعى أشيق  
 أصبت به كل القلوب وانه      لينضحها بالنبل قبل يفوق  
 تركت الورى أسرى هواك وانما      أسيرك فى ميدان فضلك مطلق  
 لديك استرقتهم من الطبع رقة      فأنت لهم حق رقيق ومعتق  
 جذبت بهاتيك المعانى قلوبهم      وتيمها والله ذاك التألق

(١) كان هذا فى أول ذهابه الى ايران قبل أن ينسكبه فيها الشاه ناصر الدين

كلام اذا ألقيته في جماعة  
عليه من النور الالهى مسحة  
مناهل الطاف وأعين حكمة  
يبيت بها غصن البلاغة ناضراً  
سلام على وجه الامام محمد  
ولله درُّ البحر درُّ محمد  
وأخلاقه الغرا اذا شئت وصفها  
إمام بخصل العقل والنقل فائز  
اذا ما انبرى في حلبة الفضل قصرت  
خطيب الورى بالحق للحق مظهر  
اذا قام من فوق المنابر فاصلا  
تميد الورى عند استماع خطابه  
فما قام بالحق الحنيفى صادعا  
له القلم المشهور يزرى مداده  
عجائب مولى فى محمد عبده  
لك الله يا مولاي هل من فضيلة  
ومنها

وفى أمل انى لى فعل واجب  
اذا نال مثلى من كلامك لفظه

غدامنك مثل اللؤلؤ الرطب ينسق  
تكاد على أرجائه تتألق  
تظل على روض المعارف تغدق  
وريقا على نبت الفصاحة يسمق  
محيا به ماء الحيا يترقرق  
تتوج منه للمعارف مفرق  
وان لم أشأ توحى الى وأنطق  
سبوق لغايات حكيم محقق  
حوالى مداه حلية هن سبق  
ظهير وللبطالان مردٍ ومزهق  
فأى ضلال ليس يحى ويمحق  
وتعجب للأعواد إذ ليس تورق  
وللفكر شمل بات ليس يمزق  
بتبر اذا فى مهرقٍ هو مُهرق  
وربك يعطى ما يشاء ويرزق  
بهذا الورى الا بها أنت أليق

أسكن قلبا دونه بات يخفق  
تشرفه فهو السعيد الموفق

وقلت أمدح الأمير الكبير على باشا صاحب تونس الخضراء  
وأقرظ تأليفه المسمى بمناهج التعريف في أصول التكليف  
عج باللساب وعنق الليل مقتول بصارم ابن ذكاء وهو مسلول  
ومنها

باتت سعاد على ذا كله وغدت  
إذا تمر الصبا في خدرها غلسا  
كذاك حتى إذا شمس الضحى طلعت  
قامت سعاد تحيينا فما قمر  
جلت محاسن ما يلفي لها مثل  
نقول بدر وغصن كي نشبهها  
فلا يغرنك في مثل لها طمع  
حتى إذا شغف القلب الذي اجتذبت  
يحاول الجهد كي يقتص مدرجها  
تجوب جوز الفلا في كل ناحية  
مرثومة بالبري خلت مخاطمها  
فاعطف على طلال بالجزع ان دمي  
كانت لنا غر أوقات مضت معها  
تلك الليالي التي مابت أذكرها  
كنا نهم بها والعمر مقتبل

تضفو عليها من النعمى سرايل  
راحت عليها من الريا مثاقل  
قامت ومنها وشاح الصدر محلول  
على قضيب على الكشبان محمول  
وما ملتمس منهن تنويل  
وانما قولنا يا صاح تمثيل  
فدون أمثالها العنقاء والغول  
«بانت سعاد فقلبي اليوم متبول»  
وهل يطيق تباع العيس مغلول  
تزل عن متنها رقطاع زهلول  
جذبا كما غودر الثوب الرايل  
منها على طلل بالجزع مطلول  
والخطب منهزم والهم معزول  
الا شجيت وني احتاجت عقايل  
والعيش غض وربع الانس مأهول

فى كل واد من الآرام ليس به  
 أما الليالى فقد عادت وهن بنا  
 ولت سعاد وبدلنا بها جزعا  
 فلا يغرنك من دنياك زخرفها  
 انا نزلنا على وادى تضلل قد  
 يمد فى كل يوم للورى شركا  
 فمن سعى عن طريق الغى مبتعداً  
 ومن تهافت عمداً فى ضلالته  
 كم زلزل الله من قوم لكفرهم  
 فليس تبرح للرحمن حامية  
 هل باى تونس الا السيف جرده  
 فالיום للرشدين الناس واسطة  
 بكف أبلج ميمون مطالعه  
 أشد أوسع من فى ذرعه سعة  
 مشبوب عزم بحسن الحدس متقد  
 يلاحق القصد بالتسديد منتها  
 اذا تغضف جنح الخطب معتكراً  
 من معشر المؤمنين الفر محتده  
 الا أغن غضيض الطرف مكحول  
 من بعد ما كن أطفالا مطافيل  
 وكل شىء له فى الارض تبديل  
 فما زخارفها الا الاباطيل  
 تدفقت من حوالينا الاضاليل  
 والناس منهم به ناج ومحبول  
 فقبل مسعاه بالخيرات موصول  
 فليعامن فعرش الكفر مثلول  
 قدما وأهلك جيل قبله جيل  
 لتزهق البطل ان البطل زحليل  
 فى الارض ربى فخذ البغى مفلول  
 وللتعسف والاحاد تذليل  
 فخم الجنب وقيلٍ قبله القيل  
 طولاً وأطول من فى باعه طول  
 فؤاده وبحب الله مشغول  
 اذا انت تحت هدية السارى العواويل  
 فما على غيره فى الكشف تعويل  
 لدى عمامته تعنو الأكاليل

ومنها

بفيلق لجب من كل ملتثم  
مقذف يقذف العادي بصهوته  
لله هذه على باي الزمان فهل  
عن مثل عليها كف الدهر قاصرة  
فليس ينضى لروع غضب همته  
وليس يمسك عن عاف مواهبه  
ومنها

له صديق غداة الحرب عزريل  
إذا علا النقع تكبير وتهليل  
لمثل محصوله في المجد تحصيل  
وأعين السخط من حساده حول  
الا وتنجاب في الحال العراقيل  
الا كما يمسك الماء الغرايل

حقائق طى ذاك الصدر محرزة  
ترهو بهن تأليف مفردة  
منها مناهج للتعريف واضحة  
تجلاو بفصل خطاب كل مسألة  
الله أكبر هذا فضل سيدنا  
يبغى جميع الورى ايفاه دين ثنا  
مهلا أبا حسن نجل الحسين فما  
ترهو بكم تونس الخضراء ممرعة  
كفاكم شرفاً أهل الحسين فهل  
أثنى عليكم بتقصيرى على أمل

على شتات فعمول ومنقول  
على افتراق فتجميل وتفصيل  
يدل سالكها حكم وتعليل  
عوصاوان كثرت فيها الأقاويل  
فأين من وصفه مدح وتبجيل  
فيعجزون ودين الشكر ممطول  
أتم أيا سادتي الا بهاليل  
وليس يزعب في أغوارها النيل  
مقصر عنكم في الوصف معذول  
لعل عذرى عند الباي مقبول

وقد اعارض فيكم فارساً<sup>(١)</sup> بطلا  
 فيامليكا تقاصى في ممالكه  
 ان كنت بدرأ بأفق الغرب منبلجا  
 فاسلم وعزك للاحلاف معتصم  
 لايترك القرن الا وهو مجدول  
 لكن لنعمته في الارض تظليل  
 فالشرق من لطف ذاك النور مشمول  
 من الرزايا وللاعداء تنكيل  
 بالحق والله بالتوفيق مسئول  
 وارع الحنيفة البيضاء معتصما

وقلت في الاستاذ الشيخ محمد عبده أهنيه بالاضحى

هل الدهر الا ذا النهار وضده  
 يدور فمن أى الجهات ابتدرته  
 ولا خير في يوم يمر على الفتى  
 فليست حياة المرء الا شهادة  
 يعاود كلاً منهما الدهر ندّه  
 وتابعته تبدا به وتحده  
 اذا لم ينل فيه ثناً يستجده  
 على فضل مولاه فيظهر مجده  
 فان الاله اختار مافيه نكده  
 مقام وفي دار السعادة خلده  
 لقد حل عندى حيثما حل وأده  
 فأغفاله فيها سواء وعدّه  
 ولكن حق العمر في المرء حمده  
 والا ففى دار الفناء ثناؤه  
 وحيّ غدا فى ماسوى الروح ميتاً  
 ومن كان لا يوتى الجماعة نفعه  
 لعمر ك ليس العمر فى المرء عيشه

( ١ ) احمد فارس الشدياق له فى أحد بايات تونس قصيدة أولها :

\* زارت سعاد وستر الليل مسدول \*

فأحجى به إجهاد ما بات فاقداً  
 فيغنيه عن رغد المعيشة شكره  
 كذا السيف معدوم وقد غاب نصله  
 وما الحمد إلا الجد فهو وراءه  
 وهل قيمة الإنسان إلا فعاله  
 ولولا اشتغال المرء ماذا ذكره  
 فأجمل من خضب بكفك شغلها  
 وأصلح من ذل بنفسك موتها  
 كذا فلتكن تلك الحياة التي أرى  
 أودُّ بها خلقاً كثيراً وإنما  
 ومنها

لقد آثر المولى بنعماء آنفاً  
 هو البدر لكنّ المعالي سماؤه  
 هو الليث لكنّ المحامد غابه  
 هو البحر عن كل النقائص جزره  
 محيط بأشتات العلوم جميعها  
 مجدد روح صار في وسط نزع  
 حكيم فلا تلهيه إلا جواهر

لا حراز شيء ليس يحسن فقده  
 وليس بمغنيه عن الحمد رغده  
 وليس بمعدوم وغاب فرنده  
 وما الجد إلا الجَد فهو مُعده  
 وهل قدره إلا عناء وجهده  
 ولولا اشتغال العود ما ضاع نده  
 وأحسن من كحل بطرفك سهده  
 إذا كنت ممن مورد العز ورده  
 وإلا فكم سهل على الحر لحده  
 أود من الأيام ما لا توده

فلا غرو أن يسعد محمد عبده  
 هو النجم لكنّ الفضيلة سعده  
 هو السيف لكنّ المكارم غمده  
 ولكن إلى كل الكائنات مده  
 ففي أي علم جئت يقدر زنده  
 وموضح أمر أقلع اليوم رشده  
 غدا عبرة فيما سواه من زهده

لقد ظل سلطان الكلام بأسره  
له قلم يزرى بكل مهند  
له في رهان المكرمات ما أثر  
تردى بأثواب المحامد كلها  
إلى كل ما يسنى الثناء صباؤه  
أيا من ورودي في البيان معينه  
تباهى البرايا مصر أنك نجمها  
لديك رقيق الشعر يحلو نشيده  
ويفنى مداد المرء فيك لدى الثنا  
ومثلك من تبدى المواسم فضله  
فهناك الأضحى ولا زال عائداً  
عليك من المولى يصب سلامه

فأعلامه الأقلام والكتب جنده  
يصول على العادي به فيقدّه  
كبت دونها قب السباق وجرده  
وفوف من كل المحاسن برده  
وعن كل ما يؤذى الكرامة صده  
فأصبحت في مدحى له أستمده  
ويفخر هذا العصر أنك فرده  
وفيك دقيق الفكر يحسن نشده  
وان يكن البحر المحيط يمهده  
وفيهام مع العليا يجدد عهدده  
عليك سعيداً دائماً لك شكده  
وفي قلبك الوقاد ينزل برده

ولى تهنئة للشيخ محمد عبده بزفافه في بيروت وهى بنت ساعتها :

ماذا يحاول مثلى في قوافيه  
من مدح من حين لاحتلى مكانته  
تعنو المعانى لديه وهى صاغرة  
تأتى سواء فتسمو فوق هامهم

وان تكن جمعت كل القوى فيه  
من العلا لم أصوب رأى مدحيه  
كأنها فى البرايا من جواريه  
وتنتحيه فلا ترقى مواطيه

رب المقام الذى باتت تحف به  
 قد حازه واللىالى من موانعه  
 بفكرة ما انتضى فى الخطب صارمها  
 أذل كل جهاح للزمان بها  
 وإنما الفكر إذ صحت مبادئه  
 فهو الذى كل رأى منه منبلج  
 من يكشف الأمر خفيه كظاهرة  
 ما ان جلا عامه فى مطلب لبك  
 مجدد روح هذا الدين منعشها  
 من منه دهر كماضيه وحاليه  
 آلى على نفسه ألا يفارقها  
 فسل نجوم العلا عن شأو همته  
 لا أختشى إن أقل من ذاي ساجله  
 إذ ينتضى قاماً كالعضب يظهره  
 أو ان يقل كلما تغدو وقائلها  
 فليس تتلو الورى من قوله غرراً  
 نالت فوادی رغباه فوائده  
 ياليت مقدرتى فى وصف حكمته  
 غر الفضائل تعلية وتغليه  
 من دونه والعوادی من عواديه  
 الا تمكن قطعا من هواديه  
 ولا حسام ولا رمح يرويه  
 عن الجيوش غدا والله يغنيه  
 فى الروع عن كل فجر فى حواشيه  
 ويبلغ القصد قاصيه كدانيه  
 الا وأسفر صبحا عن دياجيه  
 من بعد ما بلغت منه تراقيه  
 مقلد جیده بالفخر حالیه  
 الا على مبدأ للدين يحيه  
 والشرق والغرب فاسأل عن مساعيه  
 من ذا يساوره من ذا يساويه  
 على حسام صقيل الحد ماضيه  
 ذا البحر يزرى وذى تزرى لآليه  
 الا ونادوا جميعا جل باريه  
 وبلغتني آمالي أماليه  
 كانت تعادل بين الناس حبيه

فكنت أشعر أهل الأرض قاطبة  
 لكنتى دون ذا مع ذاك معتمد  
 أنى امرؤ لم تكن تحصى مطامعه  
 حتى رآه فأمست دون مبلغه  
 وانه والذي سوى محمد من  
 فهو الهمام الذى فخر القلوب به  
 المسترق قلوب الخلق منطقته  
 وقد غدا طالب التأهيل عن رشد  
 آتاه ربه من النعمى موفرها  
 أراه أنجال أنجاب وأسعده  
 ومد فى عمره ذخراً لملته  
 فهو الذى فى الورى غرّان أنعمه  
 إذ بت أهيمهم من فطرتى فيه  
 على مقالة أن الفعل أنويه  
 ولم يخل فى الورى شيئاً ليكفيه  
 من كل مآثرة صرعى أمانيه  
 لم أرض عن ناظرى حتى ارانيه  
 اذا ابتدا اللب يروى عن معانيه  
 اذا أفاض فلا حر بواديه  
 وشيمة الحر تأبى غير أهليه  
 إذ يمنح الفضل ربه مستحقه  
 بخفض عيش رفيع الشأن ساميه  
 بالذود عن حرم الاسلام يقضيه  
 قد انطقتى ارتجالاً فى تهانيه

### تاريخ

بارك الله لمولانا زفا  
 جئت فيه اليوم أرخ قائلنا  
 فاقرينا للرفا والولد  
 حلت الشمس ببرج الأسد

ولى رثاء لحرم واصا باشا متصرف لبنان وهى من نظمى يوم

كنت فى الرابعة عشرة من العمر

|                                |                               |
|--------------------------------|-------------------------------|
| أتذكر نبذ الصبح فيما تحاوله    | بعذل وباكى العين جارت عواذله  |
| وتحجوا نصاب الدمع ويحك منكراً  | إذا ديجت خضر الروانى هواطله   |
| فأروذ فاقصر، عمر ك الله، واتئد | فانأى من العنقاء ما أنت آمله  |
| تحاول تجفيفاً لدمعى كعامد      | لتجفيف بحر محور الارض ساحله   |
| وإطفاء نار بالحشى مثل من أتى   | لظى سقريطنى الصلا وهو آكله    |
| أيا لأمى فى الحزن كلنى للأسى   | شجياً فقد طابت لدى مناهله     |
| ولا تتعبن أو تعتبين حيث لم أصخ | فهيها إصغائى لما أنت قائله    |
| عذلت بما قد ظلت تجهل همه       | ألا فاعذلنى بالذى أنت عاقله   |
| ولو كنت تدري ما الرزية لم تلم  | ولكنما يستصغر الأمر جاهله     |
| مصاب بدت لموت فيه شدائد        | بما لم تكن تدريه يوماً غوائله |
| به ذهب اليوم الردى كل مذهب     | كأن الردى لم يدر ماهو فاعله   |
| أزال بأفق المجد شمس فضيلة      | تميد بها من ذا الزمان جلائله  |
| عقيلة صون قد أصيب بها العلى    | على مثلها مات العلا وعقائله   |
| تعطل خسفاً جيد ذا الدهر بعدما  | تحلى بها دهرًا من الدهر عاطله |
| مضت فمضى منها الى الله ممتعاً  | بنعماء شخص لاتعد كجائله       |
| فقامت لها فى كل حى نوادب       | لحسن ثناء يفعم البر نائله     |

الا ان لبنان الاغر تخضبت  
 تمثل دك الطور في صعقاته  
 أمصرها يوم الثلاثا وقد سرى  
 تصعد فيه الناس كل شرارة  
 فيا قبرها في الحازمية فوقه  
 سقتك شآيب الرضى كل غدوة  
 أراحلة من عالم الموت للبقا  
 لك الله بالصبر الذى قد قضيته  
 تخذت الليالى النابغية مألفاً  
 وتصبر حتى أصبح الداء عندها  
 فويح الردى كيف انبرى لاختطافها  
 تخرمها لا يرهب البأس من حمى  
 فلم يتهيب للوزير بسالة  
 أقام السرايا فوق لبنان تنجلى  
 أصيب لعمر الله ليس تقيده  
 ولا غرو فيه من مصاب معظم  
 وان الذى جل الزمان بفضله  
 لقد جل أن يخشى من الدهر بأسه  
 رباه دماً مما بكته قبائله  
 دما دمه مما تميد معاقله  
 بها نعشها كالفلك والدمع حامله  
 بما فيه قد ساوت ضحاه أصائله  
 غطاء من العفو المهيمن سادله  
 وظل الحيا ينهل فوقك وابله  
 ويا حبذا من ذلك الحى راحله  
 بداء مدى السبع السنين يناضله  
 فما شأن طرف حالك الليل كاحله  
 أواخره قد سويت وأوائله  
 ولم تدم مذ مدت يداه أنامله  
 وزير وقت أسيافه وعوامله  
 تسامت ولم تغن الوزير مناصله  
 فأين السرايا للحمام تنازله  
 فتिला على درء المصاب جحافله  
 فما واثب الضرغام الا ممائله  
 لا حرى بأن هانت عليه نوازله  
 بل الدهر يخشاه فليس يعادله

وزير اذا قل الشناء فأنما  
 هنيئاً للبنان به ان ذكره  
 تولاه واصا حيث وصى أياديا  
 فدنياك طراً لا تطع باعث الاسى  
 وان الذى قد صلتته يد القضا  
 فهل فى قضاء الله تنجيك حيلة  
 وهل كل شأن مبتغيه وسائله  
 فجذلت ذا العدو ان بالسيف عنوة  
 فعطف على المكروه نفساً فانه  
 فثلك لا يعنو لا ثقال زكبة  
 ومثلك فى لبنان همته انتضت  
 نشرت لواء العدل فوق هضابه  
 فدمت عليه والياً تسعد الورى  
 شمائله بالالتفات شوامله  
 يضوع بأذكى ماتضوع خمائله  
 تواصى الشنا طول المدى وتواصله  
 فانك لا يعنك فى الخطب هائله  
 حسام غدت أمر الاله حمائله  
 اذا نصبت للاقتناص حبائله  
 يصح به فيما يروم وسائله  
 ولكن هذا الموت ليس يشا كله  
 قضاء عميم مقصداً مقاتله  
 على ان حزم الرأى اذ ذاك كاهله  
 فوائف ما كانت ترجى أو اهله  
 خفوقاً بآلاء غدت لاتزايله  
 كدامت جوداً فيه يخضر وابله

ولى بعد ذلك تهنئة بزفافه

ادر لنا راح تذكرك الحمى ادر  
 وارمق سناوته وانظر سماوته  
 ترى قباب السنا فى الافق صاعدة  
 وصف لنا اليوم مجلى سفحه النضر  
 ترى دراريها تزدان بالدرر  
 على أساطين نور ناثر الأكر

أنعم بها ليلة لبنان تاه بها  
 جاد الزمان بأهليه بطلعتها  
 كأنما كان منذ البدء حاملها  
 يزين قبتها نور وساحتها  
 حتى كأن ضياها امتد متصلا  
 مشاهد كملت أنوار زينتها  
 يكاد لبنان أن يهتز من طرب  
 عمت بذى البهجة العليا مسرته  
 تأرجت من ثنا المولى الوزير لنا  
 هو الوزير الذى ماشدت من وزر  
 أقسمت مادام منه الخير منصرفا  
 كنا نحاذر دهرأ قبل همته  
 يرتد عن مجده الوضاح منكسرا  
 بدر ينير على الأقطار قاطبة  
 مهذب تبخع الجلى لحكمته  
 مؤيد سنة العدل التى شرفت  
 طافت بكعبته الآمال واعتمرت  
 الى مكارمه الآنام واردة  
 وبات يرقل فى ثوب من الحبر  
 من بعد ظن بهافى سالف العصر  
 حتى تمخضها ذا اليوم عن كبر  
 نور فزهر بين الزهر والزهر  
 يومها وكأن الأرض لم تدر  
 ما بين منتظم منها وممتثر  
 وان عيس بما يحويه من مدر  
 جميع أهليه من باد ومحتضر  
 أرجاؤه بأريج ضائع عطر  
 منه على دهرنا الفيت من وزر  
 الى العباد فما زند الزمان وري  
 فالآن نحن وما نبقى على حذر  
 طرف عن الشمس أضحي غير منكسر  
 بحر سواه جميع الناس كالغدر  
 يرى ويمضى مضاء الصارم الذكر  
 ورافع راية الارشاد فى البشر  
 وليس الا البنان الرطب من حجر  
 تترى ولكنه ورد بلا صدر

باتت تحدث عن معنى سماحته  
 أبدى فأيد أيدى المكرمات بنا  
 أين الرزية تحتاج العباد فقد  
 له بكل مكان كل مآثرة  
 اذا أفاض على العافى مواهبه  
 وان سطا بطعان مل من يده  
 يامن لتأييد علياه وسلطته  
 بك انقضت غصة الأيام وانكشفت  
 لك الأيادى على لبنان ترسلها  
 لكم رأيت له صدعاً وكم شعث  
 سقيته الغيث من رغد ومن دعة  
 فعاد بعد ذوى عيشه نضراً  
 ما ان ترى ماس بين الناس غصن هنا  
 مالى اعدد ما واصيت من نعم  
 فمثل فضلك بحراً ليس يحصره  
 فاهناً بسعد هدأ لا تزال به  
 تزهو لنا اليوم فى تاريخه جمل

وعدل أحكامه الغراء عن عمر  
 جوداً كما كف كف الرزء والغير  
 رمى بها بين سمع الارض والبصر  
 غراء معلومة الاحبال والغرر  
 أزرى بغيث من الوطفاء منهمر  
 قرى الوشيخ وغرب الصيلم البتر  
 تدعو الرعية فى الآصال والبكر  
 صروفها بالزمان الاخضر النضر  
 سحبا على رائح فيها ومبتكر  
 لمت فيه وكم قومت من صعر  
 كذاك يسقى جديب الأرض بالمطر  
 وشب بعد وضوح الشيب فى الشعر  
 الا ولبنان أمسى خير مهتصر  
 على حماك وما شيدت من أثر  
 لسان مثلى فى ذا العى والحصر  
 مقارن العز والنعمى مدى العمر  
 فقل تجلى قران الشمس والقمر

ولى للمرحوم حسن افندى بيهم من أعيان بيروت  
تهنئة بزفافه وهى أيضاً من أوائل شعرى

إليك التهانى تستحث وفودها      وفيك القوافى يستمال شرودها  
وتسلكنا فيها معانيك هينة      اذا استصبحت أقبالها ونجودها  
ومنها

تعاتب عزمى فيك كل خليفة      عليها سرايل العلى وبرودها  
كانى قرضت الشعر قبل زمانه      ليوجب فى يوم على نشيدها  
وكنت اذا ما اعتمدت صمتى عن الشنا      اكلف نفسى خطة ماتريدها  
فان كنت للحسنى عميداً وصاحباً      فانى مديحاً صبها وعميدها  
وان صيغ عقد المدح فيك فطالما      تحلت بك العلياء وازدان جيدها  
كأنك من ماء الشهامة منهل      تظل العلى حرى اليه كبودها  
لقد شملت منك الجميع بلطفها      شمائل يزرى بالشمول ورودها  
وقد فزت حظاً بالمعلى من العلى      فتقدح نازاً فى يديك صلودها  
حصلت على شمع المعالى فلم يزل      بأفق العنان البدر وهو حسودها  
صبوت اليها وهى نحوك قد صبت      فلاغرو ان تفتن بحسبك غيدها  
غلبت القوافى كلها وسبققتها      وان يزر بالدر النضيد نضيدها  
بهمة مقدم العزيمة لا ترى      عياء ولا وقع الصعاب يؤودها  
وأخلاق ميمون النقية ماينى      يصوب بها غيث الشنا ويجودها

فتى لو أعار الشمس ضوء جبينه  
ولو لا بس الظماء نور جناحه  
ولو مزج الله الحياة بلطفه  
نشا كلفاً بالمكرمات فلم تزل  
الى الغاية القصوى منازع همه  
تولى ذات الاروعية نفسه  
يهتك أستار المغالِق حزمه  
اذا اعترضت دهم عوا بس فى الورى  
على ملتقى سبل المعانى تخاله  
أملت له كل القلوب من الورى  
لقد ألف الافضال وهو ريبه  
ولاقت به زهر السعد وجدوده  
رعى الله من رعى المودة والولا  
أيا حسناً لم يبق حسناً لغيره  
وياخولا لا تاركاً طارف العلى  
عشقنا معانك الحسان وانها  
تضاحك ثغرا لاقحوان ثغورها  
تباهت بك الأقلام انك ربها

لما ساغ تحت الدجن يوماً ربودها  
لما احتيج من نور الصباح وقودها  
لما احتملت سقم الجسوم جلودها  
له نفحات ليس يحجد جودها  
فأقرب هاتيك المغازى بعيدها  
على عقبات لا يرام كؤودها  
لدى معضلات لا ينادى وليدها  
فمنه لهم مهديها ورشيدها  
فببتدر من كل صوب يصيدها  
مكارم تترى فى القلوب قيودها  
وهل تألف الاغيال الاسودها  
كما تتلاقى فى البروج سعودها  
بباصرة ما يطيبها هجودها  
برفعة شأن لم يزل يستزيدها  
اذا كان أولاك الغناء تليدها  
وحقك عين لا يطاق صدودها  
وتفضح والله الشقيق خدودها  
وانك مطبوع المعانى مجيدها

ومنها

|                                   |                              |
|-----------------------------------|------------------------------|
| فخذها من الشعر العراقي عادة       | تناهت الى ماء السماء جدودها  |
| على غير عهد بالثناء ولم يكن       | حداها الى ناديك الا عهودها   |
| وقد أنقذتها نحو مدحك همّة         | تجاذبها إقدامها وقعودها      |
| أخا الحسن فاهناً بالزفاف الذي زها | ودامت لك الدنيا وأنت سعيدها  |
| ودم بهنا هذا القران ممتعاً        | قرينك من هذى الحياة رغيدها   |
| بقيت بقاء الدهر فخراً لأهله       | وخُدت لو نفس يرجى خلودها     |
| ولا زلت بدر الشرق ماذرّاً شارق    | وما طلعة الا صباح لاح عمودها |

ولى ثناء على جمال بك نجل رامز بك قاضى بيروت لذلك  
العهد وكان من أفذاذ القضاة فى العدل والنزاهة

|                                    |                              |
|------------------------------------|------------------------------|
| ليس من يملأ العيون جمالا           | غير من يملأ القلوب كمالا     |
| وأخو العشق ذو الهيام الذى قد       | تخذ الليث فى هواه الغزالا    |
| يا جمالا عشقت منه خصالا            | لست أرجو لغيرهن وصالا        |
| زادك الله رفعةً ويقينى             | بكمال اذا رأيت الهلالا       |
| جمعت فيك يا جمال معان              | يتمنى المديح منها المحالا    |
| أو ما فيك ذلك العزم ما وجّهه يوماً | الا استخف الجبالا            |
| يسبق القول منك فعل اذا ما          | يسبق القول فى الأنام الفعالا |

يا ابن من قصر الأمثال طرا      ان يرونا لذاته أمثالا  
نجل قطب الزمان عدلا على الا      طلاق لم يُبدِ نَدَّهُ الدهر حالا  
لست أبغى وصفا لما أنت فيه      أنا ما ان أطيق هذا المجالا  
لا ولا شكر ما محضت من الو      د صديقا تراه باسمك آلى  
مكرمات ورقة وذكاء      ذى المعالى فليعلون من تعالى  
وزمان يظل ينشد عنها      هكذا هكذا والا فلا

وكتبت الى صديقي ايوب افندى عون مدير مدرسة

الكاثوليك فى حلب الشهباء

حتام تجذبني القدود وأجنحُ      ويصدني عنها الصدود وأجمحُ  
ويهيئني سوق الحسان وأدمعني      أبداً على سفح المعاهد تسفح  
غاضت دموعي بعد فيض شؤونها      وعهدت عين الدمع ليست تنزح  
وبقيت فيما بين لذع صباية      يكوى وبرح دائم لا يبرح  
أحيى الليالى آملا أن تنجلي      صبحا وليس بأمثلٍ ماتصبح  
ان كان يوحشنى الظلام لذى النوى      فالهجر فى يومى لعينى أوضح  
ولقد أتوق الى الكرى فلربما      طيف الحبيب بزورقٍ قد يسمح  
فلئن يكن ذاك الغزال محرما      وصلى فحسبى فى الكرى مايسنح  
ياليلة بالجزع تجزعنى بها      نوحا وراقى الايك مما تصدح

باتت تذكرني ليالى بينها  
ما بين هاتيك الظباء سوانحا  
باتت تتيه بها العقول اذا بدت  
من كل مياس أغن اذا انبرى  
يلهو ويجرح في النهار وانما  
يامن يعذبني ويحسب أنني  
يسطو على ولا يرق فعنده  
دهتني في ذا الغرام فما أنا  
فالي م تهجرني وقد كاذ الصبا  
ما كنت أيوب الصبور وان يكن  
ذاك السمي الباهر الشيم التي  
المشبع العقل الذي أخلاقه  
الواسع الفضل الذي لثنائه  
الناصح الجيب الذي آثاره  
يثني عليه بالوفاء وانما  
حر تفتح للوداد فؤاده  
فهو الذي ان ضاق في الخلق الولا  
واذا تزحزح ركبه عن أرضنا  
كنا وكان المنحنى والأبطح  
تمشي بحبات القلوب وتمرح  
تيها كبانات النقا تترنح  
فالعقل يعقل والنواظر تطمح  
قد ظل يجرح مهجتي إذ يجرح  
لعذابه طول الزمان مرشح  
قلب ولكن بالحديد مصفح  
قيس ولكن بالفراق ملوح  
يدوى ورطب غصونه يتصوح  
بالصبر معنى اسمى بفارس يشرح  
أخلاقه بالأروعية تطفح  
غر الوجوه حسية لا ترجح  
في كل خلق من علاه مفتح  
عن حسن ما يطوى عليه تصرح  
تمديحه بوفائه لا يمدح  
وكلامه عند الثنا يتفتح  
فقؤاده بالود معنى أفيح  
فهو الذي في العهد لا يتزحزح

|                            |                              |
|----------------------------|------------------------------|
| لاغرو ان شط المزار فانه    | قلم اللبيب بكل مسك ينفع      |
| سمح القريحة في رهان قريضه  | يجرى كما يجرى الجواد الأقرح  |
| تلقاه يرعف في الطروس يراعه | كالسيل في بطن الجوا يتبطح    |
| ويخوض في لجج الفنون ويجتني | دررا بها صدر الزمان موشح     |
| تزهو جنان العلم بين سطوره  | اذ كل ما فيها لعين مسرح      |
| غرر تترجم عن علو مقامه     | ولعلها من كل مدح أفصح        |
| يا صاحباً سمح الزمان يبعده | وبيعده وجه الزمان مكح        |
| لا بدع ان تبعد وأنت عزيزه  | فالدهر يبعد في الوري ما يمنح |
| أثويت في الشهباء أفسح منزل | لكن محلك في فؤادي أفسح       |

وقلت في رثاء لأحد الأعزة وهي من أوائل نظمي

|                          |                          |
|--------------------------|--------------------------|
| هي الأحكام يصدرها القضاء | فليس لمبرم الا المضاء    |
| ولا ينبو حسام الموت مهما | أتيح له على الخلق انتضاء |
| لقد عم الردى كل البرايا  | ومات الناس حتى الأنبياء  |
| وأصبحنا رعايا للمنايا    | علينا من ولايتها لواء    |
| ألسنا الخلق غايتنا زوال  | وعنصر خلقنا طين وماء     |
| وسفر مراحل وذوى حياة     | لها بالويل ختم وابتداء   |
| نهل إلى البكاء متى ولدنا | ويصبحنا الى الرمس البكاء |

ولا نرجو بذى الدنيا بقاء  
حياة كانسياب الطيف مرّاً  
إذا كانت نهايتها خفوتاً  
يغير المرء منها ورد عز  
موارد علقم تبدو عذاباً  
يدير الدهر فينا كلّ كأس  
ويرهقنا من الارزا يبطش  
يغزق في البرية كل شمل  
ويهدم للمعالى كل ركن  
كذا قضت الليالى من بنينا  
العمر ك في البرية أى أم  
فواعجياً لضاهدة لديها  
لقد آلت رعاها الله قدماً  
تفجعنا بكل فقيد فضل  
لقد كانت تتيه به المعالى  
رويدك أيها المنعى نعيّا  
ويامترحلا مهلا لعمرى  
ورد حمامك الآسون لكن

ألا ان البقا منا براء  
بدنيا للفناء هي الفناء  
فأطولها وأقصرها سواء  
يخال به السعادة وهو داء  
كذا الدنيا وما فيها رياء  
لنا من صرف خمرتها انتشاء  
تقصر دونه الأسل الظماء  
فيصبح مثاماً نثر الهباء  
فيشملة بأيديه العفاء  
بأن لا يستتب لهم هناء  
على أولادها منها اعتداء  
أواصر ما بهن لها اعتناء  
يمينا أن تسر بما نساء  
عليه يلطم الوجه العلاء  
وكان عليه من شرف رداء  
به تنعى المكارم والرجاء  
فذاك الناس لو صح الفداء  
دوى الموت ليس له دواء

تناديك الفضائل وهي تبكى  
وكم جفت عليك شؤون دمع  
ألا من مبلغ الافضال غنى  
فان يجزع فليس عليه لوم  
وان يصبر فذاك على فقيد  
أغر أبر سمح الخلق كانت  
عليه مدت التقوى وشاحا  
اذا أم العفاة ندى يديه  
حوى غرر الخلال وكل حر  
فتبكيه المفاخر والمعالي  
وظل ثناؤه فى القوم طرا  
فان يك فارق الدنيا مجدا  
لينعم باللقا أبدا وفيها  
فيا أنجاله الانجاب مهلا  
ولست أزيدكم حبا بصبر  
ولا راع البلاء لكم قلوبا  
ولا يبكى على من فات دنيا  
فيا صوب الحيا باكر ثراه

ولكن ليس ينفعها النداء  
بمعين لم تجف لها دماء  
توفى نديه وله البقاء  
كذا تبغى الصداقة والولاء  
بنشر حياته كفل الثناء  
تصرفه الساحة ما تشاء  
وشد به مناطقه الصفاء  
فكم يعرفو الحيا منه الحياء  
له بسنى شيمته اقتداء  
وتندبه الطلاقة والسخاء  
يضوع ولا كما ضاع الكباء  
فأثوته مراقبها السماء  
يكون به احتفال واحتفاء  
عزاءكم وان عز العزاء  
جميل برد لابس بهاء  
ولكن فى البلاء لكم بلاء  
ليخلد فى النعيم له ثواء  
فمنه طالما سح العطاء

وزر جدثا بقرب البحر تعثر      على بحرين بينهما اللقاء  
هنالك غيب الأقوام شهما      وغُيبت المروءة والوفاء  
وياذاك الفقيد اذهب فحاشا      مقامك أن يقوم به الرثاء  
عليك سلام ربك ماتوا إلى      صباح منذ يومك أو مساء  
ومن كان الصلاح له ابتداء      فبالاجر الجزيل له انتهاء

---

وكتبت محبياً صديقي الطيب الذكر أيوب افندى عون

مالذات الوشاح جاءت تبختر      والضواحي بردنها تتعطر  
تقتل الصب بالرنو فيردى      وتلافيه بالدنو فينشر  
غادة في خدودها جنة للـعين ، والشعر للمرأشف كوثر  
تخجل البدر طلعة حين تبدو      تفضح البرق مبسما حين تقتر  
جردت من قوامها كل رمح      وانتضت من لحاظها كل ابتـر  
كلما اسامت لحديه روح      صاح يامسامون الله أكبر  
ما اثنت أو رنت لعمرى الا      حاربنا بأبيض بعد أسمر  
دمية بيعة النفوس أحلت      مارآها الحنيف الا تنصر  
تتجلى عن جبهة وضحاها      فلماذا منها سنا الشمس اسفر  
ذات وجه اذا تلاها منير      ذات ثغر عن مثله صل وانحر  
وصلت بعد هجرة فأقامت      من هوانا كمقلة من محجر

آنستنا حتى اذا ما ائتلفنا  
انما الحب مثما قيل قتل  
مالنا نعشق الحسان وندرى  
ويح قلبي يهيم في كل واد  
تستبيه بكل ألعس أحوى  
ومنها

مالك للقلوب في دولة الحب  
هو كسرى الملوك لحظا ولكن  
لا أزال الاله دولته الغر  
ان في ظلها رعايا معان  
جالد الشجر كل قلب الى ان  
ورمى الوجد كل صدر بنار  
ان سهم العيون ينفذ في الصد  
موطن عنده يهي كل عزم  
ينفذ الصبر فيه من جعبة الصد  
يا عجيب الذكاء يا نادر المش  
أنت والله من كنوز الليالى  
كيف نحكى علاك يا كامل الع

فتكت فتكة الرشيد بجعفر  
وارد الحب ماله من مصدر  
ان حمر الحدود موت احمر  
وهو يسعى ورا الظباء النفر  
أفلج تحت كل ادعج احور  
غدا داعيا له كل منبر  
فعله باصرى الهوى فعل قيصر  
ا، وان كان قد طغى وتجبر  
نصرتها في الفتك نصراً مؤزر  
فتقت ريح ذا الجلال بعنبر  
وغزا الحب كل نفس بعسكر  
ر ولو ألبس الحديد المعصفر  
ويولى قذاله كل مسعر  
ر لعمرى حاشاك بل أنت اصبر  
الذى ظل للعجائب مظهر  
أبرزتك الأقدار كلك جوهر  
دة اذ نحن في مجالك حسر

يطرب الشعر منك أحسن ما يطرب صوت الخلخال في ساق اعفر<sup>(١)</sup>

يا لك الله من أديب اذا ما  
بينه في الذكا وبين سواه  
جاءني منك يا خليلي كتاب  
طالما اشتاقه فؤادي حتى  
ما كفي يا فريدة العقد حتى  
ما ترى في فتاة خدر سبتي  
بطراز من الفصاحة أرى  
أنت يا معدن الآلى الغوالى  
جئت تثنى على ياني وفضلى  
قد كفتني منك الشهادة في إث  
وبعون الاله يا صادق الأف  
قل لمن رام ستر فضلى بغضاً  
ان لى كل طعنة فى مجال  
لى من الحزم جنة ودلاص  
وبكفى من المضاء حسام  
لا ترى من يريد بى السوء الا

عدّ يوماً فغيره ليس يذكر  
فرق ما بين أميل ومكفر  
لا تسلكم سرى كروبي وكم سر  
ضاع منه فتيق مسك أذفر  
أصبح اليوم أكتب القوم أشعر  
بمعان بها المدارك تخدر  
صنع صنعاء وهو وشى محبر  
مثل ذا الدر منك لا يستكثر  
ذاك تالله أنت أذكى وأمهر  
بات من قال بالخلاف وأنكر  
عال قد رد شائئى وهو أبت  
لم تكن شمس ضحوة لتستر  
عفرت عارض العزيز الأصعر  
ومن العزم لأمة وسنور  
وعلى هامتي من العز مغفر  
واقعاً تحت ظفر ليث مظفر

(١) اشارة الى قول صالح التميمي العراقي : « كما يطرب الخلخال فى ساق اعفرا »

منذرى يفي النذور اذا از  
 قيل في اسمي ليث صبور لعمرى  
 لست ممن يقول شيئاً فرياً  
 ولكم كنت للضعيف معيناً  
 ان يكونوا بي استجاروا فنى  
 يا صديقاً نأى على متن شهباً  
 ان أرم ترك ذكره فهو أشهى  
 ولعمرى من كان بالسعى أجدى  
 ان شوقى اليك جمٌّ ولكن  
 أين كتب الأصحاب تطلع تترى  
 هل نسيت العهود هيهات ما كا  
 يارعى الله عيشنا سابقاً والد  
 تلك أيامنا تقضت سريعاً  
 كم رشفنا كأس السرور دهاقاً  
 جمع الله لى بكم عن قريب  
 نذر يوم اللقا أطاح وأنذر  
 لا يكون الصبور الا غضنفر  
 أنت فى كنه حال خلك أبصر  
 وكما قلت لى مجيراً لمعشر  
 يستظلون تحت لبدة قسور  
 ء سبوح من الجياد الضمر  
 أو أرم ذكر فضله فهو أشهر  
 فهو بالذكر والمدائح أجدر  
 جمٌ عتبى عليك أوفى وأغزر  
 مثما يحتسى السلاف المكرر  
 نت عهود ما بيننا العمر تحفر  
 هر ولى بذيله يتعثر  
 كخيال المنام ليلاً اذا مر  
 وهصرنا غصن الصبابة أخضر  
 خير شمل بجاه طه الأزهر

واقترح على الرثاء الآتى لأحد الأعيان الفقهاء

أعامت من فجعت به تلك العلى      وسألت أى رجالها صدع البلا

حتى اكتست ثوب السواد لفقده  
وعرفت من لبنان أي شيوخه  
من كان أسبق قومه فضلاً ومن  
من كان نبيل القصد في أعماله  
من كان أمضى همه من صارم  
من كان في عزماته في جحفل  
من كان في حزم النهي في حزمة  
سبق الرجال إلى المآثر فاعتلى  
وقضى زماناً بالسداد ورأيه  
وقضى حقوق المجد إذ لم يعتزل  
حتى قضى والموت فينا سنة  
جار القضاء على القضاء بموته  
فهو الذي أحى رسوم الشرع في  
وهو الذي في ماضى غرس المنى  
عمت فواضله البلاد كأنما  
رن الزمان بذكره، وبفضله  
هو راجح العقل الذي من عقله  
رب البيان البين اللسن الذي  
وتناوحت بالندب نوحاً ثكلاً  
غال الردى حتى أميل وزلزلاً  
قد كان صدر ذوى المآثر محفلاً  
شرعاً وكان القصد فيه منهل  
في كف مختلط وأفتك مقتلاً  
أمسى يفل من الحديد الجحفل  
تررى مطاعنها الرماح الذبلاً  
شرفاً وبرز مجده فتأثلاً  
في الفقه لا يرتد إلا فيصلاً  
الا وقد بلغ السماك الأعزلاً  
وسيوف مدرجه رواتع في الطلا  
لو لم يكن بين الخلائق منزلاً  
لبنان تنسف سوحه أيدي البلا  
فجناه أهل زمانه مستقبلاً  
قد كانت منها بالفلاح موكل  
حفلت مغاني العلم وامتلاً الملا  
وثباته بنت الحصافة معقلاً  
قد كان أذلق من سنان مقولاً

ربح الذراع اذا الجدال تدافعت  
 ما كان يقصر في السماح تفضلا  
 يا قاضيا بات القضا من بعده  
 من عاش دهرًا لا يشق غباره  
 وليت عن دار الفناء الى البقا  
 والناس ركب سائرون بجميع  
 يسعون للآخرى وتلك حقيقة  
 والمرء رهن كوارث ما تنقضي  
 والنفس تملأ جسمه فاذا مضت  
 لا تخدع الدنيا اللبيب فكلنا  
 فاذهب عليك من الاله تحية  
 تُحدى السحائب في السما حتى اذا  
 أفواجه ترك الخصيم مجدًا  
 يمتاح منه ولا يرد مؤملاً  
 يبكى وجيد المكرمات معطلا  
 فضلا وكان بناره لا يصطلى  
 فوليت في الدارين وضاح الولا  
 للموت يتبع الأخير الأولا  
 مذ كونت هذى مجازاً مُرسلا  
 تلقى عليه كل يوم كل كلا  
 وجدت مضيق لهاته متسها  
 بتنا على حكم المنية نزلاً  
 تجنى بها ثمر النعيم معللا  
 بلغت ثرى مشواكسحت هطلاً

وقلت أرثي العلامة الشيخ الامام محي الدين اليافي الشهير  
 تغمده الله برضوانه

أحقا علينا الدهر دارت دوائره  
 فشد على الاسلام ذا اليوم ريبة  
 الا انه الدهر المصرح باسمه  
 اما انه للدين صارت مصائره  
 بخطب وكانت لا تعد كبائره  
 بأن لا فتى الا غدا وهو داهره

بواتره فينا مجردة وما  
 لها كل يوم في البرية فتكة  
 فكم ملك ضخم تخطفه الردى  
 تخرم كسرى كاسراً حديطه  
 وما زال يُفنى كل عز يؤمّه  
 هو الموت من ذا دافع مبرم القضا  
 فسبحان من تعنو الوجوه لوجهه  
 دعا اليوم محي الدين نحو جنابه  
 سرى نعيه في كل حى فى الورى  
 وباتت شؤون الدين تجرى شؤونها  
 وكل امرئ يبكى عليه دماً فما  
 لعمر كمال للشرق ذا اليوم اقتمت  
 وللدين وجد ليس تطفأ ناره  
 أصاب بنى الاسلام خطب عرم  
 لقد كان فيه الشيخ ركناً مشيداً  
 فطبق آفاق البرية ذكره  
 إمام بأفواه الجميع علومه  
 مبارك خلق طيب الذكر عابد  
 بواتره والله الا بواتره  
 تناديك لامنجة مما تحاذره  
 قساوره من حوله وأساوره  
 وقصر أردى ما وقته مقاصره  
 ببأس ويلقى كل قرن يساوره  
 اذا الواحد القهار وافت أوامره  
 ولا حى الا وهو بالموت قاهره  
 يقربه من قدسه ويجاوره  
 تعازيه لكن فى الجنان بشائره  
 على فقدته والفقته تدمى محاجره  
 عواذله فى الحزن الا عواذره  
 مشاركته واليوم أظلم ناظره  
 وللشرع طرف ليس يقلع ماطره  
 بذا اليوم فالاسلام تبكى منابره  
 وكانت طلاع الخافقين مآثره  
 وسار به بادي الزمان وحاضره  
 وبحر بأعناق الجميع جواهره  
 مذهب طبع مشرق الوجه سافره

بقية ذاك السالف الصالح الذي  
قد ارتفعت أسرارہ وتطهرت  
وأصبح في أيامه علم الهدى  
تداعت بيوت العلم يوم وفاته  
وراح عليه الفقه يلطم وجهه  
ولم أدر أن الصبر تقنى دروعه  
فقد فرغت من كل باك دموعه  
ترحل عن دار الفناء الى التي  
فقد ذك طود باذخ المجد شامخ  
وأغمد سيف صارم الحد باثر  
سلام على قبر تضمن تربيته  
سقت تربيته الوطفا ولا برح الحيا  
وما الموت الا مسلك عم نهجه  
وما المرء الا ميت وابن ميت

بأمثاله الأقطاب جلت ذخائره  
له سير غري حكتها سرائره  
تعم البرايا بالضياء منائره  
وخر عماد الفضل وانهد عامره  
اذ انتكشت مما دهاه مرائره  
الى أن قضى والعزم تفرى مغافره  
كما نرفت من كل راث محابره  
بها عيشه في الخلد تجرى كوائره  
وغُيِّضَ بحر زاعب الفيض زائره  
وغُيِّبَ بدر ثاقب النور باهره  
فذلك لحد ساطع العرف عاطره  
يراوحه في رجعه ويباكره  
وجسر جميع الخلق لا بد عابره  
ومن بدؤه الميلاد فالموت آخره

### وكتبت الى أحد الادباء

ما بين غزلان العقيق وبانه  
حرب تضرم بالحضيض سعيها

حرب بها بطل الهوى كجبانه  
وعجاجها بالجزع فوق رعانها

ومنها

عبثت بعشاق العقيق وأوغلت  
لم يرهبوا بأساً لقاء أسوده  
يا زائراً تلك الربوع وسائراً  
ان تنزلن سفح العقيق فاشرفن  
وتأملن صنع الهوى بفريقه  
سبحان من خلق الفؤاد وطامه  
وأعز سلطان الهوى حتى غدت  
رقاً كمارق القريض لمن غدا  
الشاعر المتفنن النذب الذي

ومنها

هذا أبو الفضل الذي لا بد أن  
وافى وما انصاح النهار بليله  
يلهو بأنواع الفنون ويحتسى  
وله الرقائق في الكلام يجيدها  
قد أبرزته قريحة سيالة  
ياسامعاً عنه البدائع معجبا  
ان سرت في الوطن العزيز فاشملن  
في معلم كالروض في حسناته

فدماؤهم تُربى على غدرانه  
فأبادهم حتفاً لقا غزلانه  
بعراصها الفيحاء في ركبانه  
واسفح عقيق الدمع مع عقيانه  
فاذا رضيت فبعد ذلك عانه  
أبدأ على حب الحمى وحسانه  
أسمى ملوك الارض من عبدانه  
بالألمعية مالكا لعنانه  
يروى حديث النظم عن حسانه

يمسى بيقعتنا بديع زمانه  
زمناً فحل الصدر من ايوانه  
من عصر من سلفوا سلافة حانه  
نظماً يسلى المرء عن أشجانه  
تزرى بصوب المزن في تهتانه  
مهلاً فليس سماعه كعيانه  
وانزل بذاك السفح من لبنانه  
تجنى ثمار الخير من أفنانه

فانزل على سعة برحب فناءه وانظر ما أثر من عجبت لشانه

وقلت أرثي الطيب الذكر العزيز سليم افندى البستاني

صاحب جريدة اللجنة ومجلة الجنان وكانت وفاته

سنة ١٨٨٥ وكنت ابن ١٥ سنة

الدهر أفتك فارس بطراده أبداً وأكثر فتكه بجياده  
يخنى فان قصد الفتى لم ينتفع بمضاء صارمه وطول نجاده  
ومنها

يسطو على المرء المنى بعد العنا يرث الفناء وقد يرى من لم يرث  
لا يشفعن بالمرء غرض شبابه البين يخترم الجميع وليتما  
بين كفى الدنيا نعاب غرابه يردى الحبيب وخله متقلب  
متعرضا بالنائبات الغبر في يا أيها البين المفرق بيننا  
الدهر أنزق شيمة من أن يرى قسراً فماذا النفع من ايجاده  
شيئاً سوى ذا الموت عن أجداه عند الحمام ولا ذكاء فؤاده  
قد كان كل البين بين سعادته وبه كفى متشأماً بسواده  
في مضجع أهناه شوك قتاده إصداره أبداً وفي ايراده  
إذ فيه معنى الدهر في استبداده بالحزم ذا بقي على أفراده

ما زال يفجعنا بهم حتى غدا  
 فلبئس عيش بات مخترماً به  
 ولبئس افضال ومجد بعده  
 من هز هذا القطر فاجع فقدمه  
 وسطاً على الصبر التفجع بالغاً  
 وتوفيت آمالنا من بعده  
 الأروع الشهم الذي بعلمه  
 الطائر الصيت الرفيع مقامه  
 من كان باباً للرجاء مبلغاً  
 وقف الحياة لخدمة العلم الذي  
 ففضى بُعيد آييه<sup>(١)</sup> في أجل أبي  
 أسفاً عليه وكان ركنًا للعلی  
 أيام باهر مجده يذر السهى  
 أيام لاتلقاه الا جاهداً  
 أيام ان صعد المنابر خاطباً  
 ياراحلا عنا رويدك انما  
 مهلا لتبصر حال من غادرتهم

شرف الفتى بين الورى بمعاده  
 مثل السليم رزيئة لبلاده  
 ولبنست الأيام بعد بعاده  
 حتى تقطر فيه قلب جماده  
 سيل الاسى الطامى ذرى أطواده  
 ما الدهر يحییها الى آباده  
 وجدائه كالبهر فى ازباده  
 والباهر الحسنات فى اسعاده  
 فى الخطب من يرجوه شأومراده  
 قد كان حقاً باسطاً لمهاده  
 الا اتصال حداده بمحداده  
 وقوامها بطريفه وتلاده  
 وكواكب الافلاك من حساده  
 ومجاهداً فى العلم حق جهاده  
 تهتز من عجب ذرى أعواده  
 من سار لم يندم على ارواده  
 وترى قضاء الله بين عباده

(١) أبوه العلامة بطرس البستاني صاحب محيط المحيط ودائرة المعارف

من كل من تخذ السهاد سميره  
من كل من نظم المراثي جاءلا  
غادرت ذكرك في الوري لانا فدا  
فاذهب الى مولاي امن قد قضى  
واقام نواحا على تعداده  
من ذوب عينيه سواد مداده  
بل تنتهي الأيام قبل تفاده  
والشكر للرحمن أكثر زاده

وقلت مجاوبا أحد الادباء

أخف ما نال مني الطرف ما أرقا  
ونزر ما كادني ذا الدهر جورنوى  
طمعت بالوصل مشتاقا فها طلنى  
ما ان دنت من فؤادى منية قصدت  
كأنما حلف الدهر الخوون بان  
ورابى صرفه فيما يعنتنى  
لله أى نسيم ليس يُذكرنى  
يميل قلبى وقد لجت نوازعه  
يا غائبا مخلصا لى فى مودته  
فدر درك من خل سما خلقا  
تفدى القلائد آثارا له سبقت  
لاغرو إن أرها من قبل صاحبها  
وخير ما سر منى القلب ما خفقا  
أصابنى بسهام تخرق الدرقا  
وجد ركب التنائى بى فما رفقنا  
الا وسد لها من دونى الطرقا  
يحول بين فؤادى والذى علقا  
ان كيف خلف لى من بعده رمقا  
وأى ساجعة لم تجدى قلعا  
ماميلىت نسيمات الفجر غصن نقا  
ولست أعرف منه غير ما نطقا  
لأنت أفضل من فى وده صدقا  
الى والفضل لا يخفى لمن سبقا  
انى أرى الصبح لكن قبله الشفقا

لله من صاحب صغرى محامده  
 مهذب ان بدا منه الثناء ففي  
 أهدي الى قريضا من طرائفه  
 كالبدر متسقا والدر منتسقا  
 شعر لكل اختراع جاء مفتتحا  
 سحر لقد لعبت بالقوم فتنته  
 جازيك من شاعر ان تستجده الى  
 اذا انبرى في مضامير البيان غدت  
 يرق في النظم حتى يسترق به  
 ليك يا خطبا منى الوداد ترى  
 قد طالما سمعت اذنى وما نظرت  
 فان عرفت فاني ناظر ثمراً  
 يا قاتل الله حظى والفراق هما  
 فهل ارجى من الدنيا الصلاح ولم  
 لكن على المرء عرك الدهر طاقته  
 حب السلامة يثنى عزم صاحبه

مودة محضت لاتعرف الملقا  
 شريف أخلاقه روض الشنا عبقا  
 يوما فقلد منى الصدر والعنقا  
 والصبح منبثقا والغيث مندققا  
 من بعد ما كان هذا الباب منغلقا  
 بلا طلاس تخفى سره ورقى  
 نظم مضى فيه مثل السهم اذ مرقا  
 جياده فى المعانى تركض الرهقى  
 ويسترق اذا ماجاء مسترقا  
 منى فتى مادرى نكثا وما مذا  
 بواصرى فليفاخر مسمى الحدقا  
 لكننى لم أصب عوداً ولا ورقا  
 على مناصبتى دهرأ قد اتفقا  
 تزل وفيها غراب البين قد نعقا  
 ولو تحمل ذو الهمت كل شقا  
 فان جنحت اليه فاتخذ نفقا<sup>(١)</sup>

(١) هذا بيت مضمن مأخوذ من شطري بيتين للطغرائى :

حب السلامة يثنى عزم صاحبه  
 عن المعالى ويغرى المرء بالكسل  
 فان جنحت اليه فاتخذ نفقا  
 فى الارض أو ساهما فى الجوفاعتزل

وقلت وأنا في المدرسة وهي من أوائل نظمي في العلامة الطيب  
الذكر المطران يوسف الدبس مؤسس مدرسة الحكمة

التي درست بها

|                           |                        |
|---------------------------|------------------------|
| أبدر بدا أم سنا باهر      | وعطر سري أم ثنى عاطر   |
| أم انبلجت غرة العيد حتى   | تراهي بها وجهه السافر  |
| وفتق فيه نوافج مدح        | أريج العطايا به ذافر   |
| فأنعم به عيد يمن جلا      | هموم الوري بشره الظاهر |
| وأنسام اليوم نعماء ما     | يعنته أمسه الدابر      |
| فلا اخلق في دهرهم ضاجرون  | ولا الدهر في خلقه جائر |
| فهل غفل الدهر في العيد أم | تغافل عن انه داهر      |
| مآثر طابت بهن النفوس      | جميعا وقر بها الناظر   |
| تبدد جيش الهموم بها       | لدى كسرة مالها جابر    |
| أغار عليه سرور الوري      | وسعد السعود له ناصر    |
| وليس سوى هزة عامل         | وليس سوى بهجة باثر     |
| وليس سوى نعمة سابح        | وليس سوى منة ضامر      |
| فأين النكال الا كول الذي  | توعدنا الزمن الفاجر    |
| اذا كان يأتي على سالف     | بلاه ويسطو له غابر     |
| فقد صار يأتي عليه الذي    | جناه ويعنو له حاضر     |

لا والمعالي وييض العوالى  
 فلسنا ولسنا بمن يحذرون  
 وانا وانا لقوم اذا  
 تباهى الملاكل يوم بما  
 عوارف بحر لها نائل  
 فضائل بر لها ماح  
 تظل البرايا تنوّل من  
 منائح غبطة المعتقى  
 فليس لافضاله جاحد  
 مديد النهى قوله كامل  
 حقيق بتمديح كل الورى  
 فكم بت انضى له خاطرى  
 وما زلت عن وصفه عاجزاً  
 الا دمت بالخير مستمسكا  
 سعيد الجود جديد السعود  
 لئن ناصب الحادث القاهر  
 اذا الذّم من حادث حاذر  
 فخرنا فما فى الورى فاخر  
 حباه بنا السيد الطاهر  
 معارف عِض لها آثر  
 فواضل حر لها شاكر  
 نداه الذى ماله آخر  
 مدائح المثل السائر  
 وليس بنعمائه كافر  
 طويل اللهى طوله وافر  
 على ان كل ثنا قاصر  
 فما ظل أن خاتنى الخاطر  
 على أننى المدره الشاعر  
 ينار بك الوطن العاصر  
 يغار لك الفرقد الزاهر

وقلت فيه وأنا في المدرسة

لمن يامى هاتيك القبابُ  
اشيم خلالها يامى برقاً  
قباب تسطع الأنوار فيها  
قد استنكبتها فنشيت عرفاً  
تقوم علا على سمر العوالى  
وترمى للمطل على حماها  
غدت لظبائها وظي ذويها  
لعمري نعم حى أليك حيا  
وأبناء لامك من نزار  
كما تسبق الأرواح شداً  
لهم غرر مواطن . صادقات  
يخوض فتاهم الغمرات حرباً  
ويرجع بالغنيمة بعد صدق  
يطول وليس يجهضه خطار  
يذوق عذاب بدء الأمر لكن  
تقابلت الامور فكل مر  
ولولا المر لم تشعر بعذب  
على جبل تضل به الشعابُ  
فهل جادت بطلعتها الرباب  
ويسطع في جوانبها الملاب  
يضوع كلما مرت كعاب  
ويحرسها من البيض القباب  
سهما فوق ماحوت الجعاب  
قلوب القوم تخضع والرقاب  
كما وصفت بمنعتها العقاب  
كأسد البر أحذرهن غاب  
سوايح تحتها الخيل العرباب  
وغارات تميد بها الرحاب  
ونيران القتال لها التهاب  
وليس غنيمة البطل الأياب  
فينكا أو يغيبه الغياب  
عواقبه لمورده عذاب  
يعاقبه اللاذن المستطاب  
ولولا العذب لم يشعرك صاب

وكل صعوبة فلها سهول  
أما لو لم يكن طرفا تقيض  
وأفضل ذى شروع من تراه  
ومن طلب الصواب ولم يقابل  
ومن عدم الصواب وقد نحاه  
ومن خاض العباب بقصد ربح  
ومن حسب الحياة مدى طويلا  
إذا ولى شباب المرء يوما  
ألا ليت الشباب يعود يوما  
فلا يشغل فؤادك في شباب  
ولا يقعدك عن عمل فراغ  
فان السيف طبع الهند يصدأ  
وان المرء ان يلزم سكونا  
سيعلم كل من عرف المعالي  
ومن في طوقه أمر فيعيب  
ومن أضحى لأمر غير كفؤ  
ألم تر ما أصاب السحب لما  
ولم تر ما أصاب الشهب لما  
وكل سهولة فلها عقاب  
لما قيل الخطاب له جواب  
يقارن غب مبدأه الصواب  
وجوه الامر أعجزه الطلاب  
بأحسن ما يجد فلا يعاب  
فان الدر ماضم العباب  
يكذب ظنه الاجل القراب  
فليس يبعد صبوته الخضاب  
تقول وانما ذهب الشباب  
عن العمل السماع أو الشراب  
ولو لم يعقب العمل اكتساب  
إذا ما طال يخبأه القراب  
تولى هيكل الجسد الخراب  
بأن الشغل للعليا نصاب  
لدى اجرائه فيه ارتياب  
فأليق ما يليق به اجتناب  
تبارى كف يوسف والسحاب  
تراءى وجه يوسف والشهاب

فلا عجب اذا مانال فوقاً  
به راجت من العلياء سوق  
وقد زهرت زناد العلم لما  
وقد نلنا رغائبنا وكانت  
غدا من عصبة الأفراد فضلاً  
يظلُّ اذا انتحى العلياء يوماً  
لقد جابت مدايح البوادي  
فليس لبدر شهرته مغيبٌ  
كأنَّ خلاله ان رمت مدحا  
أروم به الوفاء فمن قصورى  
تكل مناطق البلغاء فيه  
ومنها

لقد شيدت مدرسة تعالت  
نظمت بها من الأصقاع ولداً  
ومن يترك لعمر كوالديه  
ليهنك بالسلام مرور عيدٍ  
ولا زالت بك الأعياد تزهو  
قدم للغوث غيثاً مستمراً  
على هام السماء لها كعاب  
يلفهم لساحتك اجتياح  
اليك فما يعنفه اغتراب  
ولكن مالبهجة ذهاب  
وعيشك للسعود له اجتذاب  
وبدراً ليس يدركه غياب

وقلت وداعاً لمدرسة الحكمة في ختام سنة ١٨٨٦

وكنت ابن ١٦ سنة

|                                 |                              |
|---------------------------------|------------------------------|
| مفارقةً والله عزَّ نظيرها       | أسيرٌ غداً عنها وقلبي أسيرها |
| تخلّيت عن قلبي لها غير مكرهٍ    | ولكنّ نفس الحرّ تغلو مهورها  |
| رهنت فؤادي في هواها لمدة        | فلم يغن عنه عند نفسي مرورها  |
| فليست ترى للعلق عندي علاقة      | وعندي يد لم توف عني نذورها   |
| وان كان نقلاً ماسمحت فانها      | صنائع في رأيي تزداد أجورها   |
| فاني رأيت الفضل فضل زيادة       | على حقه يمسي خطيراً نزيها    |
| وان المزايا من قليل وربما       | لعمري قليل المكرمات كثيرها   |
| فان كنت لم أوتر على النفس مجدها | فلا أحمد الآثار عني أثيرها   |
| وما الفرق ما بين الكريم وضده    | اذا لم يحمّل نفسه ما يضيرها  |
| وما الحرّ من يلوى لضرّ يمسه     | اذا لفحته في الليالي حرورها  |
| ولكنّ من يقوى وللروع نصلة       | يُطير فؤاد الفحل إذ يستطيرها |
| ولكنّ من يطوى على المرّ مرّة    | تظل عليه مستمرا مريرها       |
| ولكنّ من يغدو وتغدو عزيمة       | له مثل حد السيف وهو شهيرها   |
| ولكنّ من يفرى الستور اذا عدت    | عليه خطوب لا تراح ستورها     |
| ولكنّ من يغشى صدور مجالس        | وتغشاه من جرد المذاكي صدورها |

ولكن فتى عند الرزايا صبورها  
 ألا فى سبيل المجد أن شكيمة  
 وإنى حلبت الدهر أشطره وقد  
 إذا لم يكن ماء الشهامة منى  
 فلا وافقت للمكر مات عقيلة  
 يفجر فيها للقريحة أنهرأ  
 وما ذاك إلا أنه متخرج  
 ممنعة للفضل فيها معاقل  
 مؤسسة أركانها فوق حكمة  
 تميل بأعطاف النجاح خصورها  
 وتزهو ولا زهو الكواكب فى الدجى

إذا فى لىالى الجهل تمّ سفورها  
 يقرؤها من كل بدر تمامه  
 ويحسدها من كل شمس ذرورها  
 ومنها

فقد خولتنى نعمة فوق نعمة  
 فألبسنى نسج الحبور حيرها  
 لكل رشحت حامى فجاءت خلائقى  
 لىالى هاتيك المهارق حولنا  
 وكل إذا عدت فانى شكورها  
 وأوطأنى مهد السرور سريرها  
 من الطبع أولاها ولا أستعيرها  
 يدور بنا دور الأساور دورها

لذلك غدت تحكى بياض طروسها  
مجرّ ومجرى سمر أقلامنا التي  
ألا حبذا تلك الليالي فانها  
قضيت بها أنساً كأن لم أفز به  
فما أنس لا أنس الرياض التي جرى  
ولا أنس أوقاتا قضيت بربعها  
فان يقض بالبعد القضاء فانه  
مضت فأمضت مهجتي وكأنا  
فلا تنكرن منى الذي قد شهدته  
في من جوى الأحشاء ما لوجعلته  
تصعد منى زفرة فتثيرنى  
فان كنت أظهرت الفتور بلوعتى  
أودع مغنى قد قضيت به الصبا  
وما رست أعلاما ودارست علية  
على لهم فضل بجيدى درّه  
تخاشيت نفسى من سلو عهودهم  
فما قصرت الا وقامت ما أثر

من الأصل لا يُدري لعمرى قصورها

وان أشبهتها بالظلام سطورها  
يهين صليل المشرفى صريرها  
هى الغر لكن ليس يدري غرورها  
ورشف كؤوس لم تحرم خمورها  
وأوردنى ماء النعيم غديرها  
ولا صحبة منى كريمٍ عشيرها  
عذيرى منها وهو منى عذيرها  
نظير كرى عينيّ كان كروورها  
وجوماً بنفس قد تسامى زفيرها  
على قنن الأجبال دكت صخورها  
وأجهد فى ارجاعها فأثيرها  
فربّ عيونٍ شبّ ناراً فتورها  
وأرضيت نفساً كالنهار ضميرها  
وآنست أنواراً تماماً بدورها  
وكم فتية منهم تحلت نحورها  
فان نجارى المنذرى نذيرها

فذكرها عهد الخورتق شأنها      وان سدرت ماغاب عنها سديرها  
ماثر أجداد جديد فخارها      يذري وان طالت خلواً عصورها  
على أنه ماتم فضل لأول      بعصبتهم حتى أجاد أخيرها

### وقلت وهو من شعر المدرسة

أمعلمها بين العذيب وبارق      تغزلت من غزلانه بالحقائق.  
فديتك ربعا قد ترحل آله      بكل إمام المآثر سابق.  
عفا وخت منه المنازل بعد ما      لقد كان زينا للنهى والمناطق.  
وأقوى وأقوى ما حوى من معاقل      أناخت عليه عاديات البوائق.  
وأجذب بعد الخصب إذ كان زاهراً      بكل كتاب للفوائد واسق.  
سلام على تلك الربوع فانها      رياض المعالي والمعاني الدقائق.  
لكم قد حوت تلك الخيام عقائلا      يضيئ سناها من خلال السرايق.  
رواشق قلبي عن قسى جفونها      ألا بارك الباري بتلك الرواشق.  
تبيح لنا ألحاظها حيناً رنت      بسحر بيان صادق كل صادق.  
وان خطرت سكرى فمن كل رائق      من اللفظ والمعنى ومن كل شائق.  
لقد أطلعت من تحت ليل فروعها      هلال محياها بأسنى المشارق.  
فليلٌ وبدر عندها ماها سوى      سواد مداد في بياض مهارق.  
بروحى هاتيك الثنايا فانها      زهت في رياض الفضل زهو الشقائق.  
أتلحوننى يا أيها الناس ويحكم      على الحب ما أتم له بالعوائق.

ولى أيضا وهو من أوائل نظمى

|                          |                         |
|--------------------------|-------------------------|
| عليك أقمت أسناء الشناء   | فأنت أقمت أثناء السناء  |
| جعلت على حق ثناك فرضا    | وقد أحييت لى ميت الرجاء |
| توقد فطنة وتسيل لطفًا    | كطبع السيف من نار وماء  |
| وحامك راجح برعان رضوى    | وعزمك كالهند فى المضاء  |
| ومجدك ظاهر فوق الدرارى   | وذكرك فائق عرف الكباء   |
| بروحى أنت لا وحدى ولكن   | فداك القوم من دان وناء  |
| إذا فتشت يوما فى عروقى   | ترى سريان حبك مع دمائى  |
| فأين تكون يامولاي منى    | لأسنى عند منزلك احتفائى |
| ففى قلبى أعيدك من غليلى  | وفى عينى أعيدك من بكائى |
| لقد أناك بالقدر التدانى  | وقد أدناك بالحب التنائى |
| أرى لك هزة للفضل حتى     | طباعك أصبحت مجرى الطلاء |
| أراك لطفت حتى كدت تخفى   | على أبصار مختبر وراء    |
| فلا بست الضمائر مثل سرِّ | ولامست الظواهر كالهواء  |

وكتبت تحت أول صورة فوتوغرافية استخرجت لى وكنت فى الرابعة عشرة

ونفسك فابدأ بتصويرها بما أنت من خالد فاعل  
والأَمْضى الجسم مع رسمه ولا يخلد الزائل الزائل

## رثائي لحجة الاسلام

« وبينما كنا مباشرين طبع هذا الديوان بمطبعة المنار تحت  
اشراف صاحبها العلامة الامام حجة الاسلام السيد محمد رشيد رضا  
اذ أصيب العالم الاسلامي كله بفقد هذا السيد الامام الذي تتعاقب  
القرون ولا ينسى الاسلام عظمة مصابه قدس الله روحه فانا ملحق  
بهذه القصائد التي كانت تطبع تحت ملاحظته بقصيدة رثاء له  
واحسرتاه عليه والله يفرغ علينا الصبر الجميل من بعده ، وهي »

|                               |                             |
|-------------------------------|-----------------------------|
| تحدرى يادموعى بالميازيب       | وعارضى السحب أسكوباباسكوب   |
| وأدركى كبداً لج الأوار بها    | عن مارج في صميم القلب مشبوب |
| هيئات أى الرزايا بعد ترمضنى   | وأى داهية دهياء تلوى بى     |
| وأى خطب ملئ أن أقول له        | يا عمرى انفض أو يامهجى ذوبى |
| مضى الذى كان فيه منتهى أملى   | ومن نشدت لتعليمى وتهذيبى    |
| ومن عن الأخذ عنه شد راحلتى    | ومن للقياء إسآدى وتأويى     |
| شعرت ان خلت الدنيا بمصرعه     | لم يكفى طول تشريدى وتغريبى  |
| فمن أناجيه بعد اليوم فى حزنى  | ومن أرى بشه بى وتعذيبى      |
| واهاً على حجة الاسلام حين خبا | ذاك الشهاب بليلات غرايب     |
| واهاً على علم الأعلام حين هوى | فلا تصادف قلباً غير منخوب   |

هوى وكل جبال العلم دانية  
 أين الذى كان إن أجرى يراعه  
 هذا المصاب الذى كنا نحاذره  
 من قبل رزناه فقد أغير ذى عوض  
 حتى اذا حل لم تعقد مناخته  
 قضى الامام الذى كانت مكانته  
 لو كان أنصفه الاسلام يوم ثوى  
 كان المقدم فى علم وفى عمل  
 به شمائل أمثال النسيم سرى  
 سمح السجية لا يلوى على حسك  
 لم تعرف الحق فى يوم سريره  
 كم قد تلقى أعاديه وقد كشحوا  
 يلقونه حملا حتى اذا عبثوا  
 هناك لا هدنة يدرى ولا خصم  
 هناك أعظم بفحل غير ذى نكل  
 يصول صول على وقائعه  
 عدا على عبقر من ليس ذا صلة  
 فالعبقريّة وصف فى رشيد رضا

عن شأوه فهى منه كالأهاضيب  
 فى أى فن أتاننا بالأعاجيب  
 نظل نلبس منه جلد مرعوب  
 وكم حسبناه صدعا غير مرؤوب  
 الا على حادث من قبل مرهوب  
 بين الأئمة فى أعلى الشناخيب  
 لبات يرفل فى سود الجلايب  
 والجمع ما بين منسوب ومكسوب  
 تذكىه نفحة نوار التعاشيب  
 ويكره العفو أن ينأى عن الحوب  
 ولا وعى سره شيئا سوى الطيب  
 بفضل ذيل على الآثام مسحوب  
 بالدين أصبح كالبنزل المصاعيب  
 الا سيأخذ منه بالتلايب  
 لدى اللقاء وسيف غير مقروب  
 فليس يعرف قرنا غير مكبوب  
 معها على الرغم من نعت وتلقيب  
 والعبقرية ليست بالأكاذيب

قَس كل صاحب فضل مع رشيد رضا  
تسمو المنابر اعجاباً بوطأته  
سبحان من زاده عالمًا وألهمه  
رب الوفاء الذى أربى بشهرته  
لم يدر بغياً على الاخوان فى زمن  
له المنار الذى كانت تنار به  
مقالة من أصول الشرع أشعة  
كان المنار لحزب الحق معتصراً  
غدت به ملة الاسلام حجتها  
جميع أجزائه تأتى على نسق  
فيه الفتاوى التى يرضى الجميع بها  
تجرى بأذان من يصغى لقارئها  
ما بالمنار ضياء غير مقتبس  
وكم كتاب له غير المنار غدا  
فى كل عام تأليف يجود بها  
مواقف لن ترى من يستقل بها

قيس الرُّهام الى الطير المناسب  
لها وتخضع أقواس المحاريب  
تلك البراهين فى أحلى الاساليب  
حقاً على مثل فى العهد مضروب  
سادت على الجم فيه شيمة الذيب  
سفائن القوم فى لج التجاريب  
تمشى مع العقل تسيار الاصاحب  
يهدىهم بشعاع غير محجوب  
شهباء فى حازب منها ومحزوب  
مثل اطراد العوالى بالاناييب  
فلا ترى حاجة فى نفس يعقوب  
لحن السريجى فى سمع المطاريب  
وليس فيه هلال غير مرقوب  
فوق الكتائب فى حشد وتكتيب  
كالغيث يرسل شؤبواً بشؤبوب  
ولن ترى طامعاً منها بتقريب

\*\*\*

سر نحو ربك مبكياً بكل دم      قان على صفحة الخدين مصبوب

وانعم لديه بما قدمت من عمل      وفز بقسطك من بر وتثويب  
واترك ثناء كنفح الطيب ليس يني      يملا البلاد بتشريق وتغريب  
قد يغلب الحزن أقوام بصبرهم      لكن حزنك عندي غير مغلوب  
ابكيك مادمت في الدنيا وما بقيت      الا بقية عيش غير محبوب  
لى معك عهد فأبى أن أخيس به      حتى أصير الى لحد وتتريب

الاسيف

جنيف ٢٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٤      مكيب ارسلوه



## جدول اصلاح خطأ الديوان

| خطأ            | صواب           | صفحة | سطر |
|----------------|----------------|------|-----|
| ايساد          | إسآد           | ٨    | ٣   |
| مر خفيفاً      | مصع مرّ خفيفاً | ١٣   | ٤   |
| أن             | إن             | ١٤   | ١٠  |
| ويغزّ          | ويغرّ          | ١٥   | ١٩  |
| يحدنه          | يحدونه         | ١٦   | ١٥  |
| العلا          | العلی          | ١٩   | ٩   |
| لعمر           | لعمرو          | ١٩   | ١٤  |
| شعو            | شعر            | ٣٧   | ٤   |
| دجى            | دجا            | ٥٣   | ٢٠  |
| يَقَقَا        | يَقَقَا        | ٦٠   | ١٧  |
| سأل            | سال            | ٦٧   | ١٩  |
| سبان           | سمان           | ٩١   | ١٨  |
| الهند دان      | الهندوانى      | ٩١   | ١٨  |
| لها بعضاً ببعض | لها بعضٌ بعض   | ١٠٠  | ١٢  |
| تشاجر          | تشاجراً        | ١٠٠  | ١٢  |
| ظن             | ضن             | ١٠٢  | ١٦  |

| خطأ     | صواب    | صفحة | سطر |
|---------|---------|------|-----|
| عقبياً  | عصبياً  | ١١١  | ١٠  |
| العدا   | العدى   | ١١٩  | ١٠  |
| ويفتري  | ويقتري  | ١٢٤  | ١٤  |
| ييتاً   | ييتنا   | ١٢٩  | ٢٣  |
| زافر    | ذافر    | ١٣٢  | ١٣  |
| البوارج | البوارح | ١٣٣  | ١٣  |
| الفجر   | الفخر   | ١٣٤  | ٧   |
| واوفاهم | ووافاهم | ١٣٤  | ٢١  |
| العرب   | الغرب   | ١٣٥  | ١   |
| مغرماً  | مُقرماً | ١٣٥  | ٣   |
| هبةً    | حبسةً   | ١٣٦  | ٨   |
| ارحب    | ارغب    | ١٤٢  | ٤   |
| رمت     | دمت     | ١٥٠  | ١٠  |
| فوائف   | فوائق   | ١٦٨  | ١١  |
| كما دمت | كما دمت | ١٦٨  | ١٣  |
| ظن      | ضن      | ١٦٩  | ٢   |

# ديوان الأمير سليم أرسلان

وهو ما أملكه العثوري عليه من شعر أمير البجان

في خمسين سنة



وقف على طبع القسم الاكبر من هذا الديوان

وتصحيحه

فقيه الشرق والاسلام المرحوم العلامة

السيد محمد شيرازي

منشئ المنار



سنة ١٣٥٤ - ١٩٣٥

مطبعة المنار بمصر

# تصدير ديوان

امير البيان



لما علم شاعر الاقطار العربية وشيخ الادباء  
الاستاذ خليل بك مطران بقرب ظهور ديوان صديقه  
وعشير صباه صاحب العطوفة الامير شكيب أرسلان  
أحب أن يضع له كلمة التصدير التي تثبت في صدر الديوان،  
قال الاستاذ حفظه الله :

هذا ديوان امير البيان ! أفي حاجة أنا الى تسمية صاحبه بعد هذا  
النعته الذي نعت به الاجماع في الأمة العربية ؟  
أتيح لي أن أصدره بهذه الكلمة وفي النفس داع من الود القديم؛  
وباعت من الاعجاب والاكبار ، فاتهزت الفرصة السانحة ، مغتبطا  
بها ، ولا أبرىء اغتباطي من أثر فيه للآثرة فان حظي من الفخر بهذا  
التصدير أضعاف حظ الصديق الكريم .  
بدأ الامير شكيب أرسلان حياته الأدبية بنظم الشعر فاشتهر به  
ولما يعد السابعة عشرة من عمره . وقد طبع في ذلك الوقت ديوانا جمع  
به أوائل شعره وسماه ( الباكورة ) فتوسم مطالعوه أن ناظمه يرقى  
حثيثا الى مقام لا يرام بين شعراء العربية . ولو ظل الأمير معنيا بذلك  
الفن الرفيع لصدق فيه ما ظنوه كل الصدق .

غير أن شأننا آخر من الشؤون الضخام التي هي أشد اغراء للرجل  
البعيد المطمح في مطالب العلياء صرفه وشيكا عن الهيام في مساج

الخيال والضرب في آفائه الازليمة الى منازلة الحوادث والايام في معترك الحقيقة .

ففى هذا المفترق الأول من السبل التي يواجهها المرء مستقبلة أثر الأمير الترسل ومضى فيه متدفقا تدفق ينبوع الصافي مجلجلا أحيانا جلجلة السيل الكثير الشعاب . وما زال حفظه الله منذ خمس وأربعين سنة يتحف قراء العربية في مشارق الارض ومغاربها بكتب قيمة يقتبسون من أنوارها هدى أو يفيدون من مختلف الآراء المنبثة فيها ما يهني لهم من أمرهم رشدا ، الى رسائل متنوعة يحتلون محاسن أغراسها وأزهارها ويحتنون ما يغذى العقول ويفكه القلوب من أطايب ثمارها ، الى فصول ومقالات تنشرها المجلات الدورية والصحف اليومية في كل قطر فما ينقضى يوم من أيام تلك البرهة الا وله في كل منها قلائد تزهى بها صفحاتها أو فرائد تزخر بها أنهارها . ولو تفرغت طائفة من حملة الاقلام جم عديدها فياضة قرائحها فيما يشاء الله من مسائل السياسة ، الاجتماع والأدب ومباحث التاريخ والاخلاق لكتابة ما كتب من تلك الفصول والمقالات لتعذر عليها أن تأتي مجتمعة بما أتى به ذلك العلم الفرد .

على أن الذين تتبعوا كما تتبعت آثار الأمير شبيب قد تبينوا منذ الساعة الاولى سر المزية التي امتاز بها شعره ونثره جميعا فأحلاه الذروة المنعفة الرفيعة التي حلها بين الافذاذ المبرزين من متقدمين ومتأخرين .

ذلك السر هو أنه ملك اللغة من أول أمره ولا اتغالى اذا قلت انه جمع معجمها في صدره بله ما استظهره من اساليب بلغائها ورواه من

روائع فحول شعرائها وفي أثناء وروده تلك الموارد من فصيح العربية  
كان يرى وجوه الانطباق بين المصطلحات القديمة والمصطلحات  
الحديثة ويتبين كيف تصرف المتقدمون فيما وصل اليهم من الاصول  
ليفرعوا عليها المعاني الجديدة التي تعاقبها تصرفا لم يناف سلامة القول  
ولم يناف مقتضى البلاغة على تحول الاحوال وتعدد العهود

فلما اتسقت له هذه الخصال وتوافرت لديه تلك الاسباب وأفاض  
من واسع علمه بالعربية على ما أكسبته الخبرة آنا بعد آن من مكنونات  
المبتدعات الحديثة ومقتضيات الاحوال العصرية ما دق منها وما جل  
بين حمى ومعنوى ، عدل غير مبطن عن تشبثه الاول بالمحض  
الخالص من الاساليب المأخوذة عن الصميم من القديم ولم ير له بعد  
ذلك مكتوب الا وهو مطبوع بطابع السلاسة والانسجام والغزارة  
مع الحرص على شرف المفردات ورصانة التراكيب مجتمعا كل أولئك  
في طابع الامير شكيب

تلك غاية لم يدركها غير هذا العبقرى في الترسل ولو قد رامها في  
الشعر لادرکها كما قدمت . غير انه اذا كان قد رضى لنفسه في الشعر أن  
يكون المقل المجيد فلا مشاحة في انه انفراد بين المترسلين بانه المكثّر  
المجيد .

وان من ينظر جملة الى صنيع الامير شكيب ليجد بحرا زاخرا في  
الادب ليست الاواوات المنظومة فيه الا شقائق الآلىء المنشورة منه في  
كل جانب